

# فن الخطابة من الألف إلى الياء



# فن الخطابة من الألف إلى الياء



# تفتيق

# الباب الأول

## الخطابة مفاهيم، وأسس

**أولاً- تعريف الخطابة:** هي الكلام الذي يلقي في جمهور الناس للإقناع والتأثير. وهي فن قديم وجد مع الإنسان يلجأ إليه النابهون في الإرشاد. والخصومات والحث على الحروب والسلام. ويرقى كلما استجدت دواعيه. واستقرت الحرية الفكرية والكلامية للشعوب. وهي أنواع: دينية وسياسية وقضائية واجتماعية. وقد تكون علمية فيهدأ أسلوبها وتسمى محاضرة وقد كانت الخطابة عدة العرب في الجاهلية. ثم ترقى في صدر الإسلام. واستمرت أداة للدين والسياسة والحكم من زمن الأمويين صدرًا من العصر العباسي. ثم خفت صوتها لما طامن الحكم من حرية الجماهير. ولكنها استردت مكانتها في العصر الحديث لمكان الحرية في حياة الشعوب والأفراد. ولنشأة النظم الدستورية في الحكومات. وقيام دور القضاء

والندوة "البرلمان" وإباحة الاجتماع والجدل. والمنافسة في الانتخاب والمناظرة في المسائل العلمية والاجتماعية.

### ثانياً- عناصر الخطابة :

ولعل الناحية الفنية أهم ما يعيننا هنا. وتشمل عناصر الخطابة وأسلوبها. وللخطابة عناصر معنوية ثلاث: المقدمة والعرض والختام.

١- فالمقدمة للاتصال بالسامعين. وإعداد نفوسهم للموضوع وبخاصة إذا كان جديداً أو كانوا متأثرين بشعور مضاد، وقد يتركها الخطيب إذا لم يجد داعياً من هذه الدواعي. ولا بد أن تكون موجزة جذابة متصلة بالموضوع كهذه المقدمة من خطبة علي بن أبي طالب لما بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار وقتلوا عاملاً له: "أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع لله الحصينة، وجنته الوثيقة" ١.

٢- والعرض هو العنصر الأساسي في الخطابة. يذكر فيه الخطيب آراءه مقسمة منسقة مؤيدة بالبراهين، ويرد على خصمه مفنداً آراءه معتمداً دائماً على حجج منطقية حاسمة أو خطابية مشهورة، مع مراعاة اللياقة والتجافي عن السباب ذاهباً إلى الإقناع والتأثير،

كما قال علي في هذه الخطبة: "ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، سرّاً وإعلاتاً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان".

٣- والختام أو النتيجة هام لأنه تلخيص للموضوع، وتسجيل على السامعين واجتذاب لعواطفهم، ويجب أن يكون موجزاً واضحاً، قوياً داعياً إلى مذهب الخطيب، جامعاً لأهم عناصر الموضوع. كما ختم زياد خطبته البتراء بقوله: "وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي". وأما أسلوب الخطابة -أو عباراتها اللفظية- فيقوم على طبيعة هذا الفن الذي يرمي إلى الإقناع والتأثير. لذلك كان لا بد فيه من البراهين العقلية لتحقيق الغاية الأولى، والانفعالات الوجدانية لتحقيق الغاية الثانية. وهذه الخاصة وحدها تجعل أسلوب الخطابة منوعاً يجمع بين تقرير الحقائق وإثارة العواطف، فيستخدم الفكر والوجدان وينفذ منهما إلى الإرادة يدفع بها إلى عمل من الأعمال. ولذلك تسمى الخطابة الفن العملي كما تسمى الفن الكامل لجمعه -في الإلقاء- بين شخصيتي



الخطيب الحسية والمعنوية، ولاستخدامه جميع مواهب السامعين؛ فإن الخطيب يستخدم جسمه في الخطابة؛ فيشير بيديه، ويحرك رأسه، ويشكل أسارير وجهه. وكل هذه الحركات عنصر هام في التأثير الخطابي، حتى إذا قرئت الخطابة مكتوبة كانت فاقدة هذا العنصر الجسماني، مع صوت الخطيب، وحسن إلقائه. فيذهب شيء من روعتها وقوتها الإنشائية.

**ثالثاً- أسلوب الخطابة:** وعلى هذا الأساس من طبيعة الفن الخطابي نستطيع تمييز أسلوبه بما يلي:

١- الصفة العامة للأسلوب الخطابي هي القوة. ومصدرها الأول انفعال الخطيب. وقوة عقيدته ويقينه بما يقول. ثم تظهر في عباراته المسجوعة أو المزدوجة وكلماته المؤثرة الجزلة لتكون موسيقى قوية. على تفاوت في ذلك. يقول زياد في مطلع خطابته: "أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء. والغي الموفى بأهله على النار. ما فيه سفهاؤكم. ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير".

٢- التكرار المعنوي جائز في الخطابة لتثبيت الأفكار في الأذهان، وتمكين السامعين من الفهم، والقوة والتأثير. ولكن لا بد من تغيير

العبارات كما رأيت في المثال السابق إذ الفكرة الواحدة وردت في عدة جمل. وكما رأيت عند علي. وكقول زياد: "أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا. وسدت مسامعه الشهوات. واختار الفانية على الباقية؟".

٣- يختلف الأسلوب فيكون خبرًا. وأمرًا. ونهيًا. واستفهامًا. وتفجعًا. حتى لا يكون رتيبًا. وليمثل الانفعالات اللازمة للخطابة، والتي تمتلئ بها نفس الخطيب. يقول زياد: "ما أنتم بالحلماء ولقد تبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كؤوسًا في مكانس الريب ... حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا".

٤- والخطابة فيها التقرير لبيان الرأي ودعمه البرهان، وفيها القصص والوصف الموجزان يستعين بهما الخطيب في الإقناع والتأثير كما رأيت كقول علي في خطبته السابقة: "ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعائها".

٥- يجب أن تكون العبارة -مع قوتها- سهلة مفهومة للسامعين، خالية من الإغراب أو التعقيد حتى يستطيع الجمهور متابعة

الخطيب ومسايرته؛ إذ ليست هناك فرصة للسامعين سوى لحظات الاستماع، ولا يستطيعون إيقاف الخطيب ليفهموا عنه، ولا يملك هو سوى فرصة الإلقاء؛ فإن الخطابة فن شفوي، على أنه إذا كتب نقص بهاؤه، وربما مضت ظروفه المناسبة فضاعت فائدته.

٦- يستطيع الكاتب أن يبين بالترقيم وسواه، كل قسم وموقف، ولكن الخطيب يستبدل بذلك النبر الصوتي على النقط الهامة، والعناية بالانتقال من نقطة إلى أخرى بالتنبيه، وتغيير الأسلوب ولهجة الخطاب، وتوكيد مواضع القصر. كل ذلك في جمل قصيرة سهلة. خالية من الاعتراضات وتفرق العناصر اللفظية التي إذا جازت في الكتابة فلن تجوز في الخطابة.

٧- السامعون هم المقياس السديد لمستوى اللغة ودرجتها. فقد يكونون من الخاصة. وبذلك يكون الأسلوب سامياً عالياً. وإذا كانوا من العامة كان الأسلوب بسيطاً سهلاً. وإذا كان جمهوراً عاماً غلب الخطيب ناحية السهولة ليضمن الفهم للجميع.

٨- ولا بد أن يكون الخطيب جهير الصوت، صافية، حسن الإلقاء، مناسبة الهيئة، حسن الوقوف، متزن الحركات، خبيراً بنفسية السامعين، قادراً على الاندماج فيهم. وعلى فهم ما يطرأ

عليهم أثناء الخطابة من فتور فيعالجه. أو غضب فيتلافاه. ويحسن انتهاز الفرص، واختيار الأوقات، والانتفاع بكل ما يفيد. جاداً مرة ومازحاً أخرى حتى يظفر بما يريد. ويمكن بيان ذلك في خطب العصر الحديث لمصطفى كامل، وسعد زغلول، ومصطفى النحاس، ومكرم عبيد. وتوفيق دياب. وغيرهم كثير. وتجد في الجزء الثاني من العقد الفريد جملة صالحة من خطب السابقين تعد شواهد لما قلنا.

## الباب الثاني

# علائق الخطابة

أولاً- رؤى وعلاقات في الخطابة :

١- علم الخطابة:

الخطابة: علم له أصول وقوانين، من سار في طريقها عد خطيباً، وهذا العلم يعنى بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وصفات الخطيب، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة، وأساليبها،

وترتيبها. هذا العلم ينير الطريق، ولا يحمل على السلوك؛ فهو يرشد الدارس إلى دراسة مناهج، ومسالك، ولا يحمل على السير فيها.

### ٢- علاقة الخطابة بالمنطق:

إذا كان علم المنطق يبحث عن القوانين التي تعصم الذهن عن الخطأ، فإنه يبحث أيضا عن أهواء النفس، وخواطرها وأسباب الغلط، وتسلسل الخواطر، وكل هذه الأمور تساعد الخطيب على أداء مهمته في التأثير والإقناع.

### ٣- علاقة الخطابة بعلم النفس:

لا يصل الخطيب إلى إقناع السامعين إلا إذا استطاع أن يثير حماسهم، ويخاطب إحساسهم، ولا يمكن إلا إذا كان عليما بما يثير شوقهم، ويسترعي انتباههم، وذلك لا يكون إلا بعلم النفس، ومن هنا كان علم الخطابة له صلة بعلم النفس.

### ٤- علاقة الخطابة بعلم الاجتماع:

يجب على الخطيب أن يكون ملما بسياسة الناس، وما يجب لكل طبقة من المعاملة، وما يلزم لكل نوع من الناس من خطاب، وعليه

أن يكون عليماً بروح الجماعة دارساً لأخلاقها فاهماً لما يسيطر عليها، ولذا كان علم الخطابة صلته قوية بعلم الاجتماع.

### ٥- علاقة الخطابة بالأدب :

تعتمد الخطابة في نقل رسالتها على القيم الأدبية ، لأنه من المفترض بالخطيب أن يكون واعياً لعناصر فن الأدب من قواعد ونحو وصرف وبلاغة وخيال وغير ذلك مما تتطلبه الخطابة .

### ثانياً- تعريف الخطبة وعناصرها وخاتمتها:

#### ١- تعريفها:

**الخطبة** : قطعة نثرية ذات طول متوسط يعالج فيها كاتبها من جهة نظره موضوعاً من موضوعات الحياة الاجتماعية أو السياسية أو العسكرية .....و فن مخاطبة الناس ومشافهتهم جاء من أجل إقناعهم بأفكار يريدون توصيلها لهم واستمالة قلوبهم وعقولهم من خلال الأدلة الموضوعية المقنعة لأن الخطبة الماهرة الحاذقة تلهب مشاعر السامعين أو تهدئها وتسيطر على عواطف الناس سروراً أو حزناً ثورة أو سكينة ، فهي فن من فنون النثر الأدبي (فنُّ لساني يلقى على جمهور السامعين) ، وللخطابة

مجالاتها التي لا يمكن لأي فن أدبي آخر أن يغني عنها بحكم طبيعتها التي تلازمها على مدى العصور.

## ٢ - عناصر الخطبة :

تتألف الخطبة من عناصر تشكل هيكل الخطبة :

### أ- المقدمة :

توظف ذات صلة بموضوع يحدد مضمون الخطبة وتعد المقدمة تمهيدا للأفكار التي سيقدمها الخطيب في خطبته والقضايا التي سيعالجها ومن خلالها يلفت نظر الحضور إلى أهمية الموضوع بأسلوب مشوق يثير اهتمامهم ليتوجهوا إليه بأذهانهم وأسماعهم ، ويصغوا إلى ما يلقي عليهم ، وتكون المقدمة متقنة التعبير، محكمة النسيج ، قوية الإلقاء لتترك أثرا فعالا في تنبيه وعي الجمهور والسيطرة على أذهان الحضور ومشاعرهم ليحقق حسن الإقبال عليه و لا بد أن يراعى فيها الإيجاز غير المخل

### ب- المضمون :

ويشمل الموضوع الذي يرغب الخطيب معالجته و هذا يقتضي أن يحدد أفكاره مسبقا، ويرتبها ترتيبا موضوعيا دقيقا ومترابطا و يراعى فيها وضوح معانيها ليسهل على السامع فهمها ، وإذا كان



الموضوع يتصل بنقض شبهات فعلية و الحالة هذه أن يعرض هذه الشبهات و يشير إلى خطورتها و أثرها الشرير

### ج - خاتمة الخطبة:

وبها ينهي الخطيب موضوع الخطبة فيؤكد أهمية ما طرح من أفكار ، و الخطبة التي لا خاتمة لها تترك الحاضرين في حيرة و تساؤل : هل انتهى الموضوع أم لا؟

### ثالثاً - أنواع الخطابة:

تتنوع الخطابة بتنوع الموضوعات التي تتحدث عنها ومن هذه الموضوعات

#### أ - الخطابة الدينية

##### ١ - استكناه للخطابة :

الخطابة الدينية نوع مميز تتوجه الخطبة فيه إلى عقول وقلوب الناس لتبقى معلقة بمحبة رب العالمين ويختلف أسلوب الخطابة الدينية عن أسلوب الخطابة السياسية والاجتماعية والوطنية وغير ذلك من أنواع الخطابة من حيث الأداء والموضوعات ، وإن كان هناك قاسم مشترك في الأسلوب اللغوي والعام ، والخطبة الدينية ليست محاضرة ، فالخطبة تختلف عن المحاضرة في الأسلوب

والأداء حتى لو التقت معها في الموضوع . وقد كانت الخطابة في الإسلام إحدى أدوات الاتصال مع جماهير المسلمين وهي من أبرز وسائل الدعوة إلى الله لذلك شرعت في الجمعة والعيد والكسوف والخسوف والاستسقاء وفي الحج وفي المعارك الحربية والمناسبات الطارئة وانطلاقاً من أهمية الخطابة الدينية ودورها الفعال في بناء المجتمع يجب ألا تتحول إلى مهنة حيث تفقد في هذه الحالة دورها الفعال في البناء ويصبح الخطيب موظفاً دينياً أكثر منه مريباً وموجهاً ومعلماً وبذلك يكون قد أسند الأمر لغير أهله وهذا من علامات الساعة ولا يعني ذلك ألا يتقاضى الخطيب أجراً على عمله فهذا جائز شرعاً كما هو معلوم ولكن لا تتحول الخطابة إلى مهنة معاش في شعوره وفي واقع عمله ومما يجدر ذكره أن كثيراً من الخطباء الآن في أمس الحاجة إلى تحقيق المقومات الأساسية للخطابة الناجحة كالموهبة والعلم واللغة والجرأة وطلاقة اللسان والحكمة والتقوى والإخلاص ، فإذا جمع الخطيب في شخصيته هذه المقومات فهو أهل للخطابة وبوسعه عندئذ أن يسهم مساهمة فعالة في بناء المجتمع المؤمن الصالح وأما فيما يتعلق بأداء الخطبة ، فإن الخطيب الناجح هو الذي يستوفي الموضوع الذي

يتناوله بعد تحضيره مؤيداً بالشواهد الشرعية متحريراً صحة الأحاديث النبوية الشريفة وما يرويه من قصص وغيرها ؛ ولا بد أن يكون نقله للآيات القرآنية الكريمة دقيقاً مع الإشارة إلى رقم الآية واسم السورة ويوضح أفكاره بأسلوب جيد السبك مفهوم العبارة ويحذر من إطالة الخطبة كي لا يمل الحضور وليكن معتدلاً في حماسه وانفعاله ولا يتجاوز الحد المطلوب في الخطابة حتى لا يفقد زمام السيطرة على كلامه فيضرب من حيث يجب أن ينفع ولا يعني هذا أن تكون خطبته باردة المشاعر وكأنه يقرأ نشرة أخبار ولا يبالغ في التقرير والتوبيخ لأصحاب المخالفات الشرعية فيخرجهم من الدين ولا يتساهل في أمر المعاصي فيصور الكبائر وكأنها من صفات الذنوب والأفضل أن يغلب الترغيب على التهيب ويبتعد عن التجريح حتى لا ينفر الناس منه وإذا أراد أن يلفت النظر إلى مخالفات يرتكبها أشخاص يعرفهم ، فليقل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) دون أن يسمي أحداً منهم أو يشير إليه ولا يتهم على مبادئ الآخرين وعقائدهم فهذا ينافي حكمة الدعوة إلى الله التي تعلمناها من كتاب الله وسنة رسوله قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل

الكتاب إلا بالتي هي أحسن) ، وبما أن الخطيب من الدعاة إلى الله تعالى فعليه أن يلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة في إطار دعوته كما قال تعالى(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ، ومما يقلل من تحصيل الفائدة العلمية من الخطبة علو صوت الخطيب إلى حد الصراخ فيخيل للسامع كأنه في مشاجرة ، وينبغي على الخطيب ألا يكثر من البكاء خلال الخطبة بغية التأثير في نفوس المستمعين أو لتفاعله مع الموضوع الذي يتناوله الخطيب وبالتالي تفقد الخطبة فاعليتها لدى الحضور وتضيع معظم الفائدة المرجوة منها . إن المكانة المرموقة التي يتبوؤها الخطيب بين الناس تنطلق من مهمة موقع الخطابة التي يقوم بها وهي المساهمة في بناء المجتمع الصالح على أسس الإيمان بالله ورسوله وهذا يعني أن رسالته لا تنحصر بموقفه الخطابي أمام المصلين حين يقدم خطبة الجمعة بل هي أوسع من ذلك بكثير إنه يقوم بحمل الراية التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل مسؤوليتها المسلمون عامة وعلماء الإسلام خاصة وأكدها في حجة الوداع : ( اللهم هل بلغت اللهم فاشهد) ونطق بها القرآن الكريم : (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) الزخرف ٤٤ / ،

ومن خلال هذا الموقع يبقى الخطيب محط أنظار أبناء مجتمعه الذي يعيش بين ظهرانیه، ومعقد الأمل في توعيتهم وتفهمهم أمور دينهم ، فيعلمهم ما جهلوا من أحكام ويذكرهم ما نسوا من فرائض وواجبات ويعظهم إن أخلوا بالالتزام أو قست قلوبهم فإذا ضعف الوازع في نفوسهم يأخذ بأيديهم إلى ظلال التقوى ويوقظ في أحاسيسهم الخوف من الله تعالى ويعمل جاهداً بحكمته ووعيه على رد الضال برفق إلى جادة الإيمان ويصلح ذات بينهم إذا عبث الشيطان بعلاقاتهم الاجتماعية وصلاتهم الأخوية فيأمرهم بصلة الأرحام وحسن الجوار والتحلي بكمارم الأخلاق ويذكرهم بأيام الله واستمرار القيام بأداء حق العبودية والعبادة لله رب العالمين خير قيام . إن مهام الخطيب متعددة الجوانب وهي أمانة ثقيلة الأعباء فإن أدى الخطيب هذه المهام كما أمر الله ورسوله حقق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة وحظي برفقة إمام الخطباء وسيدهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وسلفه الصالح رضوان الله عليهم يوم يقوم الناس لرب العالمين وإن كانت الأخرى فيما لها من خسارة ما بعدها خسارة ! ولا يخفى على الخطيب أن أداءه هذه الأمانة العظمى تقتضي منه أن يتحلى بباقة من الخصال الحميدة ،

فإن كانت فيه فهذا من فضل الله ورحمته عليه وتوفيقه له وإن هو قصر في تحصيلها أو في اكتساب بعضها أو غفل عن ذلك فما عليه إلا أن يسعى جاهداً للتخلق بها من خلال مزيد من القربات ومجاهدة النفس ومراقبتها ومحاسبتها باستمرار وحملها على التحلي بأخلاق القرآن الكريم متأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن الكريم كما جاء في السنة الشريفة ، وكما قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) والخطابة الدينية وهي التي تلقى في المساجد في صلاة الجمعة والعيدين، وفي المناسبات الدينية المختلفة للوعظ والإرشاد والحث على الاستمساك بالفضائل الإسلامية.

## ٢- طرق تحصيلها:

لا شك أن الخطابة منصب خطير، لا يصل إليها طالبها ببسر، بل يحتاج طالبها إلى زاد عظيم، وصبر ومعاناة، واحتمال للمشاق؛ ليصل إلى تلك العناية السامية وطرق تحصيلها ما يأتي:-

**أ- فطرة تلائم الخطابة:** يستحب أن يكون الخطيب فصيحاً طلق اللسان، ثابت الجنان، ذكي القلب، وأن تكون مخارج الحروف عنده صحيحة.

**ب- دراسة أصول الخطابة:** لا شك أن هذه الأصول لا تكفي وحدها، بل لا بد أن يكون معها استعداد كامن، ومران شديد على الخطابة.

**ج- قراءة كلام البلغاء:** ودراسته دراسة متعرف لمناص التأثير، وأسرار البلاغة، ومتذوق لما فيها من جمال الأسلوب وحسن التعبير، وجودة التفكير.

**د- الاطلاع على كثير من العلوم التي تتصل بالجماعات:** كالاقتصاد والشرع، والأخلاق، والاجتماع، وعلم النفس، والمعتقدات.

**هـ- الثروة الكثيرة من الألفاظ والأساليب:** فالخطابة تحتاج إلى أن يعبر عن المعنى الواحد بعدة عبارات، وأساليب متغيرة.

**و- ضبط النفس واحتمال المكاره:** حيث يستحب للخطيب أن يتذرع بالصبر، وضبط النفس، والسيطرة على أعصابه ومشاعره، كما عليه أن يقضي على كل مظاهر الاضطراب والانفعال والوجل؛ لأن ظاهرة الاضطراب والوجل تورث في الخطيب الحيرة، والحيرة تسبب له التلعثم والارتباك.

**ز-** الارتياض والممارسة: فريضة النفس على الخطابة تكون بالارتياض على الفكرة والارتياض على الأسلوب والارتياض على الإلقاء، أما الارتباط على الفكرة فهو تعويد النفس على ضبط الأفكار، ووزن الآراء وتصنيف العناصر، وعقد الصلة بينهما وبين ما يجري في المجتمع من قضايا ومشكلات، وتعويد النفس على الاتصال بفئات البشر، والاندماج معها، والتعرف على أحوالها، أما الارتياض على الأسلوب فهو المران على التحدث ببليغ المقال، وفصيح الكلام. وهذا لا يتأتى إلا بحفظ آيات من القرآن والأحاديث النبوية، وعبارات البلغاء قديما وحديثا، كما يجب على الخطيب مطالعة الكتب الفكرية والأدبية فهي عامل آخر لارتقاء أسلوبه، وجودة تعبيره، أما الارتياض على الإلقاء فيبدأ بتعويد اللسان عند النطق على إخراج الحروف من مخارجها، ثم قراءة كل ما يستحسنه بصوت مرتفع، ولهجة متزنة، مصورا بصوته معاني ما يقرأ بتغيير النبرات، وبرفع الصوت وخفضه، ثم بإلقاء الموضوع بينه وبين نفسه متصورا أنه أمام جمهور، ثم بإلقاء الموضوع أمام من يثق بهم من إخوانه، ثم بإلقاء الموضوع في محيط لا يعرفه فيه أحد غير هياب ولا وجل.



### ٣- الآداب الخطابية:

يجب على الخطيب أن يتحلى بآداب عند إلقاء الخطبة، ومن هذه الآداب ما يتعلق بحاله هو عند إلقاء الخطبة، ومنها ما يتعلق بالسامعين.

#### - الآداب الخاصة بالخطيب:

أ- سداد الرأي: ويكون بدراسته دراسة تامة للموضوع الذي يخطب فيه ، ويتحدث عنه .

ب- صدق اللهجة: وهو أن يظهر الخطيب مخلصا فيما يدعو إليه، وحريصا على الحقيقة، فإنه إن ظهر كذلك وثق الناس به، وصدقوه فيما يدعو إليه، وأحسوا بأنه شريف تجب إجابته؛ لشرفه وشرف ما يدعو إليه، ومن أجل أن يكون الإخلاص باديا، يجب أن يكون من حاله ما يطابق مقاله، فلا يتجافى عمله عن قوله، بل يكون أكثر الناس أخذا بقوله.

ج- التودد من السامعين: ويكون بالتواضع لهم، وأن يكون ممن يألفون، ويؤلفون؛ فلا يكون جافيا خشنا قاسيا.

#### - آداب الخطيب مع السامعين:

**أ-ينبغي على الخطيب الاتصال بنفوس من يخاطبهم، والقرب من قلوبهم، والناس مختلفون، عادات وأخلاقاً ومهنة ومرتبة، ولكل طائفة من الناس أحوال، تقتضي نوعاً من الخطاب، لا تقتضيه أحوال الجماعة الأخرى؛ وعلى الخطيب أن يلبس لكل حال لبوسها، ويعالج كل طائفة بأنجع دواء له؛ ليستقيم له الطريق، ويصل إلى غرضه.**

### **صفات الخطيب:**

**ب- الاستعانة بالله:** الخطيب الناجح هو الذي يحرص على الاستعانة بالله في كل الظروف والأحوال فهو يستعين بالله في الإعداد، وحسن الأداء، وجمال الإلقاء.

**ج-الإخلاص:** الإخلاص هو روح الأعمال وسر قبولها وبه يجمع الله سبحانه وتعالى القلوب، فالإخلاص عامل هام في النجاح والتأثير وينبغي على الخطيب أن يحذر من أمراض القلوب، وأن يبتعد عن الغرور والرياء وحب الظهور.

**د-القدوة الحسنة:** ينبغي على الخطيب أن يكون قدوة حسنة، وأن يكون سلوكه قويمًا، وأن يعمل بما يقول، وأن يكون إمامًا فيما يدعو إليه.

**ه- الشجاعة:** لا بد أن يكون الخطيب شجاعا لا يخاف إلا الله وهو صاحب رسالة، ولذلك فالشجاعة ضرورية كذلك لتبليغ الحق المبين، وتجلية حقائق الإسلام، وعلاجه للمشكلات بكل وضوح وصراحة، ومحاربة الظلم، وفضح الباطل، وإقرار العدل.

**و- الموهبة:** إن نجاح الخطيب في مهمته فيه جانب يكتسبه عن طريق كتب فنون الخطابة وآدابها، والاستماع إلى الخطباء، والاستفادة منهم. وجانب الموهبة التي يمنحها الله للإنسان وذلك بحب الخطابة، والميل إليها والانسجام معها.

**ز- قوة الملاحظة:** يجب أن تكون نظرات الخطيب إلى سامعيه نظرات فاحصة كاشفة؛ يقرأ من الوجوه خطرات القلوب، ومن اللمحات ما تكنه نفوسهم نحو قوله؛ ليجدد من نشاطهم، ويذهب بفتورهم ولتتصل روحه بأرواحهم، ونفسه بنفوسهم.

**ح- حضور البديهة:** لتسعه بالعلاج المطلوب إن وجد من القوم إعراضا، والدواء الشافي إن وجد منهم اعتراضا، وقد يلقي الخطيب خطبته فيعقب بعض السامعين معترضاً، أو طالبا الإجابة عن مسألة، فإذا لم تكن البديهة حاضرة يجيب الخطيب إجابة سهلة موثقة والإضاعت الخطبة، وآثارها.

**ي-طلاقة اللسان:** تعد طلاقة اللسان من أئزم صفات الخطيب؁ وأشدها أثرا في انتصاره في ميادين القول.

**ك-رباطة الجأش:** يجب أن يقف الخطيب مطمئن النفس؁ هادئ البال؁ قوى الجنان؁ غير هباب ولا وجل؁ وغير مضطرب ولا منفعل.

**ل-القدرة على مراعاة مقتضى الحال:** يجب على الخطيب أن يكون قادرا على إدراك وضع الجماعة؁ وما تتطلبه من تذكير وإصلاح؁ وما يصلح لها من أساليب ملائمة؁ ومن توجيهات مناسبة يراعي فيها المصلحة واقتضاء الحال.

**م- قوة العاطفة:** يجب على الخطيب أن يمتلىء حماسة فيما يدعو إليه؁ واعتقادا بصدقه؛ لأن ما يخرج من القلب يدخل القلب فلا بد أن تكون حماسة الخطيب أقوى من حماسة سامعيه؛ ليفيض عليهم؁ ويروي غلتهم؁ وإلا أحسوا بفتور نفسه؁ فضاع أثر قوله.

**ن-النفوذ وقوة الشخصية:** الخطيب الناجح هو الذي يتمتع بقوة الشخصية؁ وإشراقه الروح؁ وسداد الرأي؁ وسعة العلم؁ وتأثير نصائحه ومواعظه.

**ص-حسن الهيئة:** يجب على الخطيب أن يراعي الهيئة الحسنة في زيئه؁ ويهتم بكل ما يجعل هيئته حسنة؁ وأن تتزن حركاته؁

وعليه أن يبتعد عن الحركات سواء باليد أو الرأس أو غير ذلك، التي تجعل منه ممثلاً رخيصاً ومثاراً للضحك والتندر.

#### ٤- أسلوب الخطابة الدينية

آ - معنى الأسلوب :

١- الأسلوب لغة:

الطريق، وفي الخطابة و الكتابة : هو الطريقة التي يعتمدها الخطيب أو الكاتب في نقل أفكاره وعرضها

١- جانباً الأسلوب : وللأسلوب جانبان:

أ- الأسلوب العام : وهو طريقة أداء الأفكار و المعاني و المعارف. ويشمل جميع الوسائل التعبيرية التي يختارها الخطيب ،

ب- والأسلوب اللفظي : وهو مجموعة الألفاظ والتراكيب والجمل التي يستخدمها الخطيب في التعبير عن أفكاره وآرائه و مشاعره و يخاطب من خلاله الجمهور.

إن أسلوب الخطب إذا تميز بوضوحه و جماله و قوته يترك بالغ الأثر في نفوس المستمعين فيحرك مشاعرهم و يدفعهم إلى فهم ما يلقي إليهم من معارف ؛ أما إذا فقد الأسلوب هذه الميزة فَقَدْ فَقَدَ بغيابها تأثيره في النفوس و استيلاءه على القلوب والمشاعر،

وحلت السامة في نفوس المستمعين والنفور من الخطبة و الخطيب.

### ٣- أسلوب الخطبة :

#### أ- لم أسلوب الخطبة :

شرع الله الخالق سبحانه خطبة الجمعة، وجعلها جزءاً أصيلاً من تشريعات هذا الدين. شرع أن تكون هذه الخطبة على المنابر. بُنيت من أجلها المنابر. حضر المسلمون للمسجد فلم يتخلف إلا معذور أو محروم. أوجب الله على المسلمين الاستماع والإنصات للخطيب.

فمن قال لصاحبه: أنصت فقد لغا، ولا جمعة له. ومن مسّ الحصى فقد لغا ولا جمعة له. وإن شعيرة من شعائر الدين بهذه المثابة لجديرة بالنظر والدراسة والعناية من قبل المسلمين جميعاً: خطباء ومأمومين، وحكاماً ومحكومين، رؤساء ومرؤوسين. وإذا أردنا أن نُحدّد أسلوب خطبة الجمعة، الذي ينبغي أن نراعيه وندعو إليه غيرنا، فإن شأننا شأن أيّ مسلم يبحث عن حكم الشرع في أيّ مسألة من المسائل، إذ المتعين عليه في هذه الحال أن يتلقى الحكم على شرع خالقه ومالكه سبحانه لا عن سواه، وليس معنى

هذا أن لا يستفيد المسلم في باب الوسائل ونحوها من المصادر الأخرى إطلاقاً، وإنما معناه أن ياتمر بأمر الشرع، وينتهي بنهي الشرع، ويسعى في تحقيق مقاصد الشرع وفق منهج الشرع، فإن استفاد شيئاً أو أخذ شيئاً من المصادر الأخرى أو تركه فإنما يفعل ذلك إتباعاً لشرع الله عز وجل. وشرع الله كامل لا يعتريه النقص ولا التبديل: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ٣٨] ، والمسلم لا خيار له في هذا الاتباع والخضوع، بل هذا واجبه في الحياة. وخطبة الجمعة واحدة من شعائر الإسلام، فعن الإسلام يجب أن يؤخذ تحديد أسلوبها وأحكامها وحكمها. ويمكن أن يدرك المرء أهمية تحديد أسلوب خطبة الجمعة من خلال إدراكه لأهمية خطبة الجمعة ذاتها.

١- خطبة الجمعة الموعظة الأسبوعية في بيت من بيوت الله تعالى.

٢- خطبة الجمعة الموعظة الأسبوعية المفروضة بأمر الله تعالى.

٣- خطبة الجمعة الموعظة الأسبوعية التي بُنيت من أجلها المنابر.

٤- خطبة الجمعة الموعظة الأسبوعية التي يجتمع لها المسلمون لا يتخلف عنها أحد إلا بعذر شرعي! إن خطبة بهذه المثابة تستحق العناية والاهتمام من قبل الإمام الخطيب والمأموم والجهة الرسمية الراعية لهذا القطاع على حدّ سواء. بل تستحق العناية من العلماء في مؤلفاتهم والدعاة في كتاباتهم.

وأسلوب الخطبة يرتبط بأساليب الدعوة ومناهجها؛ لأن ما يقال في ذلك يقال في أسلوب الخطبة. والكتاب والسنة هما مصدر الإسلام اللذان يتّجه لهما المسلم في تلقي أحكام هذا الدين.

### ب- تحديد أسلوب الخطبة

#### أين نجد تحديد أسلوب الخطبة ؟

أين نجد تحديد أسلوب الخطبة؟ إذا كان الكتاب والسنة هما مصدرا الإسلام الأساسان، وفيهما كل شيء لهداية البشرية، كما قال تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ٣٨] فإننا ملزمون بالصدور عنهما في كل شيء. ولكننا - للأخذ عن القرآن والحديث - نحتاج إلى أمرين لا بدّ منهما، وهما:



- أ- الوقوف على النصوص الواردة في الموضوع أو المتعلقة به. والتدبر لتلك النصوص، وفهمها وعقل معناها.
- ب- إذا لا بد لنا من معرفة النص الشرعيّ فهماً صحيحاً، وهذا يستلزم أن نتبع المنهج السديد الموصل إلى الفهم الصحيح. فعلياً إذاً أن نتجه الآن إلى الكتاب والسنة - تحقيقاً لهذه المعاني - لنعرف ماذا فيهما عن أسلوب الخطبة.

### ج- طريقة تحديد نصوص الكتاب والسنة في الموضوع

(طريقة تحديد نصوص الكتاب والسنة في الموضوع) للأخذ بالكتاب والسنة في هذا الموضوع يتعين علينا أن نحدد المداخل التي عن طريقها نقف على نصوص الكتاب والسنة في هذا الموضوع، أو التي نتوصل بها إلى تحديد النصوص الشرعية في الموضوع. ولعل هذه المداخل تنحصر في الآتي:

- ١ - الوقوف على الآيات والأحاديث التي تناولت أسلوب الخطبة وأسلوب الدعوة ومنهجها تناولاً مباشراً أو وردت في موضوع الخطبة بصفة عامة . لأن الخطبة فرع من فروع الدعوة، أو وسيلة من وسائلها.

٢ - تتبع أساليب القرآن الكريم، واستتباط الأساليب القرآنية المؤثرة من كتاب الله، أو التعرف على الجوانب التأثيرية فيه - وكل كتاب الله مؤثر - وذلك في شتى الموضوعات، فإن هذا جانب من جوانب هدايات القرآن الواجب علينا الاهتداء به فيها، إنه جانب التأسى بأسلوب القرآن الكريم الذي هو أحسن الحديث.

٣ - الوقوف على خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأساليبه في الخطاب بصفة عامة، ودراسة سمات ذلك، واستخراج مواطن القدوة والأسوة الحسنة لنا في كلامه وفي خطبه -صلى الله عليه وسلم-، فإن هذا من هديه -صلى الله عليه وسلم- الذي هو خير الهدي! .

٤ - الوقوف على الآيات والأحاديث الأخرى المتصلة بالموضوع، التي تبدو لا علاقة لها به بالنظرة السريعة، في حين أنها في صميم الموضوع، من نحو قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور: ٥٤] وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. . .» وقوله: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا

فهو ردٌّ» وقوله: «الدين النصيحة». « وقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وغيرها من النصوص العامة التي يتعين على المسلم الالتزام بها في أحواله كلها، أو في دعوته الآخرين، ومن أحواله تلك أو دعوته الخطبة وأسلوبه فيها.

• - الوقوف على الآيات والأحاديث النبوية بخصوص اللسان والكلام، ولا سيما الأحاديث التي يوجه فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- المسلم توجيهاً مباشراً فيما يخص الكلام والخطبة. ومثل ذلك الأحاديث التي اشتملت على وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- في خطبه؛ إذ هذه الأحاديث في وصفه، فيها القدوة العملية في رسول الله، كما أن تلك الأحاديث القولية المشتملة على توجيهه المباشر في هذا الموضوع أو على نقل خطبه، فيها الأسوة في قوله وخطابه - صلى الله عليه وسلم - . وأختم هذه الفقرة بملاحظة مهمة لمن يتجه إلى حصر الأحاديث النبوية في هذا الموضوع. ألا وهي: إن كثيراً من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الواردة عنه من خطبه، وإن لم يذكر ذلك في الحديث؛ فينبغي ملاحظة هذا في أمرين:

١- في حصر الخطب النبوية.

٢- في دراسة الخطب النبوية ودراسة أساليبها.

ومما يستدل به على الخطب المروية بهذه الطريقة التي لا تصريح فيها بأنها من خُطبه -صلى الله عليه وسلم- ما يلي :

\* أن يُذكر المكان والزمان فيتبين منهما أن الحديث من خطبة للرسول -صلى الله عليه وسلم-، كأن يكون: يوم عرفة، أو في عيد، أو في جمعة. . . إلخ.

\* أن يقال في الحديث: صعد المنبر.

\* أو يقال: فنادى الصلاة جامعة.

#### ٤- الأساليب النبوية في الخطبة

##### أ- الهدى الفعلي للنبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة

الأساليب النبوية في الخطبة مستخرجة من الأحاديث الواردة.

إذا ما أراد المرء الهداية وأحسن الأساليب في الخطبة وفي سواها فعليه أن يطلبها في كتاب الله تعالى، ويطلبها في حديث رسول الله وسيرته. وحسبك أن خير الحديث - في حكمه تعالى - كتاب الله، وأن خير الهدى هدى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - هو أفصح من نطق بالضاد، وأنه أحسن

الناس خُلُقاً وأجلهم حكمة، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم.

وفيما يلي بيان لهديه -صلى الله عليه وسلم- في الخطبة مصنفاً على:

١ - هديه في الفعل.

٢ - هديه في القول.

**فالهدي الفعلي للنبي -صلى الله عليه وسلم- في الخطبة :**

اشتملت الأحاديث التي وقفت عليها من ذلك على ما يلي:

\* كان يخطب قائماً. كما في حديث جابر بن سمرة -رضي الله عنه- عند مسلم وأبي داود. وقد استدل كعب بن سمرة -رضي الله عنه- على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١] كما في الحديث عند مسلم والنسائي.

\* كان يخطب على المنبر. لما ثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- كان له منبر يخطب عليه.

\* كان يخطب خطبتين يفصل بينهما بجلوس. كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عند البخاري ومسلم وغيرهما.

\* كان يقرأ القرآن في الخطبة ويذكر الناس. كما في حديث جابر بن سمرة السابق، وفي حديث جابر بن عبد الله عند مسلم وغيره: «يقرأ بآيات من القرآن ويذكر الناس» .

\* كان يشير إشارة خفيفة بيده بإصبعه المسبحة. كما يدل عليه حديث عمارة بن رويب -رضي الله عنه-، عند مسلم والترمذي وأبي داود والنسائي.

\* «كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبّحكم ومساكم» كما في حديث مسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله. وفي رواية للنسائي: «وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه نذير جيش، يقول: صبّحكم ومساكم» .

\* كانت صلاته -صلى الله عليه وسلم- قصداً؛ وخطبته قصداً. كما في حديث جابر بن سمرة -رضي الله عنه-، عند أبي داود. وله: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هن كلمات يسيرات» . وفي حديث عمّار -رضي الله عنه-: «إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فاقصروا

الخطبة وأطيلوا الصلاة، وإن من البيان لسحراً» أخرجه مسلم. وفي رواية عنده وعند أبي داود عن عمار قال: «أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بإقصار الخطبة» .

\* وقد كان كلامه -صلى الله عليه وسلم- بصفة عامة قليلا لو عدّه العادّ لأحصاه.

\* وقد كان في بعض كلامه -صلى الله عليه وسلم- تكرار للكلام حتى يفهم عنه.

**ب-والهدي القولي للنبي صلى الله عليه وسلم في خطبه :** اشتملت

الأحاديث التي وقفت عليها من ذلك على ما يلي:

\* قد صحّ من فعله -صلى الله عليه وسلم- أنه إذا خطب حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله.

\* كان في الخطبة يقرأ القرآن ويذكر الناس ( أخرجه مسلم وأبو داود).

\* كان يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلّل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله» ( أخرجه مسلم). ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه،

من ترك مالا فإلهه، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فإليي وعليّ» ( أخرجه مسلم ).

\* كان يقول: «نحمد الله ونثني عليه بما هو أهله، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» ثم يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ . . .» ( أخرجه مسلم والنسائي ).

\* وكان إذا تشهد قال: «الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً» ( أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ).

### ٥- استخلاص صفات الخطبة وأساليبها:

وفيما يلي أهم الأمور اللازم مراعاتها في إعداد الخطبة، مستخلصة من النصوص الشرعية ومقاصدها كما ذكرها عبد الرحمن السعدي : (فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب



خطبا عامة وخطباً خاصة، وخطباً راتبة في الجمع والأعياد ونحوها، وخطباً عارضة بحسب الأسباب والدواعي. وكانت خطبه كلّها دعوة إلى الله، وإلى صراطه المستقيم، وتوضيحاً للأصول النافعة والأعمال الصالحة، وترغيباً في أصناف الخيرات والإحسان إلى المخلوقات، وترهيباً من الأعمال الضارة والأخلاق السيئة. وكان الغالب على خطبه الاختصار والاقتصار على ما يحصل به المقصود. ويقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة»

٦- مواعظ النبي صلى الله عليه وسلم :

وكانت مواعظه على نوعين:

أ- الوعظ المطلق : وهو نوع يعظ فيه النبي صلى الله عليه وسلم الناس وعظاً مطلقاً ويُرغب في الخير ويُرهب من الشر، ويشوق إلى ما أعد الله للطائعين من الكرامة، ويحذّرهم مما أعد الله للمعاصين من الإهانة؛ ليثير في القلوب الإيمان، والرغبة في الخير والرغبة من الشر.

ب- الوعظ المفصل : وهو نوع من وعظه يُفصّل ما يحتاج الناس

إلى تفصيله، ويوضحه لهم توضيحاً..

والنوع الثاني: تبين وتعليم وتفصيل.

وكان يراعي في وقت حال ما يحتاج الناس إلى بيانه، لا يتكلف السجع ولا التعمق. بل جُلُّ قصده -صلى الله عليه وسلم- إبلاغ المعاني النافعة بأوضح العبارات وأقصرها. ولقد أوتي -صلى الله عليه وسلم- جوامع الكلم. وكان يردد اللفظ أو المعنى حسب ما يحتاج المقام إلى ترديده وهذا أولى ما يعتمد الخطيب، ولا بأس مع ذلك بمراعاة تحسين الألفاظ من غير تكلف ( مجموعة مؤلفات ابن سعدي، الخطب ١٨٧ - ١٨٨ ).

#### ٧- أهم صفات الخطبة الدينية :

**ومن أهم ما يمكن استخلاصه من النصوص الشرعية من صفات الخطبة وأساليبها : ولعل أهم ما يمكن أن أستخلصه من النصوص الشرعية من صفات الخطبة وأساليبها ما يلي:**

\* إن التأسى في خطبة الجمعة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنصوص الكتاب والسنة والسعي في تحقيق مقاصدهما وهدايتهما من أهم ما يلزم الخطيب أخذُه بعين الاعتبار عند إعدادِه للخطبة موضوعاً وغاية وأسلوباً.

\* الاهتداء بالكتاب والسنة يوجب على المرء الرجوع إليهما والاستنباط منهما ودراستهما والعناية بهما.

\* يتلخص من النصوص الشرعية الواردة بشأن خطبة الجمعة والموضوعات الأخرى ذات العلاقة:

إن خطبة الجمعة مناسبة أسبوعية ثابتة يتعين على المسلمين العناية بها والمحافظة عليها والتأسي فيها شكلاً ومضموناً بهدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وأن وظيفة خطبة الجمعة تتركز في ثلاثة أمور، هي:

\* الوعظ والتذكير .

\* تعليم المسلمين دينهم عقيدة وشريعة وأخلاقاً .

\* إرشاد الناس وتوجيههم إلى ما فيه مصالحهم في حياتهم وأحوالهم المتجدد المتعددة. وأن الخطبة هذه دعوة إلى الله تعالى، فمن واجب القائمين بها أن يهتدوا فيها بالحكمة والأحكام المتعلقة بالدعوة متمسكين في ذلك بنصوص الكتاب والسنة الواردة في الموضوع وبمقاصدها وهدايتها.

\* ومن الفقه عن الله وعن رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل الخطيب خطبته في يوم الجمعة دعوةً إلى أصول الخير

وفروعه، ونهياً وتحذيراً من الشر أصوله وفروعه، ودعوة إلى الإسلام في عقيدته وشريعته وأخلاقه.

\* من الفقه عن الله عز وجل وعن رسوله -صلى الله عليه وسلم- أيضاً أن يبتعد الخطيب عن إيراد الروايات المكذوبة على رسول الله والواهية، مكتفياً بالثابت بمختلف درجاته. سواء فيما يتعلق به هو، أو فيما يتعلق بالمستمعين إليه والمصلين معه. ليس كل موضوع يصلح أن تكون فيه خطبة، والخطيب الفقيه هو الذي يقدر ذلك. ولعل من المناسب في إطار هذه الفقرة من الموضوع، أن أنقل عدداً من التوجيهات حول صفات الخطيب، وأسلوب الخطبة وصفاتها المطلوبة، عن بعض من بحث هذا الموضوع، فأليك - أيها القارئ الكريم - تلك التوجيهات المختارة:

### ٨- صفات الخطبة عند الشيخ محمد الغزالي وأساليبها:

يقول الشيخ محمد الغزالي:

١ - يحسن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد، واضح غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا، فإن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يشتت الأذهان ويتنقل بالسامعين في أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عبارته بليغة، ومهما

كان مسترسلا متدفقا، فإنه لن ينجح في تكوين صورة واضحة الملامح لتعاليم الإسلام. والوضوح أساس لا بد منه في التربية. والتعميم والغموض لا ينتهيان بشيء طائل، وخطبة الجمعة ليست درسا نظريا بقدر ما هي حقيقة تشرح وتغرس.

٢ - عناصر الخطبة يجب أن يسلم أحدها إلى الآخر في تسلسل منطقي مقبول، كما تسلم درجة السلم إلى ما بعدها دون عناء بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء كلمته كان السامعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بلوغها. وعليه أن ينتقي من النصوص والآثار ما يمهد طريقه إلى هذه الغاية.

٣ - ولما كانت الخطبة الدينية تنسج من المعاني الإسلامية المستمدة من [الكتاب والسنة] وآثار السلف الصالح فإن لحمتها وسداها يجب أن يكون من الحقائق المقبولة، وفي آيات القرآن الكريم، ومعالم السنة المطهرة متسع يغني في الوعظ والإرشاد. ولذلك لا يليق أن تتضمن الخطبة الأخبار الواهية. . وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة مجال رحب للخطيب الفاهم. في سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين والأئمة المتبوعين ما يغني عن الأساطير والأوهام.

٤ - لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية، ولا أن تكون تعصبا لوجهة نظر إسلامية محدودة. فإن المسجد يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكل دون خوض في المسائل التي يتفاوت تقديرها، وما أكثر العزائم والفضائل التي تصلح موضوعاً لنصائح جيدة وخطب موفقة. وقد شقي المسلمون بالفرقة

أياماً طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يوحد الصفوف ويطفى الخصومات.

٥ - بين الخطبة والأحداث العابرة، والملابسات المحيطة، والجماهير السامعة، علاقة لا يمكن تجاهلها، ومما يزري بالخطيب ويضيع موعظته أن يكون في واد، والناس والزمان والمكان في واد آخر. ولأمر ما نزل القرآن منجماً على ثلاث وعشرين سنة. فقد تجاوب مع الأحداث وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة. ولما كان القرآن الكريم شفاء للعلل الاجتماعية الشائعة، فإن الخطيب يجب عليه أن يشخص الداء الذي يواجهه، وأن يتعرف على حقيقته بدقة. فإذا عرفه واستبان أعراضه وأخطاره رجع إلى آي الكتاب والسنة فنقل الدواء إلى موضع المرض. وذلك يحتاج إلى بصيرة

وحذق فإن الواعظ القاصر قد يجيء بدواء غير مناسب فلا يوفق في علاج. وربما أخطأ ابتداء في تحديد العلة فجاءت خطبته لغواً وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة.

٦ - من الخير أن تضمن خطبة الجمعة أحياناً شيئاً من أمجاد المسلمين الأولين الثقافية والسياسية وتنوياً بالحضارة اليبانة التي أقامها الإسلام في العالم مع الإشارة إلى أن يبايع هذه الحضارة تفجرت من الحركة العقلية التي أحدثها القرآن الكريم واليقظة الإنسانية التي صنعها الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ويكون الغرض من هذه الخطب - على اختلاف موضوعاتها - أن ترجع إلى المسلمين ثقتهم بأنفسهم ورسالتهم العالمية.

٧ - معروف أن هناك فلسفات أجنبية ونزعات إحادية تسربت إلى الأمة الإسلامية في كبوتها التاريخية الماضية، وطبيعي أن تتعرض الخطبة إلى درء هذه المفاصد النفسية عن أبناء الأمة، ووظيفة الخطبة في الإسلام عندئذ أن تتجنب الأخذ والرد والجدال السيئ. . ولكن تعرض الحقائق الإيجابية في الإسلام بقوة، وترد على الشبهات دون عناية بذكر مصدرها لأن المهم هو حماية الشريعة الإسلامية. . وليس المهم تجريح الآخرين وإلحاق الهزائم بهم.

٨ - قبل أن يواجه الخطيب الجمهور ينبغي أن تكون في ذهنه صورة بينة لما يريد أن يقوله. بل يجب أن يراجع نفسه قبل الكلام ليضمن اطمئناناً إلى صحة القضايا التي سوف يعرضها، وإلى سلامة آثارها النفسية والاجتماعية. وعليه أن يتثبت من الأدلة والشواهد التي يسوقها في معرض الحديث فإن كان قرآناً حفظه جيداً وإن كان سنة رواها بدقة، وإن كان أثراً أدبياً أو خبراً تاريخياً فإن توفيقه يكون بحسب مطابقته أو اقترابه من الأصل المنقول عنه. إن التحضير المتقن دلالة احترام المرء لنفسه ولسامعيه، وقد تفجأ الإنسان مواقع يرتجل فيها ما يلقي به الناس ويصور ما بنفسه. والواقع أن القدرة على الارتجال تجيء بعد أوقات طويلة من الدربة على التحضير الجيد وعلى تكوين حصيلة علمية مواتية لكل موقف. ومع ذلك فإن المهارة في الارتجال لا تغني عن حسن التحضير للعالم الذي يريد أداء واجبه بأمانة وصدق والذي يقدر إنصاف الناس له واحتفاءهم بما يقول.

٩ - الإيجاز أعون على تثبيت الحقائق، وجمع المشاعر والأفكار حول ما يراد به من تعاليم. فإن الكلام الكثير ينسي بعضه بعضاً، وقد تضيع أهم أهدافه في زحام الإفازة، ألا ترى أن الأرض تحتاج



إلى قدر محدد من البذور كيما تنبت، فإذا كثر النبات بها تخللها الفلاح باجتثاث الزائد حتى يعطي البقية فرصة النماء والإثمار. كذلك النفس البشرية لا تزكو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى إناء مغلق تسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نفاستها. وللإطناب الممل أسباب معروفة منها سوء التحضير، فإن الخطيب الذي يلقي الناس بالجزاف من الأحكام والتوجيهات لا يدري بالضبط أين بلغ بقوله، وهل وصل إلى حد الإقناع أم لا فيحمله ذلك على التكرار والإطالة. وما يزداد من الجمهور إلا بعدا. وقد تنشأ الإطالة عن سوء التقدير للوقت والموقف فيظن الخطيب أن بحسبه أن يقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً وكرهاً - وهذا خطأ - ومما يحكى في قيمة الإيجاز أن أحد الرؤساء طلب منه إلقاء خطبة في بضع دقائق فقال: (أمهلوني أسبوعاً) فقيل له: نريدها في ربع ساعة فقال: (أستطيع بعد يومين) قيل له: فإذا طلبناها في ساعة؟ قال: (فأنا مستعد الآن) إن الإيجاز يتطلب الموازنة والاختيار والمحور والإثبات. أما الكلام المرسل فالجهد العقلي فيه أقل، والحقيقة أن خمسة دقائق تستوعب علماً كثيراً، وعشر دقائق

وخمس عشرة دقيقة تستوعب خطبة أو محاضرة جيدة (توجيهات للدعاة) ، محمد الغزالي، ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد ص ٥٥١ - ٥٥٥، بتصريف بالحذف والاختصار وإصلاح الأخطاء المطبعية ) .

### ٩- توصيات مؤتمر رسالة المسجد المنعقد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

وقد جاء في توصيات مؤتمر رسالة المسجد المنعقد برابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة، في الفترة من ١٥ رمضان ١٣٩٥ - ٢٠ رمضان ١٣٩٥ هـ فيما يتعلق بخطبة الجمعة ما يلي:

**أولاً:** ينبغي أن تهدف خطبة الجمعة إلى تحقيق الأغراض التالية:

(أ) **الوعظ والتذكير بالله تعالى** : وبحسابه وجزائه في الآخرة وبالمعاني الربانية التي تحيا بها القلوب، والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ب) **تفقيه المسلمين وتعليمهم حقائق دينهم** : من كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مع العناية بسلامة الأخلاق والآداب من الغلو والتفريط.

(ج) **تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام** ، وردّ الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه لبلبله الأذهان، بأسلوب مقنع حكيم، بعيد عن المهاترات والسباب، ومواجهة الأفكار الهدامة والمضللة بتقديم الإسلام الصحيح باعتباره منهج الأمة الأصيل الذي ارتضاه الله لها، وارتضته لنفسها ديناً، مع إبراز خصائصه من الشمول والتوازن والعمق والإيجابية.

(د) **ربط الخطبة بالحياة**، وبالواقع الذي يعيشه الناس، وذلك بالتركيز على علاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته مستمدة من الشريعة الإسلامية الغراء، مع إعطاء عناية لشؤون المرأة والأسرة المسلمة نظراً لما تتعرض له من فتنة يحرك تيارها أعداء الإسلام.

(هـ) **مراعاة المناسبات المختلفة** التي تتكرر على مدار العام مثل رمضان والحج وغيرهما، مما يشغل أذهان المستمعين ويشوقهم إلى معرفة تنير لهم الطريق بشأنه.

(و) **تثبيت معنى أخوة الإسلام** ووحدة أمته الكبرى، ومقاومة النزعات والعصبية العنصرية والمذهبية والإقليمية وغيرها المفرقة للأمة الواحدة، والاهتمام بقضايا المسلمين داخل العالم الإسلامي

وخارجه، حتى لا ينفصل المسلم فكريا وشعوريا عن إخوانه المسلمين في كل مكان.

**(ز) إحياء روح الجهاد والقوة في نفوس الأمة، وإشعال جذوة الحماس لحماية حرمة الإسلام ومقدساته، وأوطانه، وصون دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم والدفاع عن عقيدة الإسلام وشريعته، والعمل لإزالة الطواغيت المعوقين لسير دعوته.**

**ثانياً:** يجب أن تنتزه خطبة الجمعة عن أن تتخذ أداة للدعاية لشخص أو حزب أو نظام، وأن تكون خالصة لله تعالى ولدينه، وتبليغ دعوته وإعلاء كلمته ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]

**ثالثاً:** ينبغي ألا تفرض على الخطيب خطبة موجهة من قبل السلطان،

يردها ترديداً آلياً لا روح فيه، وأن تترك له الحرية لاختيار موضوعه وإعداده وأدائه بالطريقة التي يرضاها عقله وضميره، وفقاً لما درسه من كتاب ربه وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

**رابعاً:** على العلماء والدعاة الأكفاء أن يضعوا أمثلة رفيعة لموضوعات إسلامية متنوعة، تشتمل على المواد الأساسية لبناء

الخطبة في صورة أدلة وشواهد من الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ الإسلامي، والأقوال المأثورة، والشعر البليغ لتكون في أيدي الخطباء في شتى الأقطار الإسلامية؛ ليستعين بها من يحتاج إليها في إعداد الخطبة.

**خامساً:** يجب أن يعتمد في إعداد الخطبة على مصادر المعرفة الإسلامية الموثقة وأن يترفع عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات المدسوسة والحكايات المكذوبة، والمبالغات المذمومة لكل ما لا يسنده نقل صحيح، أو عقل صريح.

**سادساً:** يجب أن تكون لغة الخطبة في البلاد العربية هي الفصحى السهلة المفهومة وأن تبعد عن العامية، وعن تكلف الأسجاع، والألفاظ الغريبة على الأسماع. أما في غير البلاد العربية، فيكفي أن تكون مقدمة الخطبة وأركانها باللغة العربية، وأما موضوع الخطبة فيجب أن يكون باللغة التي يفهمها الحاضرون.

**سابعاً:** ينبغي أن يكون أداء الخطبة طبيعياً، بعيداً عن التغمي والتشدد والصياح وكل مظاهر التكلف المنفر.

**ثامنا:** ينبغي ألا يطيل الخطيب إلى حد يثقل على المستمعين وينفرهم من سماع الخطبة، وألا يقصر إلى حد يخل بموضوعه ويبيته.

تاسعا: خطبة العيد ينطبق عليها ما سبق بالنسبة لخطبة الجمعة، مع وجوب رعاية المناسبة الخاصة بكل عيد من عيدي الإسلام، وأن يكون لها طابع الشمول والتذكير العام بمبادئ الإسلام ( أخرجه مسلم والنسائي. نقل عن " رسالة المسجد " محمد علي قطب ٨٩ - ٩٢ ) .

#### ١٠-الخطوات اللازمة لإعداد خطيب المسجد:

واقترح د. علي عبد الحليم محمد لإعداد خطيب المسجد ما يلي:

إن إعداد خطيب المسجد يتطلب الخطوات التالية:

**أولاً:** اختيار المسجد وإمامه من بين طلاب العلوم الإسلامية المشهود لهم بالتقوى والاستقامة والتفوق العلمي، وما يتطلبه هذا الاختيار من عقل راجح وقلب عامر بالإيمان والجرأة في الحق واللسان المبين والرغبة الصادقة في الدعوة إلى الله سبحانه.

**ثانياً:** وضع المناهج الدراسية الملائمة لهؤلاء المختارين، بحيث تمكنهم هذه المناهج من ممارسة عملهم على أحسن وجه.

**إن هذه المناهج لا بد أن تشتمل على الآتي:**

- ١ - حفظ كتاب الله ومعرفة ما يلزم من علوم القرآن الكريم، وعلى رأس تلك العلوم تفسير القرآن الكريم.
- ٢ - التعرف الدقيق على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع حفظ كثير من الأحاديث النبوية ودراسة علوم دراية الحديث وروايته.
- ٣ - الدراسة الفقهية اللازمة التي تمكن الدارس من إفتاء الناس في أمور دينهم.
- ٤ - الدراسة الجادة الموسعة لسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-
- ٥ - الدراسة الدقيقة لتاريخ الفكر الإسلامي، وتاريخ الفرق الإسلامية مع الاهتمام في هذه الدراسة ببيان وجه الصواب في مذهب كل فرقة عن طريق عرضه على الأصول العامة للدين الإسلامي.
- ٦ - دراسة المذاهب والنظريات المعادية للإسلام قديماً وحديثاً، مع التعرف الدقيق على أصول هذه المذاهب ومناقشتها فيما ذهب إليه.

- ٧ - دراسة المذاهب السياسية المعاصرة، والتعرف على محاور ارتكازها الفكرية والسلوكية ومناقشة ما فيها من خلل واضطراب.
- ٨ - دراسة موسعة لجغرافية العالم الإسلامي قديماً وحديثاً.
- ٩ - دراسة تاريخ العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، مع تحليل واف وتعليل للظروف والملابسات كافتها.
- ١٠ - دراسة أحوال الأقليات المسلمة في العالم المعاصر.
- ١١ - دراسة موسعة لأبرز المشكلات التي تتصل ببعض بلدان العالم الإسلامي.

**ثالثاً:** وضع مناهج تطبيقية عملية لهؤلاء المختارين تتناول فن الخطابة والتأثير في الجماهير، مع ضرورة التدريب العملي على ذلك قبل أن يسمح للخطيب بأن يمارس عمله في المسجد.

**رابعاً:** تحصيل قدر كاف من العلوم الحديثة المتصلة بالمكتشفات والمخترعات التي دخلت على الناس في بيوتهم، مع التعمق في بعض العلوم الكونية كعلم الفلك وعلم الفضاء وما يشبههما من علوم، لأن جهل الخطيب لمثل هذه العلوم يجعله بمعزل عن اهتمامات الناس، إلى غير ذلك من العلوم التي يرى بعض المختصين إضافتها إلى حصيلة خطيب المسجد.



فإذا توافرت هذه الاعتبارات كلها في المنهج المعد لخطباء المساجد وأئمتها فلا بد كذلك من أن تتوافر لهم الرعاية الاجتماعية من الدولة ( المسجد وأثره في المجمع الإسلامي، د. علي عبد الحليم محمود ٢٠٩ - ٢١٢). إلى الحد الذي يكفل لهم حياة كريمة وظروفاً تمكنهم من أن يظهروا بالمظهر الذي يلائم واعظ الناس وموجههم وإمامهم، والذي يمكنهم كذلك من متابعة أحدث ما تنشره المكتبات ودور النشر من بحوث ودراسات تربطهم دائماً بالعالم الذي يعيشون فيه، دون أن يحدث لهم شيء من الإرهاق المادي، وما لم تتم لخطيب المسجد هذه الضمانات الاجتماعية فإن إعداده يظل ناقصاً وعمله يظل قاصراً وقدرته على ممارسة عمله تظل ضعيفة .

### -الخاتمة والتوصيات:

ولعل من المناسب أن أختتم بذكر التوصيات الموجزة المهمة التالية:

١ - العناية بخطبة الجمعة يستلزم العناية بالخطيب، فالواجب يقضي بزيادة العناية بخطيب المسجد وإمامه اختياراً وتأهيلاً.

٢ - ينبغي الإشراف المستمر عن كثب على الخطباء والأئمة من قبل الجهات المسئولة، للتأكد من كفاءة الخطيب والإمام في أدائه لواجبه الشرعي.

٣ - ينبغي متابعة النشاطات الموجّهة إلى الأئمة والخطباء الموجهين للمجتمع، وذلك للأخذ بأيديهم إلى ما فيه الخير والرشاد. ويمكن أن تكون هذه النشاطات: نشرات، وكتّبا، ولقاءات وسواها مما يحقق الغرض.

### ١١- خصائص أسلوب الخطابة الدينية:

تتميز الخطابة الدينية عن غيرها من الخطابة الاجتماعية والسياسية إذ لا بد فيها من خصائص تجعلها قريبة من نفوس المتلقين حتى ترقق قلوبهم وتستميلها من أجل تمثل أحكام الشرع ومحبة الله تعالى ومحبة الناس وهدايتهم للخير ، ولما كان الأسلوب الخطابي يتميز عن بقية أساليب الكلام بكثرة الجمل الإنشائية والألفاظ المؤثرة والكلمات الموحية الموجبة للمشاعر والمرققة للقلوب والهازة للنفوس فلا بد للخطيب من العناية بانتقاء كلماته المعبرة وسبكها في تراكيب وجمل تؤدي الغرض المنشود الذي يشد السامع إليه ويوصل الفكرة المبتغاة إلى قلبه

وعقله وهذا الاختيار للكلمات يرفع قيمة الخطبة ويزيدها جمالاً ويكسوها حسناً وبهاءً من خلال كونها مأنوسة واضحة ذات جرس موسيقي مناسب للأفكار ومعبر عنها بعيدة عن الغرابة والتعقيد والتعقير . فإذا كان الموضوع يتحدث عن الإيمان اختار الخطيب ألفاظاً معبرة بموسيقاها عن طمأنينة القلب وسمو الروح واستقامة الجوارح ، وإذا كان الموضوع يتحدث عن الجهاد اختار الخطيب ألفاظاً معبرة عن الحماسة والشجاعة والعزيمة ، وإذا اختار الخطيب موضوعاً يتحدث عن الحزن اختار ألفاظاً موحية بجرسها الموسيقي بمعاني الحزن والتحسر والألم والفرق والأسى والمصيبة والفاجعة ، والخطبة البارعة يبتعد فيها الخطيب عن الألفاظ الركيكة والعامية والمبتذلة حتى لا يفقد الأسلوب رونقه وجماله وتأثيره في النفوس ، وإن من أخطر العيوب في الخطبة (الحن) و(التكرار) في الألفاظ والأفكار والجمال ، وعلى الخطبة أن تكون تراكيبيها قوية متماسكة محققة للمعنى المقصود وسليمة من الضعف والتفكك خالية من التكلف والسجع تلون أسلوب عرض الخطبة حيث تتغير ضروب التعبير من استفهام وأمر ونهي وتعجب لتنبية الأذهان ولاستقطاب الأسماع ولتأخذ بمجامع القلوب وتأثر في النفوس .

## ١٢ - ميزات أسلوب الخطبة:

يفترض أن يتميز أسلوب الخطبة (أي خطبة) بما يلي :

١-الوضوح في الأفكار والمعاني

٢-الجمال في العرض والمناقشة

٣-القوة في الأداء

٤-ترك بالغ الأثر في نفوس المتلقين فكراً

٥-القدرة على الاستيلاء على مشاعر المتلقين

## ١٣ - الخطبة بين الارتجال والتدوين :

تنوعت الخطب من حيث إعدادها إلى ( خطب مدونة وخطب مرتجلة )

الخطب المرتجلة : وهي التي يلقيها صاحبها مباشرة دون تحضير

ولهذه الخطبة المرتجلة محاسن ومساوئ :

أ -محاسنها:

من محاسن الخطب المرتجلة

١ - تحقيق الاتصال بين الخطيب والحضور

٢ - منح الخطيب حرية أوسع في معالجة القضايا التي يتناولها

ويشترط لنجاح الخطبة أن يقوم الخطيب بتحضيرها مسبقاً فيحدد الأفكار التي سيتناولها مع الشواهد اللازمة والمناسبة  
ب. - مساوئها :

### ومن مساوئ الخطب المرتجلة

١ - حالات الإرتاج التي قد يتعرض لها الخطيب فيضرب كلامه ولا يتمكن من متابعة خطبته

٢ - وقوع الخطيب في شرك التكرار أو الإطناب الممل أو الإيجاز أو عدم السيطرة على الوقت أو إطالة الخطبة مما يؤدي إلى ملل المستمعين وحرصهم على وصول الخطيب إلى ختام خطبته وفي هذه الحالة تفقد الخطبة أهم أغراضها وهي تفاعل الجمهور وفهمه للموضوع

٣ - ركافة التعبير وعدم ترتيب الأفكار وترابطها

٤ - الخروج على الموضوع أو الاستطراد الذي يضيع معه المستمع

غير أن معظم هذه السلبيات المذكورة تنجم عن عدم التحضير الجيد المسبق للخطبة .

### الخطبة المدونة:

وهي الخطبة التي يكتبها صاحبها قبل إلقائها

**أ - محاسنها:**

١ - الدقة التعبيرية

٢ - ضبط الأفكار والزمن

**ب - مساوئها :**

١ - ضعف الصلة بين جمهور المستمعين والخطيب

٢ - تقييد حرية الخطيب في الكلام

والخطب المكتوبة غير محببة ولا مرغوبة لدى المستمعين ويستدل بعضهم بها على ضعف الخطيب وضحالة ثقافته لذلك نجد معظم الخطباء يتجنبون الخطب المكتوبة حفاظاً على مكانتهم في الخطابة . والحق يقال إن الخطبة المرتجلة إذا تهيأ لها الإعداد الجيد المسبق من تحديد الأفكار وضبط الزمن وتخير الألفاظ المؤثرة هي بالتأكيد أفضل من الخطبة المكتوبة وأعظم منها أثراً في النفوس وأكثر فائدة .

**١٤ - خصائص الخطبة الناجحة**

يجب على الخطيب الناجح أن يوفر لخطبته كل عوامل النجاح والتأثير على المتلقي

### أبرز خصائص نجاح الخطبة:

- ١ - اختيار الموضوع المناسب لواقع الحضور ومستواه الثقافي
- ٢ - تحديد الأفكار الأساسية للخطبة وما يتفرع عنها .
- ٣ - إغناء الموضوع بالشواهد المناسبة مع ربط الشاهد بفكرته
- ٤ - التحضير الجيد المسبق وهذا يساعد على استيعاب الموضوع الذي يتناوله والإحاطة به
- ٥ - يجب أن تكون لغة الخطيب واضحة فصيحة بعيدة عن الابتذال والتعقير والتكلف في الكلام و غريب الألفاظ
- ٦ - إيصال الفكرة إلى المتلقي ببسر وسهولة .
- ٧ - استخدام وسطية الصوت بين الجهوري والخافت فتكون طبقات الصوت وإيقاعه مناسبة لفواصل الكلام ومواقف الأفكار
- ٨ - وسطية الانفعال فلا يشتد به الحماس فيخرجه عن طوره واتزانه في الخطبة فيعلو صراخه من غير ضرورة فلا يفقه الحاضرون ما يقول ولا يسيطر عليه البرود فتتحول الخطبة إلى درس وعظ وإرشاد فتفقد الجاذبية وعنصر التأثير في نفوس المستمعين

- ٩- اتصال الخطيب بجمهوره بجعل الأنظار مشدودة إليه وكأن الناس على رؤوسهم الطير.
- ١٠- تجنب الإطالة المملة والقصر المخل
- ١١- تجنب الاستطراد في الأفكار والتحكم في استطراده في حدود ما يتطلبه الموضوع.

### ١٥ - شخصية الخطيب:

الخطيب هو الذي يقف أمام جمهور من الناس يتحدث إليهم في موضوع محدد بنبرة خطابية وبهيئة مخصوصة متقيداً بعناصر الخطبة وأسلوبها ، وليس كل من تحدث أمام جمع من الناس قل أو كثر يعتبر خطيباً فهناك المحاضر وهناك المعلم والمدرس والمحامي الذي يرافع أمام القضاء في قضية ما وهؤلاء جميعاً ليسوا خطباء ؛ أما الخطيب فله خصوصية مميزة **عن** الآخرين

### - مزايا الخطيب الناجح :

### أ- مزايا الطبع والفترة :

١- **الموهبة الفطرية للخطيب الموفق:** هو الذي حباه الله من فضله قدرة على أداء الخطبة دون تكلف فينسب الكلام على لسانه عفو خاطر دون عناء ولكنه يحتاج إلى تدريب وممارسة الخطابة



ليشحن مقدرته الخطابية ويقويها ويهذبها ؛ وأما إذا فقد المرء استعدادَه الفطري للخطابة ، فإن أداءه الخطابي سيكون دون المستوى المطلوب لأنه في هذه الحالة لا يبلغ مستوى من كانت الخطابة لديه موهبة فطرية مغروسة في طبعه حتى لو تدرب ومارس الخطابة فنجاح الخطبة وقوة تأثيرها تتوقف على الاستعداد الفطري عند الخطيب وهذا لا يعني أن نقل من شأن الدربة ونغفل عن مكانتها ودورها في نجاح الخطيب فهي تساعده على القيام بمهمة الخطبة في المستوى المتوسط على أكثر تقدير لكنها لا ترقى به إلى مقام الخطباء المبدعين الذين يقصدهم الناس من أماكن بعيدة ليستمعوا لها ويشار إليهم بالبنان .

**٢- الفصاحة وقوة البيان:** فلغة الخطيب الفصيحة وقوة بيانه تعدان من أبرز صفات الخطيب الناجح لأن الكلمات ستكون طوع لسانه والعبارات وفق إرادته ينزلها الموقع الذي يريد في خطابه إن مثل هذا الخطيب قادر على التأثير في النفوس وإلهاب المشاعر وشد الانتباه إليه ولقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له : ( يعجبني جمالك ) قال: وما جمال الرجل يا رسول الله؟ قال : ( لسانه )

**٣- الشجاعة الأدبية:** تعتبر الشجاعة الأدبية عنواناً لقوة الشخصية لدى الخطيب ولها أثر كبير في سيطرة الخطيب على قلوب السامعين والتأثير في نفوسهم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في ميدان قوة الشخصية لمن أراد أن يتبوأ أعلى مراتب الخطابة قال سيدنا علي رضي الله عنه في وصف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام : ( من رآه بديهة هابه ومن عاشره خلطة أحبه) وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب خشعت له القلوب وذرفت من كلامه العيون ورحم الله أحمد شوقي حيث قال

وإذا خطبت فالمنابر هزة  
تعرو الندي وللقلوب بكاء  
ومن مظاهر قوة الشخصية عند الخطيب تجنب رذيل القول وسوء الفعل والحذر من كثرة المزاح لأنها مسقطه للهيبة فيرى الناس في الخطيب شخصية هزلية فلا يتأثرون بكلامه ولا ينتفعون من خطابه

### **ب- مزايا التحلي بمكارم الأخلاق:**

الخطيب في نظر الناس من أعظم المرين ومن كان هذا شأنه لا بد أن يتحلى بأدب الحديث ويتمسك بمكارم الأخلاق لأن حسن

الخلق من أهم الصفات النبيلة التي يجب على الخطيب أن يتحلى بها ليكون قريباً من قلوب الناس ونفوسهم فيستجيبون لحديثه ويتأثرون بكلامه ويخلقه المحمود ويتمكن من زرع الثقة في نفوس سامعيه فيحبونه لأنه في نظر أبناء مجتمعه نموذج للقوة الصالحة ، فإذا أمرهم بمعروف ائتمروا به وإذا نهاهم عن منكر كان منتهياً عنه أصلاً وبذلك تتجسد أخلاقه الحميدة في أفعاله وأقواله وسائر أحواله فيفرض بذلك على الناس احترامه ؛ أما إذا كان الخطيب سيء الأخلاق فاسد السلوك ملطخاً برذائل الأقوال والأفعال قبيح الصفات فمهما أوتي من البيان والفهم والفصاحة فسوف يفشل في التأثير في قلوب مستمعيه حتى لو أصغوا إليه فهم لا يثقون به لأن أقواله في واد وأفعاله في واد آخر وينقض فعله قوله لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد من فقدان الثقة بالخطيب بل يتعداه إلى الإساءة إلى الإسلام نفسه فيشوه صورته النقية بسوء فعله عند حديثي العهد بالإسلام من الأحداث أو عامة الناس الذين لم يصل عندهم الوعي الإسلامي إلى مستوى يميزون فيه بين الخطيب وما يقوله، لذلك أنكرت الآيات البيّنات أشد النكير على هذه الفئة من الخطباء والدعاة الذين لم يجعلوا من

أنفسهم قدوة حسنة يقدمونها للناس قال تعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون \* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) ، وقد بينت الأحاديث سوء المصير في الآخرة لأمثال هؤلاء الخطباء فقد جاء في حديث الإسراء والمعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في رحلته على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقال : (يا أخي يا جبريل من هؤلاء قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون) ، وجاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية) ولا شك أن هذا التصرف السيء من الخطيب مخل بالإخلاص وقد حرم نفسه من ثناء الله على المخلص لأنه خرج من زميرتهم قال تعالى : (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً

عظيماً)، ولإخلاص أثر فعال في توجيه النفس البشرية نحو الخير والخطيب الذي يتحلى بالإخلاص يؤتية الله قوة تأثيرية مميزة يستطيع بها أن يترك بالغ الأثر في نفوس الجمهور لأن كلامه من القلب وما خرج من القلب يصل إلى القلب ويمكن للخطيب أو الداعية أن يؤثر في أشد القلوب قسوة فيضيء في جنباتها نور الإيمان والخير فيخرجها من الظلمات إلى النور ولقد تمكن سلفنا الصالح بقوتهم الحسنة وإخلاصهم أن يفتحوا القلوب قبل البلدان

### ١٦ - واجب الخطيب أثناء إلقائه خطبته

- ١- أن يكون جيد الإلقاء
- ٢- أن يكون صوته جهورياً
- ٣- عدم الخجل والخوف من مواجهة الجمهور
- ٤- أن يتحلى بالشجاعة والجرأة الأدبية
- ٥- أن يتمكن من توزيع طبقات الصوت أثناء إلقائه ، فالنبرة الحماسية لها موقفها وأسلوبها ومعانيها والنبرة المتوسطة لها دورها في الكلام ومواقفها الملائمة لها
- ٦- أن يبدأ خطبته هادئاً واضح الكلام ثم يرفع من وتيرة صوته شيئاً فشيئاً ويعود إلى هدوئه خلال الخطبة

- ٧ - سلامة النطق وفصاحة الكلام بمراعاة لفظ الحروف وإخراجها من مخارجها بشكل دقيق
- ٨ - تجنب الأخطاء النحوية والأغلاط اللغوية وأن يتقن قواعد النحو مع ضبط عين الكلمة وفائها حتى لا يقع في عيوب الألفاظ
- ٩ - مراعاة الخطيب للمعاني والوقوف في المواطن المناسبة فلا يقف وقوفاً مفاجئاً ولا يستمر في الحديث لأن التوقف المفاجئ يبتتر الكلام فتفقد الخطبة فائدتها وتأثيرها في السامعين
- ١٠ - سرعة البديهة في أجوبة الخطيب إذا سئل وهو على المنبر فإنه يزيد من مكانته في نفوس الجمهور.
- ١١ - تأجج حماس الخطيب ، فإذا بردت عاطفة الخطيب وفترت مشاعره خبت شعلة تأثيره وذلك لتجديد نشاط السامعين وتنبيه أذهانهم
- ١٢ - يجب أن تتناسب حماسة الخطيب مع أفكار خطبته وتنسجم مع معانيها وأفكارها ؛ وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: ( صبحكم ومساكم بعثت أنا والساعة كهاتين ) ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله

وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) ثم يقول : ( أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا لأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ) رواه مسلم ،

### ١٧ - مظهر الخطيب في هيئته وملابسه وسمته:

حث الإسلام على الاهتمام بالمظهر بشكل عام لأن الإسلام هو دين الحضارة والأناقة فلا عجب أن يطلب من أتباعه أن يكونوا كالشامة بين الناس نظافة وترتيباً وحسن مظهر خاصة في مجتمع الناس ، قال تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وكان صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه خاصة والمسلمين عامة على مدار الزمن إلى التأنيق باللباس وكل ما من شأنه أن يرفع من شخصية المسلم فلما رأى رجلاً ثائر الرأس قال : ( أما وجد هذا ما يسكن به شعره) وكان صلى الله عليه وسلم يتعطر، فإذا مر بمكان يعرف أنه مر صلى الله عليه وسلم من هذا المكان من رائحة العطر الفواحة وإذا جاء وفد زائر ينظر في المرأة ويسوي شعره ولحيته ، فعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بالمرأة وهو محرم فهذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين عامة فيحسن بالخطيب

أن يكون حسن المظهر وباعتبار أن الخطيب يقف موقف الوعظ والإرشاد والتعليم أو على منبر الخطابة فهو محط أنظار جمع من الناس ينظرون إليه ويسمعون حديثه فعليه أن يظهر بمظهر لائق لمثله مرتدياً ثوباً يدل على الوقار مسرحاً لحيته كي يزداد وقاراً ورفعاً في نفوس الناس ورد في سيره الإمام مالك أنه خرج إلى مجلس العلم يغتسل ويتطيب ويلبس ثوباً جديداً نظيفاً ومعه عود الطيب يبخر به مجلسه وقد ورد في كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية عن ملابس الرسول صلى الله عليه وسلم كانت له عمامة تسمى : السحاب كساها علياً وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه كما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن حريث قال : ( رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه) وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء ويستحب لبس البياض من الثياب لما رواه أبو داود والترمذي عن ابن



عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم )

### ١٨ - وقفة الخطيب على المنبر :

ينبغي للخطيب أن يقف على المنبر وقفة وقار ، فيسلم على الحضور عند صعوده بتحية الإسلام ( السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ولا يكثر من الالتفات يميناً وشمالاً أو يكثر من الحركة والإشارة بيده لأن كثرة الحركة يغير لزوم تخل بوقار الخطيب ولا يعني أن يقف دون حراك كالتمثيل بل يتحرك بهدوء ويشير بيده حسب ما يقتضي حال الموقف وأن يكون مرتاحاً في وقفته ولا يبدأ الكلام حتى تهدأ نفسه وتسكن جوارحه وتتهياً أسمع الحضور لاستقبال ما يلقي عليهم من مواظ

### ١٩ - ثقافة الخطيب :

يتمتع الخطيب بمكانة علمية مرموقة في نظر المجتمع الذي يعيش فيه وفي مجال الإرشاد والتوجيه يتبوأ موقفاً رفيعاً يعد في نظر الناس من حوله موسوعة علمية لا يعجزه جواب عن أي سؤال يخطر على بال خاصة على نطاق العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والسيرة النبوية الشريفة والتاريخ والأدب ، ولاشك أن هذه

الثقة التي يمنحها المجتمع للخطيب أمر إيجابي يساعده على أداء مهمته التوجيهية بنجاح وعلى الخطيب والحالة هذه ألا يخيب ظن أبناء المجتمع فيه فيعمل جاهداً على تحصيل العلوم والمعارف المتنوعة ليحافظ على مكانته المرموقة عندهم وإن أهم ما يجب على الخطيب أن يفعله هو بناء شخصيته العلمية فيسعى جاهداً لتنويع ثقافته وتوسيع دائرة معارفه وذلك بالاطلاع الدائم على شتى أنواع العلوم والمعارف ما سلف منها وما هو موجود فيطلع على كل جديد وهذا يساعده على إغناء أي موضوع يتناوله فإذا تناول في إحدى خطبه بدعة الإلحاد وإنكار وجود الله والطعن في الدين يستطيع أن يرد على المفترين بموضوعية ويثبت لهم وجود الله بالأدلة العقلية المنطقية والأدلة العلمية التي يعتبرونها أوثق الأدلة مما يجعلها إذا كانوا غير معاندين يندمون ويتراجعون عن غيهم وضلالهم فيفنيون إلى ظلال الإيمان وينعمون برحمة الله الواسعة فيسعدون في الدنيا والآخرة وهذا لا يتأتى للخطيب إلا إذا كان مطلعاً ومتفهماً لأدلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن المحتم على الخطيب أن يضع في أولويات تحصيله العلمي فهم القرآن الكريم وتدبر آياته وإتقان تلاوته وليكن

على يد أحد العلماء المتخصصين وبإشرافه وأن يحفظ أقصى ما يستطيع من سور القرآن الكريم وآياته مع الأحاديث النبوية الشريفة ويلم بعلم المنطق ويستوعب ما في علم النفس والاجتماع من معلومات ونظريات تساعده على نجاح خطبته وكلما كان الخطيب واسع العلم وكثير المعرفة كان نفعه أكبر وعطاؤه أعظم وغزارة العلم والمعرفة تمد الخطيب بقوة الثقة بنفسه والاستمرار في حديث دون تردد أو حرج والخطيب الناجح يحافظ على المستوى العالي لخطبته وهذا يتطلب منه عدم الانقطاع عن طلب العلم لأن عجلة العلم لا تتوقف مادامت الحياة باقية فالخطيب إذن : يحتاج إلى العلوم واكتساب المعارف الجديدة ولا يتحقق ذلك إلا بالمطالعة المستمرة وحضور مجالس العلماء والأخذ عنهم ومتابعة المطالعة في المراجع والمصنفات الكبرى التي أودع فيها كبار العلماء خلاصة علمهم وعصارة تفكيرهم في الماضي والحاضر ولا بأس أن يكون معه دفتر وقلم يدون كل فكرة تعجبه أو رأي يرتاح إليه أو حكمة قيمة أو حادثة فيها عبرة وعظة .

**١٩- أثر ثقافة الخطيب في نجاحه :**

إذا اتسعت معارف الخطيب وتنوعت ثقافته كان تأثير كلامه في نفوس سامعيه قوياً من جهة ومن جهة أخرى يشعر الحضور بالفائدة فيزداد حرصهم على سماعه ومتابعة خطبه فيأخذون منه الأحكام الفقهية الدقيقة لثقتهم بعلمه وصحيح الأحاديث النبوية الشريفة لتأكدهم من فهمه لها ويجدون متقناً لتلاوة القرآن الكريم ضابطاً لحفظه لا يلحن في قراءته ، وإذا تناول موضوعاً يتصل بقضايا الساعة التي لها علاقة بمستقبل الإسلام وشؤون المسلمين تلقاه عميق الفهم يوثق أفكاره بالأخبار والشواهد من التاريخ والأحداث المعاصرة مما يدل على دقة اطلاعه ومواكبته للقضايا الدولية ورصده للمؤامرات الشريرة التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين في أروقة الدول الاستعمارية الكبرى التي تنفذ بدورها مخططات الصهيونية ، لذا تراه يقرأ الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية واليومية ويتابع الندوات وبرامج وحوارات المحطات الفضائية العربية والأجنبية ولا يعدم الخطيب الناجح الأسلوب الأدبي فتشرق خطبته بسحر البيان وجمال التعبير مما يزيد فصاحته بياناً ووضوحاً فتصل إلى أذهان المستمعين بسهولة ويسر مقرونة بالإعجاب والارتياح .

**٢٠- زاد الخطيب:**

إن الخطيب الناجح لا بد أن يتزود بزداد يتناسب مع مهنته، وأهم ما يتزود به الخطيب ما يلي:-

١- القرآن الكريم: ينبغي على الخطيب أن يكون وثيق الصلة بالقرآن، كثير التلاوة له، متقناً تجويده، مجتهداً في حفظه.

٢- الحديث الشريف: على الخطيب أن يكون جليس كتب الحديث الشريف وأن يطلع على أكبر قدر من أبواب الحديث، كما عليه أن يحفظ قدراً كبيراً من الحديث يمكنه من الاستشهاد بسنة سيد الخلق في شتى المناسبات، ومختلف المجالات.

٣- السيرة والتاريخ: ينبغي على الخطيب أن يهتم بقصص الأنبياء، ويدرس سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- دراسة خاصة من زوايا متعددة، ومراجع متنوعة.

٤- الأحكام الفقهية: ينبغي على الخطيب أن يكون ملماً بكثير من الأحكام الفقهية؛ ليقدم للناس الحلول العملية من الأحكام الإسلامية.

٥- الحكم والأمثال: من أعظم الأساليب المؤثرة الحكم والأمثال، فهي كلمات مختصرة، تجمع خلاصة معانٍ، وحصاد تجارب لها

أبعادها في النفس. والخطيب الموفق هو الذي يحرص على حفظ أكبر قدر من الحكم والأمثال ليستشهد بها في مواضعها.

٦- السياسة والتيارات الفكرية: يجب على الخطيب أن يطلع على أحداث الناس وقضايا الساعة، ويقدم للناس فهم الإسلام في شتى ميادين الحياة.

### ٢١- خصال الخطيب الناجح :

يتصف الخطيب الناجح بعدة صفات

**أ- الحِلم :** فالحلم سيد الأخلاق وهو من الخصال الحميدة التي يحبها الله ورسوله روى الإمام مسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لأشج عبد القيس (إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحِلم والأناة ) ، فلا بد للخطيب أن يكون واسع الصدر يتحمل جهالة الجاهلين ويتقبل النقد انطلاقاً من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن مرآة أخيه ) والأثر المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي) ، فإذا وجهت للخطيب ملاحظة إلى خطبته سواء كانت هذه الملاحظة تتصل بالأفكار أو الأسلوب أو طول الخطبة أو قصرها أو نحو ذلك من الملاحظات التي تتصل بالخطبة فعليه أن تتقبلها فإذا كنت

صحيحة عاد إلى الحق والحق أحق أن يتبع وإن كانت غير موضوعية ناقش صاحب الملاحظة وأقنعه بصواب خطبته دون تعصب أو انفعال لأن الخطيب إنسان غير معصوم فمهما علت رتبته في الخطابة ومهما كان علمه غزيراً وحكماً وفصيحاً فهو معرض للخطأ فبعودته إلى الحق وحسن تلقيه للنقد وسمو خلقه في تقبله يعطي قدوة حسنة بالحلم والخلق الحسن

**ب-التواضع** خلق مطلوب من كل مسلم عامة ومن الخطيب خاصة ، فلا يتعالى بعلمه أو يتباهى بجودة خطبته وحسن إلقائه أو بمهابة الناس له وتوقيرهم لشخصه بل يختلط بجميع أبناء مجتمعه ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم ويسعى في حل مشاكلهم وإصلاح ذات بينهم فهو الأب والأخ والمربي والمتواضع مرفوع الدرجة عند الله والناس إن كان مؤمناً صادقاً . روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه) والتواضع لا يعني أن يتخلى الخطيب عن رزاقته ووقاره فهذا من اتزان الشخصية وهو أمر لا بد منه

## ٢٢ - الخطيب وقضايا الحياة والناس :

عند تدخل الخطيب في خصومات الناس وخلافاتهم عليه أن يأخذ دور المصلح وليس دور القاضي وذلك أحفظ لمكانته إلا إذا كان الظلم بيناً فيردع الظالم بالنصح والتخويف من الله لأنه إن سلك مسلك القاضي أوقع نفسه في حرج مع الناس ، فللقضاء اختصاصه وللإصلاح مجاله حتى في مجال القضاء يكون الإصلاح هو الهدف فقد جاء في رسالة القضاء التي أرسلها الخليفة الفاروق إلى أبي موسى الأشعري بقوله : ( ردوا الخصوم كي يصطلحوا ) وبذلك يكسب ثقة مجتمعه مما يساعده على أداء رسالته الربانية والاستمرار في طلب العلم هو منهج العلماء قال تعالى : ( وقل ربي زدني علماً ) فلا بد للخطيب أن يسلك سبيله ناهيك عن موضوعات الخطيب التي تحتاج إلى تحضير وبحث فكم من خطباء يفشلون في مهمتهم و يتملل السامع من تكرارهم وسطحية أفكارهم وضحالة علمهم فترى مساجدهم تشكو من قلة عدد المصلين بينما تجد مساجد أخرى مكتظة بالمصلين وما ذاك إلا لأن الخطيب يتعلم وينقب ويبحث ويسهر فهو يؤدي أمانة الدعوة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يرفع مكانة الخطيب عند المسلمين زهده في أموالهم ومتاعهم بعزة نفس، قال



صلى الله عليه وسلم: (ازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس) فلا ينبغي للخطيب أن يعيش أسير الولايم إذ من المؤسف أن بعض الشيوخ لا يعطي صورة حسنة عن عفة النفس حتى أصبح الناس يتندرون في أرفع مستوى من ذلك ومما يتصل بمهمة الخطيب ألا يتعصب لرأي أو طريقة أو مذهب اختاره فالإسلام أوسع من أن نحده بما نختاره من آراء ومناهج فقد يسأل شخص سؤالاً عن مسألة لا يجد الخطيب جوابها في مذهبه فليعطه الجواب من مذهب آخر لأن المذاهب الإسلامية كلها من مشكاة واحدة وأما عن مظهر الخطيب فلا بد أن يلحظه وأن يظهر بمظهر لائق بمكانته العلمية الدينية قال تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)، والسنة النبوية الشريفة حافلة بالتوجيهات في مجال النظافة وحسن المظهر . عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعاً وقد رأته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الإمام مسلم (إن الله جميل ويحب الجمال)

٢٣-تنسيق الخطبة :

**التنسيق:** هو تنظيم أجزاء الخطبة، وإحكام تركيبها، وربط بعضها ببعض، ووضع أدلتها في شكل منتج؛ فالتنسيق هو بناء الخطبة، ونظام عقدها، وللخطبة ثلاث مراحل:

١- المقدمة.

٢- الإثبات.

٣- الخاتمة.

**أولاً- المقدمة:**

هي ما يجعلها الخطيب صدر خطبته؛ ليثير الفكر إليها، وليعطي السامعين صورة إجمالية لها، وليحصر لهم معانيه وأفكاره في نطاق لا يعده، ولا يتجاوزه وتشتمل المقدمة على ما يأتي:-

**أ- حسن الافتتاح:**

بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلخ. كما يجب أن يعنى الخطيب بافتتاح خطبته حتى يهيئ الأسماع لتقبله بقبول حسن، ويشترط أن تحتوي المقدمة على حمد الله والثناء عليه وتوحيده وتنزيهه، وكذا ذكر الشهادتين؛ وللخطباء مذاهب شتى في افتتاحهم، وسنذكر بعضها على سبيل المثال، لا الحصر:

- ١- فمن الخطباء من يفتح خطبته بما يشير إلى موضوعها، ويلوح بالقصد منها.
- ٢- ومن الخطباء من يبتدئ خطبته بحكمة أو مثل سائر، أو بعض أقوال المتقدمين، أو آية قرآنية، أو حديث شريف يناسب المقام، ويكون حجة في الاستدلال، كخطيب يبتدئ خطبته في تعاون الجماعة في إصلاح حالها، وتقويم الفاسد من أمرها بتلاوة قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .
- ٣- ومن الخطباء من يفتح خطبته بإحياء آراء قديمة للجماعة، يبنى عليها ما يدعوهم إليه من جديد، كما فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما أئذر عشيرته الأقربين؛ إذ سألهم عن صدق صدقه حديثه فقال صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم لو أخبرتم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ فقالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا"، فألقى عليه الصلاة والسلام خطبته.
- ٤- يستحسن أن تبدأ الخطبة بحمد الله، وبعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي تناسب المقام الديني الذي يتكلم فيه، ويجب أن يكون الافتتاح قصيرا موجزا، موافقا للموضوع.

**ب- المقصد:**

أن يذكر الخطيب في صدر كلامه الموضوع الذي سيتناوله إجمالاً، من غير تفصيل؛ ليهيئ الأذهان لتلقيه، ولا بد عند ذكر المقصد من ملاحظة ثلاثة أمور:

**أحدها:** أن يذكره في قضية عامة، لا يبينها على مقدمات، فإذا كان يريد أن يخطب جمعاً يحثهم على إحياء القرآن الكريم بحفظه والعمل به، يقول مثلاً: في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهكذا نرى الموضوع قد ذكر في قضية عامة.

**وثانيها:** أن يكون واضحاً في الدلالة على الموضوع.

**وثالثها:** أن يلقي في جملة تثير خيال النفس، وتهزها، فتنشط إلى سماع ما يقال، وتهتز أوتار القلب بكل ما يجيء به الخطيب من معانٍ وعبارات جيدة محكمة.

**ج- تقسيم الخطاب:**

إذا كانت الخطبة واسعة الأطراف، مترامية النواحي، كثيرة الشعب، كان عمل الخطيب أن يجمع أشناتها، ويضبط أجزاءها، ويقسمها تقسيماً جامعاً لأطرافها وحواشيها.

**ثانياً - الإثبات:**

- هو موضوع الخطبة وغرضها، وهو الذي يستغرق معظم وقتها، وأفكارها، فينبغي على الخطيب مراعاة ما يلي:-
- أ- أن تكون الأفكار منظمة، ومسلسلة، ومتراصة وواقعية.
- ب- أن يحسن الاستشهاد على كل فكرة في موضعها.
- ج- أن يتجنب الاستطراد الذي يخرج عن الموضوع إلى موضوع آخر فأخر.
- د- أن يحرص على ربط الموضوع بالواقع ودنيا الناس وآثاره في الحياة التي نعيشها.

### ثالثاً- الخاتمة:

- وهي آخر ما يلقي في ذهن المستمع، وآخر ما يتعلق بباله، وللخواتيم أهميتها العظمى في تحقيق أهداف الخطبة لذلك ينبغي على الخطيب أن يراعي ما يلي:-
- ١- أن تتضمن تلخيصاً للموضوع يكون جامعاً مركزاً يجمع أطرافه التي استغرقت معظم الوقت ليضعها أمام المستمع في كلمات مختصرة.
- ٢- أن تشمل على النتائج التي يريد الخطيب استخلاصها والتوصل إليها.

٣- أن تشتمل على توصيات، ودعوة للعمل، والسير نحو خطوة جديدة إلى الأمام.

٤- الدعاء يستحب أن يكون مرتبطا بموضوع الخطبة ومعانيها.

#### -التعبير:

١- يجب على الخطيب أن يعطي المعنى حقه واللفظ حقه، وأن يعتني بهما، وعليه أن يعرف أن تحسين اللفظ يجب أن يكون بجوار إحكام المعنى، وأنه لا غنى له عن المعنى المحكم؛ لأنه عمود الكلام والمقصد الاسمي، ولا عن اللفظ؛ لأنه بهاء القول وزينته، وعليه ألا يتكلف في اختيار اللفظ بل يجب أن يكون كلامه منسجما، متآخي النبرات، لا تنبو ألفاظه، ولا تتجافى عباراته، ولا يلجا في أسلوبه إلى العامية.

٢- إن لكلمات الخطيب أثرا في أذن السامع، ولجرسها وقع في نفسه؛ فالسامع للخطيب يذوق، ويسمع ويفهم ويلاحظ النطق، ولذلك يجب أن تكون ألفاظ الخطبة سهلة النطق، لا يتعثر اللسان في إبرازها، ولا تتزاحم حروفها، وأن تكون ذات رنين خاص يهز أوتار النفس ويثير الشعور، ويجب أن تكون مقاطع الخطبة ذات وقع مؤثر، يلذ السمع، ويجمل الكلام.

### أ- الألفاظ:

نريد بالألفاظ الكلمات المفردة، وأهم خصائص مفردات الخطابة هي:-

١- أن يكون اللفظ واضحاً مكشوفاً وقريباً معروفاً، من السهل إدراك معناه، والوصول إلى مرماه، لا يبعد عن مألوف السامعين.

٢- ألا تكون الألفاظ مبتذلة أو عامية.

٣- أن تكون في الخطبة ألفاظ مناسبة مثيرة لخيال الجماعة، ملائمة لما يريد، فإذا كان يخطب جماعة في الحث على أداء فريضة الحج، ذكر الحرم الشريف، ومقام إبراهيم، وزمزم، وإذا كان يخطب في الحث على الصوم ذكر قرب الصائم من ربه، والتجرد من ملاذ الحياة، ومشاركة نفس الصائم للمعاني القدسية.

### ب- الأسلوب:

١- التصرف في فنون القول، بأن تتعاقب على معنى ضروب مختلفة من التعابير، من تقرير، إلى تعجب، إلى تهكم، إلى نفي؛ لكي يكسب كلامه حدة، ولئلا يذهب نشاط السامعين، ويعتريهم السأم والملال.

٢- حسن التآلف بين الكلمات، وتآخي النغم، بحيث تتحدر الكلمات على اللسان في يسر وسهولة، ويحسن وقعها في الأسماع، فلا تكون منها نابية عن أخواتها، أو ساكنة في غير مستقرها، فتكون قلقة في النطق، وثقيلة على السمع.

### ج-المقاطع:

يجب أن يختار الخطيب المقاطع التي يقف عليها، بحيث يكون وقوفه عند نهاية جزء تام من المعنى الذي يريده، وبأن يكون المقطع ذا رنين قوي، يملأ النفس، ويوجهها نحو الغرض الذي يريده الخطيب.

### ٢٤- طرق تحضير الخطبة:

١- من الخطباء من يكتفي في تحضيره بدراسة الموضوع دراسة تامة، ثم يجمع عناصره في خاطره، وترتيبها بينه وبين نفسه، ويستحضر الألفاظ اللائقة بالمقام، والعبارات الجديرة بالموضوع، وهذه الطريقة لا يتبعها إلا المتمرن على المواقف الخطابية الذي اندرج في سلك الخطباء.

٢- ومن الخطباء من يدرس الموضوع ويهيئ معاني الخطبة، ويرتبها ترتيباً محكماً، ثم يكتب عناصرها وأجزائها في مذكرة



يستصحبها عند الخطبة؛ لتكون مرجعا له وضابطا، وليحفظ المعانى والأفكار من أن تضيع بضلال الذاكرة.

٣- ومن الخطباء من يطلع على الموضوع، ويدرسه بعناية، ثم يتكلم فيه بينه وبين نفسه بصوت مرتفع في غرفة قد انفرد فيها، أو في مكان خلوي، أو يتكلم على بعض الناس.

٤- ومن الخطباء من يكتب الخطبة، ويتحرى في الكتابة أبلغ الاساليب التي توصله إلى غايته، وتؤدي به إلى ما يريد، ويحكم معانيها، ويحملها كل ما يبغى من وسائل التأثير، وطرق الإقناع التي يصوبها نحو هدفه، ويرمي بها إلى غرضه، وبعد الكتابة يقرأ ما كتب مرارا وينقحه في كل مرة. وبهذه القراءة التي يتحرى بها جودة الإلقاء وحسن النطق، تعلق معانى الخطبة مرتبة الترتيب التام بذاكرته، ويحفظ كثيرا من ألفاظها وعباراتها.

٥- ومن الخطباء من يكتبون خطبهم، ويحسنون تحبيرها، ثم يحفظونها حفظا تاما، ومنهم من يتحلل أحيانا مما حفظ، إن وجد المقام يدفعه إلى غيره.

**-والطريقة المثلى لطالب الخطابة:**

أن يبتدئ بكتابة الخطبة وحفظها وإلقائها كما حفظ ثم يأخذ بنفسه بالتغيير شيئا فشيئا فيما حفظ حتى إذا شب في الخطابة، وتقدم في المران عليها، كتب الخطبة وعني بأن تعلق كل معانيها بقلبه، وأكثر ألفاظها بذاكرته ثم يتقدم لإلقائها وقد تحصن بذلك التحضير، فإذا صارت له الخطابة ملكة، وعد في صفوف الخطباء، اكتفى بدراسة الموضوع دراسة وافية، ثم كتب العناصر، أو لم يكتبها إن أسعفته ذاكرة قوية، أو كانت الخطبة قصيرة، لا عناصر لها، وألقى الخطبة مكتفيا بذلك التحضير الذي يقل أنواعه كلفة؛ ولا يكتفي به إلا أعظم الخطباء قدرة.

### أ- الارتجال:

لا يعد الخطيب خطيبا إلا إذا كان قادرا على الارتجال، وقد يخطب فيعترض عليه بعض الناس في خطبته، فإن لم تكن له بديهة حاضرة ترد الاعتراض وتقرعه بالحجة القوية، ذهبت الخطبة وآثارها.

### ب- النطق:

النطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد، وإذا اعترى النطق ما يفسده ضاع الإلقاء فضاعت معه الخطبة وأثرها.

**ج-العناصر التي يحتاج إليها النطق الجيد:**

١- **تجويد النطق:** بأن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة في يسر ورفق وسهولة.

٢- **مجانبة اللحن وتحري عدم الوقوع فيه:** يجب أن يعنى الخطيب بتصحيح الكلام الذي ينطق به، وملاحظته في مفرداته وعباراته فيلاحظ بنية الكلمات ملاحظة تامة، وما توجيه قواعد النحو في آخر الكلمات؛ فإن ذلك يفسد المعنى، وقد يقلبه.

**٣- تصوير النطق للمعاني تصويرًا صادقًا:**

بأن يعطي كل كلمة وكل عبارة حقها، ويظهرها بشكل تتميز به عن سواها، فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يدل على التوكيد في النغم كما دل، والجملة الاستفهامية ينطق بها بشكل يتبين منه الاستفهام والمراد منه عن طريق النطق، كما دل عليه بالأداة الدالة على الاستفهام.

٤- **التمهل في الإلقاء:** وهو إلزام الأمور للخطيب، فالتمهل يجعل الصوت يسري إلى السامعين جميعًا بأيسر مجهود متناسب مع المكان والعدد، بينما الإسراع يجعل الكلمات تحتاج إلى مجهود صوتي أكبر؛ ليصل الكلام إلى الآذان.

**أ-الصوت:** يستحب للخطيب أن يروض نفسه على تصوير المعاني، وأن يجعل من نغمات صوته، وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالة الألفاظ، وليعمل على أن يكون صوته ناقلاً صادق النقل لمشاعر نفسه، وليمرنه التمرين الكافي على أن يكون حاكياً صادق الحكاية لمعاني الوجدان، وخواطر الجنان، وليعلم أن لا شيء كالصوت يعطي الألفاظ قوة حياة، وأنه إذا أحسن استخدامه خلق به جواً عاطفياً يظل السامعين، وبه يستولي عليهم.

**ب-الإشارات:** إن الإشارات هي المخاطبة الصامتة، أو هي لغة التفاهم العامة، وهي في كثير من الأحيان صوت الشعور، وعبارة الوجدان، فالغاضب يعبس وجهه، ويقبض أصابعه، والإشارات بعضها شعوري اندفاعي لا يكون بالإرادة بل بدافع الإحساس الوقتي للخطيب الذي يثيره موقفه الخطابي، وبعضها إرادي قصدي يعتمد إليه الخطيب للتأثير.

وسواء أكانت الإشارات إرادية أم شعورية، فهي ذات أثر في تأكيد الكلام في نفس السامع وتقويته.

**٢٥- فنون الخطابة الإسلامية:**

**١-خطب الوعظ الديني**

**أ-تمهيد:** الوعظ الديني هو الأمر بالمعروف في الدين والنهي عن المنكر فيه، وقد أجمعت عليه الشرائع، وهو القطب الأعظم في الدين، والأدلة على لزوم الأمر بالمعروف، والنهي عن المذكر كثيرة في الشريعة الإسلامية؛ حتى لقد عُدَّتْ -بحق- شريعة التواصي بالحق، والتناهي عن المنكر؛ فقد قال تعالى: {وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العصر] ، وقال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة آل عمران] . وقال جل شأنه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} .

**ب-أقسام الوعظ:**

**تنشعب الخطابة الوعظية إلى أربع شعب وهي:**

**أ- خطب الدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه:** يجب على من يتصدى لهذا النوع من الوعظ أن يكون مرنا على الجدل، قوى الحجة، ناهض الدليل، خبيرا بشئون الجماعات ملما بالملل والنحل

والعقائد القديمة والحديثة؛ ليستطيع الموازنة بين صحيح العقائد وسقيمها، وحقها وأكلمها، فإذا دعا أو جادل كان على بينة من أمره، وعند دعاية قوم إلى الإسلام يبين لهم من مبادئه ما يكون أحب لقلوبهم، والإسلام غني بالمبادئ التي تألفها الجماعات وتحبها؛ إذ هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها، ففيه مبادئ الحرية، وفيه مبادئ الشورى، وفيه مبادئ المساواة، وفيه مبادئ التعاون، وفيه مبادئ السلام، وفيه مبادئ الرحمة والعطف الإنساني، وكل جماعة ترضى ذلك وتألفه، فليقتبس الداعي إلى الإسلام قبسة من ذلك النور يتخذ منها مصباح دعوته؛ ليستضيء به في دياجير الضلال. وإذا آنس الداعي ممن يدعوهم إفا ورغبة في التعرف بعد ذلك، بين لهم حقائق الإسلام كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم، وعرفهم أسرارها وحكمها وصلاحتها، وتاريخ الذين أقاموها. وإذا اعترض معترض على الإسلام فهاجمه في إحدى شرائعه أو مبادئه، وأراد الواعظ أن يرد عليه اعتصم بالمنطق في أشكاله وأقيسته فإنها هي التي تبين ما في الكلام من باطل. وعليه أن يوازن بين الإسلام وبين غيره من العقائد وخصوصاً عقيدة الشخص الذي يدعو أو يناقشه، وليكن ذكر الواعظ لما يعتقد غيره

من غير سب، ولا لعن، حتى لا يحق خصمه، فيندفع في الطعن في الإسلام، وتنتقل المجادلة من مناقشة عقلية إلى سب للعقائد ومعتنقيها، وليعتبر بقوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} ، وبقوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} . وفي هذه الخطب الجدلية التي تشتمل على دعوى إلى الهداية المحمدية يتحرى الخطيب أن يتكلم بلغة من يدعمهم؛ ليستطيع أن يضع أفكاره في الألفاظ التي تدل عليها دلالة محكمة من غير احتمال لغيرها؛ ولتكن عباراته واضحة القصد بينة المقصد؛ لا التباس ولا غموض ولا إبهام، ولتكن بأسلوب رائق جذاب، وألفاظ تثير الخيال وتجذب النفس.

**ب- خطب التعليم الديني للعامة:** هذا النوع من الخطب دروس دينية يلقيها الواعظ على العامة، يعرفهم فيها أصول دينهم والأحكام الشرعية العملية التي يدعو إليها، والفضائل الخلقية التي يحث عليها، ويجعلها أساساً لقيام الجماعة الإسلامية الفاضلة، وهذه الدروس إما بيان العقائد، وإما بيان الأحكام والفضائل، وعليه في بيان العقائد وإثباتها أن يبتعد كل الابتعاد عن الشروح الفلسفية، وأن يبتعد عن مواضع الخلاف ما استطاع إلى ذلك

سبيلا، وليعول كل التعويل على الكتاب؛ فليبين لهم أوصاف الله كما ذكرها القرآن الكريم لا يتعداه، ولا يتجاوزها، وليذكر أوصاف النبيين كما وصفهم الله الأنبياء. وإذا كان الواعظ يعلم الناس أحكام دينهم وفضائله، فعليه أن يعتمد إلى توضيح ذلك كل التوضيح. وفي هذه الخطب التعليمية يتحرى الخطيب أن تكون عباراته واضحة الصور في أذهان الناس من غير أي تنميق أو تحسين، فمقصده الأول أن تنتقل معانيه إلى أخیلتهم، فيتصوروها كما تصورها هو، وإن اضطر في سبيل ذلك إلى أن يكون درسه كله بالعامية فليفعل؛ لأن الغرض من هذا النوع من الخطب التفهيم لا التأثير، وتوضيح الفكرة لا تزيينها وإن كان أولى أن يعود نفسه على النطق باللغة العربية.

### ج- خطب تثبيت الإيمان وتقويته:

يتجه الخطيب إلى هذا النوع من الخطب؛ ليقوي اليقين في قلوب المؤمنين، ويثب دعائم الإيمان في قلوب المهتدين، ويلقي في نفوسهم الحماسة لدينهم. وليجعل الخطيب قوام خطبته الأمور الآتية:



**١- فضائل الإسلام:** فيبين لهم فضائله. وكيف كان طريق المجد والعلو في الدنيا والآخرة، ويبين لهم أنه عصمة للجماعات، وحفاظ لوحدها، وأنه مربي الوجدان، وموقظ الضمائر، وأنه العاطف على المسكين وابن السبيل، والداعي إلى الإخاء والحرية والمساواة، وأنه المشتمل على الشرائع التي تكون ممن يأخذون بها جماعة فاضلة، أسست على تقوى من الله ورضوان.

**٢- الكتاب:** فيشرح بعض آيات الكتاب الحكيم المبينة حقيقة الإيمان الذاكرة أوصاف المؤمنين، وما يكون لهم يوم القيامة من منزلة، وما لهم في الدنيا من مكانة. فالقرآن بما حفّ من جلال، وبما اشتمل عليه من إعجاز وبلاغة، وبما له من حلاوة، وما عليه من طلاوة يهز الإحساس، ويقوي الإيمان وفيه هدى للمتقين. وفي هذه الخطب تُختار الألفاظ القوية الرنانة التي تثير في النفس المعاني القدسية الروحية، وتذهب بها في مجال المعنويات، وتحلق بها في سماء الحقيقة.

**د- خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات:** يتجه الواعظ في هذه الخطب إلى إصلاح العيوب الشائعة الضارة بالمجتمع، الهادمة لبناء الأخلاق فيه، فقوام هذه الخطب محاربة المنكرات، ومنع

الفواحش من أن تشيع في الذين آمنوا، ولكي يصل الخطيب إلى هدفه لا بد أن يجعل الخطبة متصدية لعيب واحد، وليبدأ الواعظ في خطبته بأكثر المعاصي خطراً، وأشدّها هدماً للدين، وفي وعظ الناس بالنهي عن المنكر يبين لهم الخطيب مضار المنكر التي تنزل بمرتكبه، والحائقة به، ثم يبين لهم مضاره بالمجتمع، ويستشهد بآيات القرآن الكريم وما فيه من دلالة على قبح ذلك المنكر، والآيات الواردة في الترهيب منه، والترغيب في نقيضه، ويمثل ذلك يستعين بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبالمأثور رغبة، ويبين هديه عليه الصلاة والسلام وفي هذه الخطب ينوع الخطيب عباراته، فتارة يختار الألفاظ القوية التي تهز الحس حساً عنيفاً إن أراد تحذيرهم بالترهيب من سوء العاقبة، وتارة يختار الألفاظ السهلة اللينة الرقيقة إن أراد اجتذابهم إلى اليسير فيما فيه حسن المآل.

### ٢٦- نماذج مساعدة في الخطابة

أ- في التحاميد المقتبسة من القرآن الكريم : (١) من كتاب الاقتباس من القرآن الكريم للثعالبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ج١، بتصرف).

١- الحمد لله ذي الأسماء الحسنی والمثل الأعلى لا يؤوده حفظ كبير ولا يعزب عنه علم صغير ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ . و﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ {البقرة: ٢٥٥}. ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ .

٢- الحمد لله خلق الأشياء كلها على غير مثال وأنشأها على غير حدود ودبر الأمور بلا مشير، وقضى في الدهور بلا ظهير، و [أمسك] ٧ السماء بقدرته ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ "الحج: ٦٥".

، وبنائها بإرادته وأسكنها ملائكته الذين اصطفاهم لمجاورته وجبلهم على طاعته٩، ونزههم عن معصيته، وجعلهم سكان سماواته، وحملة عرشه، ورسله إلى أنبيائه: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ، وبسط [الأرض] لكافة خلقه، وقسم بينهم الأرزاق وقدر

لهم الأوقات. فهم في قبضته يتقلبون، وعلى أفضيته يجرون حتى يرث الأرض ومن عليها "وهو خير الوارثين".

٣- الحمد لله الذي خلق السماء بأيده فرفعها، ودحا الأرض بقدرته فبسطها، وبث فيها من كل دابة، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير. الحمد لله الذي قدر فسوى، وخلق فهدي، ولم يترك خلقه سدى، ولكنه امتحنهم وابتلاهم، وأمرهم ودعاهم لما يحييهم، وندبهم إلى ما ينجيهم، فقال: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}. الحمد لله المعز المذل، المرشد المبطل الذي يزهق الباطل بنعمائه، {وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.

٤- الحمد لله السابغ عطاؤه، النافذ قضاؤه، الذي ينتقم من الظالمين {وَلَا يَرُدُّ بِأَسْفُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}.

### ب- في التقوى:

١- قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ {٣}. ٢- وقال: {فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.

٣- وقال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

٤- وقال: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}.

٥- وقال: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

٦- وقال: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

٧- وقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}

٨- وقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}

### ج- في الصبر:

١- وقال الله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ} {اصْبِرُوا} ، {وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ، {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}.

٢- وقال: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا}.

٣- وقال: {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}.

٤- وقال: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}.

### د- في الشكر:

١- {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ}.

٢- {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ}.

٣- {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}.

٤- {وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.

٥- {إِنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

٦- {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}.

٧- {بِئْسَ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}.

#### هـ- في العفو:

١- قال الله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ،  
{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

٢- وقال: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.

#### و- في صلة الرحم:

١- قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ}.

٢- وقد ذم قاطع الرحم فقال: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}.

#### ز- في بر الوالدين:

١- قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}.

٢- وقال عز ذكره: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} فأمر بشكر الوالدين بعد شكره.

### ح- في الإنفاق والجود:

١- قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ}.

٢- وقال: {الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

٣- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} ،

٤- وقال تعالى: {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}.

٥- وقال تعالى: {وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ} ، {وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ} ، {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

### ط- في ذكر المروعة:

- ١- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.
- ٢- في حسن القول للناس: قال الله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}.
- ٣- وقال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.
- ٤- وأمر نبيه موسى وأخاه هارون بتليين القول لفرعون فقال لهما: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.
- ٥- وقال تعالى: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ [وَمَغْفِرَةٌ] خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى}.

### ي- في الصدق:

- ١- قال الله تعالى: {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}.
- ٢- وقال تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ}.

- ب- الخطابة الحفلية:** وتلقى في الحفلات والمناسبات وتتوجه نحو موضوع الحفل المطلوب مثال: (خطابات الزعماء والملوك - التهنئة - التعزية بموت عزيز -)
- ١- الخطابة السياسية:
  - ٢- خطابة التهنئة:



٣-خطابة التعزية :

٤-الخطابة في المجالس الدولية:

٥-الخطابة في المناسبات الوطنية :

الباب الثالث  
فن الخطابة  
في العصر الجاهلي  
الباب الثاني  
الفصل الأول

## ماهية الخطابة الجاهلية

أقدم فنون النثر الجاهلية، لأنها تعتمد علي المشافهة، وهي فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد علي الاستمالة وعلى إثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب ، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة. أما الإقناع فيقوم علي مخاطبة العقل، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين. وللخطابة شأن عظيم عند الجاهليين يضاهاى شأن الشعر ، إذ أن هذه الخطابة كانت نظرا لعدم وجود قوانين مدونة ، ونظم حكومية يلجأ إليها للدفاع عن النفس والقوم والقبيلة ومفاخرة القبائل الأخرى والدعوة إلى الصلح في المواسم والمحافل . وقد اختلف الدارسون في منزلة الخطيب فاعتبرها البعض كعمرو بن العلاء فوق منزلة الشاعر نظرا لتكسب الشعراء بشعرهم ،وردها الجاحظ إلى كثرة الشعراء وقد كان للعرب الجاهليين سنن خاصة في خطابتهم كأن يخطبون وهم يركبون رواحلهم في المواسم أو أن يقفوا على نثر من الأرض وأن يشيروا أثناء خطبهم بالعصي

والقسي والقنا وقد امتدح الدارسون في الخطيب جهارة الصوت وفخامته وظهور المحبة وثبات الجنان وذموا البهر عند الخطيب والارتعاش والرعدة والحصر والعي ، والخطابة حديث يقصد به إثارة المشاعر وإلهاب العواطف في الحال. والحياة الجاهلية جعلت الخطابة ضرورية لهم، فهم في اجتماعاتهم وفي عرض آرائهم، وفي القيام بواجباتهم في السفارات والوفود كانوا -ولا شك- يحتاجون إلى الإفصاح عما يريدونه؛ رغبة في الوصول إلى مقاصدهم وكلما كان إفصاحهم أقوى وأعذب كان تأثيره في القلوب أشد، فساعد ذلك على وجود الخطابة بينهم. وقد ثبت أنهم كانوا يخطبون في مناسبات شتى، فبالخطابة كانوا يحرصون على القتال؛ استثارة للهمم، وشحذًا للعزائم، وبها كانوا يحثون على شن الغارات؛ حبًا في الغنيمة، أو بثًا للحمية رغبة في الأخذ بالثأر، وبالخطابة كانوا يدعون للسلم؛ حقنًا للدماء، ومحافظة على أوامر القربى أو المودة والصلة، ويحببون في الخير والتصافي والتآخي، ويبغضون في الشر والتباغض والتناذب، وبالخطابة كانوا يقومون بواجب الصلح بين المتنافرين أو المتنازعين، ويؤدون مهام السفارات جلبًا لمنفعة، أو درعًا لبلاء، أو تهنئة بنعمة، أو تعزية أو

مواساة في مصيبة، فوق ما كانت الخطابة تؤديه هذه المصاهرات، فتلقى الخطب ربطاً لأواصر الصلة بين العشائر، وتحبيب المتصاهرين بعضهم في بعض.

## الباب الثالث

# الفصل الثاني

## مكانة الخطيب في العصر الجاهلي

كان الخطباء في العصر الجاهلي يحفلون بخطبهم، ويتخيرون لها أشرف المعاني، وأقوى الألفاظ، وأشدّها وقعا على القلوب؛ ليكون تأثيرها أعظم، ويقال إنهم كانوا يخطبون، وعليهم العمائم، وبأيديهم المخاصر، ويعتمدون على الأرض بالقسي، ويشيرون بالعصي والقنا، راكبين أو واقفين على مرتفع من الأرض . وقد أثارت الشعوبية في موقفها من العرب عادة اتخاذهم العصي والمخاصر في أثناء خطابتهم، فرد عليهم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، مبيّناً فوائد العصا، ومما قاله: "إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة. وذلك شيء خاص في خطباء العرب، ومقصود عليهم، ومنسوب إليهم، حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم، والمخاصر بأيديهم إفاً لها، وتوقعاً لبعض

ما يوجب حملها، والإشارة بها". ونجد أمثلة من خطب الجاهليين في كتب الأدب والتاريخ؛ مثل العقد الفريد لابن عبد ربه؛ والأغاني؛ والأمالي؛ والبيان والتبيين للجاحظ، وفتوح الشام لأبي إسماعيل البصري، وفتوح الشام للواقدي، وفتوح البلدان للبلاذري وتاريخ الطبري، وابن الأثير. لما كان للخطيب والخطابة في العصر الجاهلي من شأن عظيم، إذ كانوا يستخدمونها في منافراتهم ومفاخراتهم، وفي النصح والإرشاد، وفي الحث على قتال الأعداء، وفي الدعوة إلى السلم وحقق الدماء، وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة كالزواج، والإصهار إلى الأشراف، وكانوا يخطبون في الأسواق والمحافل العظام، والوفادة على الملوك والأمراء، متحدثين عن مفاخر قبائلهم ومحامدها، ونحن نعرف قصة وفد تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان من قيام عطارد بين حاجب بن زرارة خطيبا بين يديه، ويقول أوس بن حجر في رثاء فضالة بن كعدة:

أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ... أمسوا من الخطب في نار وبلبال  
أم من يكون خطيب القوم إذ حفلوا... لدى الملوك ذوي أيد وأفضال  
ويقول فيه أيضا :

ألهفا على حسن آلائه ... على الحابر الحي والحارب  
ورقبته جثمات الملو ... ..ك بين السرادق والحاجب  
ويكفي المقالة أهل الدحا ... ل غير معيب ولا عائب  
ورقبته: انتظاره إذن الملوك، وقد تجعله بين السرادق، والحاجب  
ليدل على مكانة من الملك. وهناك دلائل مختلفة تدل على أن  
منزلة الخطيب في الجاهلية كانت فوق منزلة الشاعر، ويقول أبو  
عمرو بن العلاء: "كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب،  
لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم،  
ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من  
كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم، فلما كثر  
الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السوق،  
وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"،  
وتابعه الجاحظ يقول: "كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم  
إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم، وتذكيرهم بأيامهم. فلما كثر الشعراء  
وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر". وواضح أن  
الجاحظ يجعل كثرة الشعر والشعراء وحدها هي السبب في تقدم  
الخطباء، أما أبو عمرو فيرد ذلك إلى أن هذه الكثرة استتبع



تحول الشعراء إلى التكسب بشعرهم، ومسارعتهم إلى الطعن في الأعراس، ونظن ظنا أن تفوق الخطيب على الشاعر في الجاهلية يرجع إلى طائفة متشابهة من الأسباب منها أن الخطابة كانت من لوازم ساداتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام، ومن أجل ذلك كانت تقترن بها الحكمة والشوق والرياسة، كما تقترن بها الشجاعة، ويتضح ذلك في مراثيهم، ومدائحهم لساداتهم على نحو ما تقدم في رثاء أوس بن حجر لفضالة بن كعدة، ويقول الأعشى في مديح قوم:

فيهم الخصب والسماحة والنج ... دة جمعا والخابط الصلاق

ويقول زيان بن سيار الغزاري:

ولسنا كأقوام أجدوا رياسة ... يرى مالها ولا يحس فعالها

يريدون في الخصب الأمور، ونفعهم... قليل إذا الأموال طال هزالها

وقلنا بلا عي وسسنا بطاقة ... إذا النار نار الحرب طال اشتعالها

ويقول عامر المحربي:

أولئك قومي إن يلذ ببيوتهم ... أخو حدث يوما فلن يتهضما

وكم فيهم من سيد ذي مهابة ... يهاب إذا مار رائد الحرب أضرم

وهم يدعمون القول في كل موطن ... بكل خطيب يترك القوم كظما

يقوم فلا يعيا الكلام خطيبنا ... إذا الكرب أنسى الحبس أن يتكلما  
وأیضا إلى هذا السبب تفوق الخطيب على الشاعر في الجاهلية  
اتساع وظيفته، إذ كان يفاخر وينافر عن قومه، فيشترك بذلك مع  
الشاعر كما يشترك معه في الحز على القتال، ثم ينفرد بمواقف  
خاصة به كالوفادة على الملوك، وكانصح والإرشاد، وخطبهم في  
الإملاك والزواج مشهورة، ومن أهم المواقف التي كان ينفرد بها  
أنه كان يدعو إلى السلم، وأن تضع الحرب بين القبائل المتخاصمة  
أوزارها، أما الشاعر فلم يكن يدعو إلا إلى الأخذ بالثأر، وإشعال نار  
الحرب، ولعل ذلك ما جعل ربيعة بن مقروم الضبي يقول:  
ومتى تقم عند اجتماع عشيرة ... خطباؤنا بين العشيرة يفصل  
ويقول أبو زبيد الطائي:  
وخطيب إذا تمعرت الأو ... جه يوما في مآقط مشهود  
ويقول بشر بن أبي خازم :  
وكنا إذا قلنا: هوازن أقبلي ... إلى الرشد لم يأت السداد خطيبها

# الباب الثالث

## الفصل الثالث

### أشهر الخطباء في العصر الجاهلي

تتردد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ وغيره من كتب الأدب أسماء طائفة كبيرة من خطباء الجاهلية الذين اشتهروا بالفصاحة، ووضوح الدلالة والبيان عما في أنفسهم، مما جعل الأسماع والقلوب تهش إليهم، ويعظم في الناس خطرهم، ويشيع في الآفاق ذكركم، وكانوا ينتشرون في الجزيرة بمكة، والمدينة وما وراءهما من قبائل البادية، أما مكة المكرمة ، فقد كانت بها دار الندوة، وهي أشبه بمجلس شيوخ مصغر، كان يجتمع فيها سادة العشائر

القرشية يتشاورون في أمورهم، وفي أثناء ذلك يخطبون ويتحاورون

### وأشهر الخطباء في الجاهلية:

١- قس بن ساعدة الأيادي، وقد أدركه النبي صلى الله عليه وسلم فرآه في سوق عكاظ على جمل أحمر،

٢- وسحبان بن وائل الباهلي الذي ضرب بفصاحته المثل. فقيل: "أخطب من سحبان" ويقال إنه كان إذا خطب يسيل عرقاً، ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى ينتهي من كلامه

٣- ومن خطباء تميم المشهورين: ضمرة بن ضمرة،

٤- وأكثم بن صيفي،

٥- وعمرو بن الأهتم المنقري،

٦- وقيس بن عاصم.

٧- ومن خطبائهم المفوهين عتبة بن ربيعة، وهو خطيب قريش يوم بدر،

٨- ومن خطبائها سهيل بن عمرو الأعلم، وهو الذي قال فيه عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال

الرسول عليه السلام: "لا أمثل فيمثل الله بي، وإن كنت نبيا، دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده". وقد أسلم وحسن إسلامه، وكانت له مواقف محمودة.

٩- ولقريش أيضا خطباء كان ينفر إليهم العرب أمثال هاشم وأمّية ،

١٠- ونفيل ابن عبد العزى جد عمر بن الخطاب، وإليه نفر عبد المطلب بن هاشم، وحرب بن أمية .

١١- وأما المدينة المنورة ، فذكر الجاحظ من خطبائها قيس بن الشماس،

١٢- وثابت بن قيس بن شماس خطيب الرسول صلى الله عليه وسلم،

١٣- وسعد بن الربيع، وهو الذي اعترضت ابنته الرسول صلوات الله عليه، فقال لها: "من أنت؟ فقالت: ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع".

١٤- وإذا تركنا مكة والمدينة إلى القبائل المنبثحة في البادية، وجدنا ممن اشتهروا فيها بالخطابة ابن عمار الطائي، وهو خطيب مذبح كلها،

١٥- وهانئ بن قبيصة خطيب شيبان يوم ذي قار،

١٦- وزهير بن جناب خطيب كلب وقضاعة،

١٧- وربيعة بن حذار خطيب بني أسد، وإليه احتكم الزبيرقان بن بدر والمخبل السعدي، وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهمم أيهم أشعر.

١٨- ومن الخطباء المشهورين في القبائل أيضا عامر بن الظرب أحد حكام العرب في الجاهلية، ومن كانوا يقضون بينهم في خصوماتهم.

١٩- وممن اشتهر باللسن والخطابة، والشعر لبيد بن ربيعة العامري، ومن قوله:

وأخلف قسا ليتني ولو أنني ... وأعيى على لقمان حكم التدبير  
ومن قوله أيضا:

وأبيض يجتاب الحروق على الوجى.

خطيبا إذا التف المجامع فيصلا

٢٠- ومن خطبائهم هرم بن قطبة الفزاري، وهو صاحب المناقرة المشهورة بين علقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل، وقد رآه عمر بن الخطاب يوما في المسجد، فقال له: "أرأيت لو تنافرا إليك -

يعني علقمة وعامر - أيهما كنت تنفر: يا أمير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة، فقال عمر: لهذا العقل تحاكت إليك العرب".

٢١- ومن الخطباء البلغاء عمرو بن كلثوم خطيب تغلب.

٢٢- وهيدان بن شيخ الذي قال فيه الرسول عليه السلام: "رب خطيب من عبس"

٢٣- والعشراء ابن جابر

٢٤- وخويلد بن عمرو خطيب يوم الفجار

٢٥- وقيس بن خارجة بن سنان، ويقال: إنه خطب في حرب داحس والغبراء يوما إلى الليل، وكل هؤلاء من غطفان.

٢٦- ومن الخطباء حنظلة بن ضرار خطيب بني ضبة، وقد طال عمره حتى أدرك يوم الجم.

٢٧- ولم تشتهر قبيلة بالخطابة كما اشتهرت إياد وتميم، ومن إياد قس بن ساعدة الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "رأيتك بسوق عكاظ على جبل أحمر، وهو يخطب في الناس".

٢٨- ومن خطباء تميم المفوهين ضمرة بن ضمرة،

٢٩- وأكثم بن صيفي وقيس بن عاصم ،

٣٠- وعطار بن حاجب بن زرارة خطب وفد تميم بين يدي الرسول،  
٣١- وعمرو بن الأهمم المنقري، ولم يكن في بادية العرب في  
زمانه أخطب منه.

## الباب الثالث

## الفصل الرابع

## سنن الخطيب الجاهلي

وما من ريب في أن هذه الكثرة من الخطباء - ووراءهم كثير لم  
نذكرهم - تدل دلالة بينه على ما كنت عليه الخطابة من رقي  
وازدهار. وكان للخطباء حينئذ سنن خاصة في أداء خطابتهم، منها  
أنهم كانوا يخطبون على رواحهم في المواسم العظام، والمجامع  
الكبار، وكان من عادتهم لوث العمائم على رؤوسهم، والإشارة في



أثناء خطابتهم بالعصي والمخاطر والقنا والقضبان والقسي . وفي ذلك يقول لبيد:

ما إن أهاب إذا السرادق غمه ... قرع القسي وأرعرش الرعيد  
وقد حملت الشعوبية حملة شعواء على العرب لاتخاذهم في  
خطابتهم

المخاصر والعصي، ووصل أيمانهم بالقضبان والقسي، ورد عليهم  
الجاحظ ردا طويلا مفحما في فاتحة الجزء الثالث من كتاب البيان  
والتبيين. والعرب يمدحون جهارة الصوت وشدته، ويعيبون ضيقه،  
ودقته كمان يعيبون على الخطيب أن يعترضه البهر، والارتعاش  
والرعدة، أو يعترضه شيء من الحصر والعي، يقول أبو العيال  
الهدلي:

ولا حصر بخطبته ... إذا ما عزت الخطب  
وكان يكرهون أن يمس الخطيب نقته، وسباله وشواربه، يقول معن  
بن أوس المزني في بعض هجائه:

إذا اجتمع القبائل جئت ردفا ... وراء الماسحين لك السبالا  
فلا تعطي عصا الخطباء فيهم ... وقد تكفى المقادة والمقالا

وإذا كانوا قد عابوا ذلك في الخطيب، فقد مدحوا فيه -على نحو ما يلاحظ ذلك الجاحظ في بيانه- شدة العارضة، وظهور الحجة، وثبات الجنان وكثرة الريق، والعلو على الخصوم في مضايق الكلام، ومآزق الخصام. ومن سنن وتقاليد إلقاء الخطب أنه :

- ١- كأن يقف الخطيب على مرتفع من الأرض، معتمداً على قوسه، أو ممسكاً بعصا يشير بها،
- ٢- وقد يخطب راكباً على ناقته، ويديه المرح، وقد لاث العمامة على رأسه.

**-ومما يمدح به الخطيب عندهم:**

- ١- حضور البديهة،
- ٢- وقلة التلفت،
- ٣- وقوة الجنان،
- ٤- وظهور الحجة،
- ٥- جهارة الصوت.

**- ومن عيوب الخطيب :**

- ١- التنحنح،
- ٢- والانقطاع،

٣- والاضطراب،

٤- والتعثر في الكلام.

# الباب الثالث

## الفصل الخامس

### أنواع الخطابة في العصر الجاهلي

تعددت أنواع الخطابة في هذا العصر:

- ١ - خطب المنافرة المفاخرة
- ٢-خطب النصح والإرشاد
- ٣-خطب الحث على القتال
- ٤- خطب الدعوة للسلم وحقق الدماء
- ٥- خطب الزواج والمصاهرة
- ٦-خطب الأسواق والمحافل العظام
- ٧- الوفادة على الملوك والأمراء

٨- الحديث على مفاخر القبيلة و محامدها

# الباب الثالث

## الفصل السادس

### مميزات الخطابة الجاهلية:

- ١- قصر العبارة
  - ٢- وكثرة الحكم والأمثال
  - ٣- واللجوء إلى السجع القصير الفواصل
  - ٤- الإحاطة بالتجويد والصور ومخارج الكلمة
- وقد ازدهرت الخطابة عند العرب متأخرة في الزمن، لأن الشعر كان متفوقاً عليها، فلما أصبح الشعر مطية للتكسب صارت منزلة الخطيب هي المقدّمة. واشتهر في العصر الجاهلي خطباء كثيرون، مثل: قس بن ساعدة الإيادي، وهانئ بن قبيصة الشيباني وعامر بن الظرب العدواني، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي وعمرو بن الأهتم التميميان، وهاشم بن عبد مناف القرشي. عمرو

بن معد يكره عمرو بن كلثوم ، ، عمرو بن الأهمم المنقري وتعد  
قبيلة تميم من أشهر القبائل العربية خطابة .

## الباب الثالث

### الفصل السابع

# أغراض الخطابة في العصر

## الجاهلي

وقد تعددت أغراض الخطابة الجاهلية وأنواعها، إزاء هذا الازدهار، فكانت

- ١- وسيلة للتحريض على القتال،
- ٢- أو للأخذ بالتأثر،
- ٣- وربما كانت في الوقت نفسه سبيلاً إلى إصلاح ذات البين أو إرساء قواعد السلم.



- ٤- وقد تكون في إشاعة المفاخر، والإشادة بالأنساب أمام الملوك وزعماء القبائل، والأمراء.
- ٥- وقد تلقى الخطب في مناسبات الزواج، والمصاهرات بين ذوي الأحساب والأنساب، فيتكلم خطيب من كل جانب. قال الجاحظ: «كانت خطبة قريش في الجاهلية، يعني خطبة النساء: باسمك اللهم ذكرت فلانة، وفلان بها مشغوف. باسمك اللهم، لك ما سألت، ولنا ما أعطيت».

# الباب الثالث

## الفصل الثامن

### خصائص الخطابة في العصر الجاهلي

الخطابة مظهر من مظاهر السيادة عند العرب وعلامة من علامات  
كبريائهم واعتزازهم وسبيل من سبل التأثير والإقناع تحتاج إلى  
حذاقة اللسان ونصاعة البيان وطلاقة البديهة والعرب ذوو نفوس

حساسة وإباء وأولو غيرة ونجدة فكان لهم فيها القدم السابقة والقدح المعلى يلجأ إليها المرء للدفاع عن نفسه وقومه في مواقف المفاخرة والذود عن الشرف والذمار وإصلاح ذات البين بين حي وحي أو بين قبيلة وقبيلة والدعوة إلى التفاهم والصلح كما كان يدعو الخطيب إلى الحرب وسفك الدماء ، وكانوا كثيراً ما يخطبون في وفادتهم على الأمراء والملوك إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير أو الملك فيحييه متحدثاً بلسان قومه يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين اعلم أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه ومن الطوال ما يكون مستويّاً في الجودة ومتشاكلاً في استواء الصنعة ومنها ذوات الفقر الحسان والنتف الجياد ووجدنا عدد القصار أكثر ورواة العلم إلى حفظها أسرع وقد اتخذ العرب من مجالسهم ومن أسواقهم ومن وفاداتهم على الأمراء والملوك ميادين لإظهار براعتهم في فنون الكلام وما فطروا عليه من فصاحة وحضور بديهة وكادت منزلة الخطيب تعلق بمنزلة الشاعر لولا حاجتهم إلى الشعر الذي يعزز شأنهم ويرفع منزلتهم ويهيب من فرسانهم عرف العرب لونيّن من الخطابة لونا

مسجوعاً ولوناً مرسلأ إذ كانوا يبتغون التجويد في كلامهم تارة بما يصوغونه فيه من سجع وتارة أخرى بما يخرجونه من استعارات وأخيلة فجاء أسلوب الخطابة عندهم رائع اللفظ خلاب العبارة واضح المنهج قصير السجع كثير الأمثال يعتمد على الخيال والبلاغة

**-وأهم خصائص أسلوب الخطبة الجاهلية فهي:**

- ١- وضوح الفكرة.
- ٢- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.
- ٣- الإكثار من السجع غير المتكلف.
- ٤- التنوع في الأسلوب بين الخبري والانشائي.
- ٥- قلة الصور البيانية..
- ٦- استخدام الأسلوب المرسل في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، و لا يغفل صاحب الأسلوب المرسل- في الوقت نفسه عن تجويد وتنقيح خطبته، والتروي فيها، سعياً إلى إثارة السامعين واستمالتهم.
- ٧ - إثارة قصر العبارة ، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال،
- ٨- قد تطول الخطبة ، وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقدر من العناية.

**ط - أجزاء الخطبة الجاهلية :** للخطبة أجزاء ثلاثة هي :

(المقدمة - والموضوع - والخاتمة)

أما أهداف الخطبة فهي: الإفهام والإقناع والإمتاع والاستمالة.

**ي - أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي:**

ازدهرت الخطبة في العصر الجاهلي للأسباب التالية :

١- حرية القول.

٢ - وجود دواعي الخطابة كالحرب والصلح والمغامرات.

٣ - الفصاحة فكل العرب كانوا فصحاء.

ولقد اجتمعت كل هذه الخصائص في خطبة (قس من ساعدة الإيادي) والجدير بالذكر أنه ليس بين أيدينا نصوص وثيقة من الخطابة الجاهلية، لما قلناه من بعد المسافة بين العصر الذي قبلت فيه وعصور تدوينها؛

# الباب الثالث

## الفصل التاسع

### صناعة الخطابة

### في العصر الجاهلي

من الصفات التي تميز عرب الجاهلية أنهم كانوا يحبون البيان، والطلاقة والتحبير والبلاغة، ودفعهم ذلك إلى الاحتفال بخطاباتهم احتفالا شديدا، لا من حيث الصقل، وتجديد الألفاظ فحسب، بل

أيضا من حيث مخارج الكلم، ولعلمهم من أجل ذلك كانوا يتزيدون في جهازة الأصوات، كما كانوا ينتحلون سعة الأشداق، وهذل الشفاه، حتى إن فريقا منهم كانوا يتخللون كلامهم بألسنتهم ، ومن لم يصنع ذلك عمد إلى ضروب من التتعير والتمطيط والجهورة والتفخيم . وليس بين أيدينا نصوص وثيقة نستطيع بها أن نحكم أحكاما دقيقة على خطابتهم وصناعتهم فيها، وحقا نجد بعض خطب مبثوثة في الطبري، والأغاني والأمالى والعقد الفريد، ولكن هذه الخطب جميعا ينبغي أن نتلقاها بشيء من الاحتراس، وخاصة ما رواه الكتاب الأخير من خطب طويلة لهم في وفودهم على كسرى وغير كسرى، فإن الانتحال ظاهر فيها، أما الخطب الأخرى، فأكبر الظن أن الرواة جمعوا بعض شظايا ، وزادوا عليها من خيالهم، ومن ثم لا يصح الاستدلال بهذه الخطب جميعا على أنها تمثل الخطابة الجاهلية تمثيلا صحيحا، وهذا الجاحظ على كثرة ما روى في بيانه من خطب لم يستطع الاستشهاد للجاهليين، إلا بجمل وصيغ متفرقة لا تكون خطبة كاملة. ومهما يكن فنحن نؤمن بأن أكثر ما يروى من الخطابة الجاهلية لا يصح الاطمئنان إليه من الوجه التاريخى لطول المسافة بين روايته وكتابته، وإن كان

ذلك لا يمنعنا من تسجيل بعض الظواهر، والخصائص لتلك الخطابة، فإن من يرجع إلى ما روي منها من كتب الأدب والتاريخ يلاحظ أن أغلب ما روي من خطب القوم روي مسجوعا، ويؤكد الجاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي روى خطبة قس بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ، ويقول: إنه إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال، ومع ذلك لم يستطع روايتها كاملة إنما روى أجزاء منها. وواضح أن هذه القطع من خطابة قس بنيت على السجع، وقد روى الطبري كلمة لنفيل بن عبد العزوى في منافرة عبد المطلب بن هاشم، وحرب بن أمية، وهي مسجوعة كما روى أبو عبيدة في النقائض منافرة جرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن أرطاة الكلبي إلى الأقرع بن حابس، وهي مسجوعة أيضا، وبنيت على السجع كذلك منافرة علقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل . ولم نسق ذلك لنسلم بصحة هذه المرويّات من المنافرات وصحة صياغتها، ولكننا سقناه لتخلص منه إلى أنه ثبت عند من كانوا يروون المنافرات والخطب الجاهلية أنها كانت تعتمد اعتمادا شديدا على السجع، ويؤيد ذلك قول الجاحظ: إن "ضمرة بن ضمرة وهم بن قطبة، والأقرع بن حابس ونفيل بن عبد العزى كانوا



يحكمون وينفرون بالأسجاع، وكذلك ربيعة بن حذار" ، وقد اشتمل هذا النص على خطباء من تميم، وأسد وفزارة وقريش، وفي ذلك ما يدل على شيوع السجع في الخطابة الجاهلية. وما من شك في أن صناعة السجع تحتاج إلى قيم موسيقية كثيرة، حتى تتم معادلاته الصوتية وموازنته الإيقاعية، وكانوا يدمجون كثيرا من الصور والتشبيهات والاستعارات في هذا السجع، كما كانوا يدمجون كثيرا من التجويد والتحبير، ويشهد لهم الجاحظ بما كانوا يعانونه في خطبهم وخاصة الطويلة منها إذ يقول: "لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد، وفي صنعة طوال الخطب ... وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معازم التدبير، ومهمات الأمور مثله في صدورهم، وقيدوه على أنفسهم، فإذا قومه الثقات وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محكاً منقحا، ومصفى من الأدناس مهذبا" ، وقد عبر العرب أنفسهم في شعرهم بصور مختلفة عن مدى تجويدهم في خطابتهم، وانظر إلى لبيد يقول لهرم بن قطبة في حكومته بين علقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل :

إنك قد أوتيت حكما معجبا ... فطبق المفصل واغنم طيبا

يقول له: احكم بين الرجلين بكلمة فصل تفصيل بها بين الحق، والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين. ويقول لبيد عن نفسه مدلا ببيانه وبراعته، وما أوتي من حسن الجدل والعلو على خصومه:

ومقام ضيق فرجته ... ببيان ولسان وجدل

ويقول قيس بن عاصم المنقري التميمي واصفا ما فيه قومه من الخطابة والفصاحة، وإحسان هذا الجانب من البيان والبلاغة: إنني أمرؤ لا يعترني خلقي ... دنس يفنده ولا أفن.

من منقر في بيت مكرمة ... والأصل ينبت حوله الغصن

خطباء حين يقوم قائلهم ... بيض الوجوه مصانع لسن

وعلى نحو ما وصفوا الخطيب بأنه مصقع، ولسن وصفوه بأنه مدره، يقول زهير بن أبي سلمى في مديح هرم بن سنان:

ومدرة حرب جميعا يتقى به ... شديد الرجام باللسان وباليدي

وواضح أنه يشبه ما يلقيه من لسانه كلاما بما يلقيه من يده سهامًا. وقد وصفوا اللسان بأنه عصب وقاطع وجارح، كما وصفوا الخطيب بأنه لودعي، يقول شاعرهم:

هو الشجاع والخطيب اللودعي ... والفارس الحازم والشهم الأبوي

ولعل من الطريف أننا نجدهم يصفون خطابهم بأنها كالوشي المنمق، ففيها تدبيج، وتزيين يشبه ما يجدونه في الثياب اليمانية الموشاة، يقول أبو قرد ودة الطائي في رثاء ابن عمار خطيب طيئ، وقد مات مقتولاً:

يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا... ومنطقا مثل وشي اليمنة الحبرة  
ويقول فيه أيضاً:

ومنطق خرق بالعواسل ... لذ كوشي اليمنة المراحل  
فأبو قردودة يحس في خطب ابن عمار ما يحسه في وشي الحلل المنمقة، وهو إحساس بالغ، عبر به هو وأضرابه عن عنايتهم بخطاباتهم، ومقدار ما كانوا يحققون لها من مهارة وصنعة، وبلغ من جمال بعض خطبهم أن اقترحوا لها أسماء، وإن كانوا يحفظونها ويتوارثونها، لروعة بيانها وجودة فصاحتها وبلاغتها، يقول الجاحظ: "ومن خطب العرب العجوز، وهي خطبة لآل رقية، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها، أو من بعضها ومنها العذراء، وهي خطبة قيس بن خارجة في حرب داحس والغبراء، سميت بذلك؛ لأنه كان أبا عذرها. والحق أن خطباء العصر الجاهلي نهضوا بخطاباتهم نهضة واسعة، ولذلك لم يكن غريباً أن يستمع الرسول

صلى الله عليه وسلم إلى بعضهم وهو يخطب، فيقول: "إن من البيان لسحرا". ولم يكن هذا البيان الساحر شيئا خاصا بهذا الخطيب، بل كان شيئا عاما بين الخطباء، إذ ذهبوا جميعا مذهب التجويد والتحبير، حتى يستميلوا الأسماع ويخلبوا الألباب.

## الباب الثالث

### الفصل العاشر

# نماذج من الخطابة في العصر الجاهلي

## ١- خطبة قس بن ساعدة :

يؤكد الجاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي روى خطبة قس بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ، ويقول: إنه إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال، ومع ذلك لم يستطع روايتها كاملة إنما روى أجزاء منها، هي قوله: "أيها الناس اسمعوا وعوا. من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. آيات محكمات، مطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، ضوء وظلام، وبر وآثام، لباس ومركب، ومطعم ومشرب، ونجوم تمور، وبحور لا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، وليل داج، وسمات ذات أبراج، مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم حبسوا فناموا".

## ٣- خطبة أخرى لقس بن ساعدة :

وروى الجاحظ لقس بن ساعدة أيضا قطعة من خطبة أخرى على هذا النحو: "يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، أين المعروف الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينكر". وواضح أن هذه القطع من خطابة قس بنيت على السجع،

٤- خطبة : (النعمان بن المنذر) أمام كسرى حين وفد العرب على

(كسرى)

يعد النعمان بن المنذر العربي شديد الاعتزاز بوطنه وأمهتة يأبى الضيم ويرفض الهوان يبذل دمه في سبيل كلمة الحق ، وللعرب في الجاهلية مواقف بطولية نعتز بها نحن العرب ونفخر بها ، وما موقف النعمان بن المنذر أمام كسرى إلا أحد هذه المواقف البطولية الرائعة فقد قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب ومما قاله: ((وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فأباً حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعي إلى غير أبيه وأما

سخاؤها فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريه فيطرقة الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزئ بالشرية فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحداثة وطيب الذكر وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الأجناس ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبلهم الجزع ومطاياهم التي لا تبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر وأما دينها وشريعته فإنهم متمسكون به حتى لا يبلغ أحد من نسكه بدينه أن لهم شهراً محرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته فيه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى ، وإن أحدهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يغلّق رهنه ولا تخفر ذمته وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن

داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره (( .

### شرح المفردات:

البكرة: الناقة الفتية، الناب: الناقة المسنة، البلاغ: الكفاية، الجزع: خرز يمانى فيه سواد وبياض، السفر: المسافرون، المناسك: هي فروض الحج وتعبداته، الوثاق: العهد، غلق الرهن: استحققه المرتهن، والمراد هنا أنه يجعل العود بمنزلة رهن فلا بد أن يفتكه ولا يرضى بانتكاث عهده .

٥- **خطبة هانى بن قبيصة في يوم ذي قار**، حيث يحرض قومه بكرًا على القتال، ومنها: "يا معشر بكر، هالك معذور خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنيا، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بد".

٦- **كلمة قبيصة بن نعيم في وفد بني أسد** : حين قدموا على امرئ القيس بعد مقتل أبيه، فيروى أنه وفد على امرئ القيس، بعد مقتل أبيه، رجالات من بني أسد، كهول وشبان، وفيهم عبيد بن



الأبرص الشاعر، والمهاجر بن خدّاش، وقبيصة بن نعيم، فلما علم  
أمرؤ القيس بمكانهم، أمر بإنزالهم، وتقدم في إفضالهم، والإكرام  
عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً، فقالوا لمن يباريه من رجال كندة: ما  
بالرجل لا يخرج إلينا؟ فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن  
حجر من العدة والسلاح، فقالوا: اللهم غفرًا! إنما قدمنا عليه في  
أمر نتناسى به ذكر ما فات، ونستدرك ما فرط. فليبلغ ذلك عنا.  
فخرج عليهم في قباء، وخف، وعمامة سوداء، وكانت العرب لا  
تعتم بالسواد إلا في الترات. فلما رأوه نهضوا، وبدر قبيصة فقال:  
إنك في المحل والقدر، والمعرفة بتصرف الدهر، وما تحدثه أيامه،  
وتنتقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة  
مجرب. ولك من سوّد منصبك، وشرف أعراقك، وكرم أصلك في  
العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، والرجوع عن  
الهفوة، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك، فوجدت عندك  
من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم الصفح، ما يطول رغباتها،  
ويستغرق طلباتها؛ وقد كان الذي كان من الخطب الجليل. الذي  
عمت رزيته نزارًا واليمن، ولم تخصص به كندة دوننا؛ للشرف  
البارع الذي كان لحجر: التاج والعمّة فوق الجبين الكريم، وإخاء

الحمد، وطيب الشيم ولو كان هالك يفدى بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك، ولفديناه منه. ولكن مضى به سبيل لا ترجع أولاه على آخره ولا يلحق أقصاه أدناه، فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى ثلاث: إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء المكرمات صوتاً، فقدناه إليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بباقي قصرته : فيقال: رجل امتحن بهلك عزيز عليه فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام، أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها، فهي ألوف تجاوز الحسبة، وكان ذلك فداء ترجع به القضب إلى أجفانها، لم يردده تسليط الإحن على البراء، وإما أن تواعدنا حتى تضع الحوامل، فنسدل الأزر، ونعقد الخمر فوق الرايات. قالوا: فبكى امرؤ القيس ساعة؛ ثم رفع طرفه إليهم، فقال: قد علمت العرب أن لا كفاء لحجر في دم، وإني لن أعتاض به ناقة أو جملاً، فأكتسب بذلك سبة الأبد، وفت العضد؛ وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد، تحمل في القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا.

إذا جالت الخيل في مآزق ... تصافح فيه المنايا النفوسا  
 أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى  
 الاجترار، لحرب وبليّة، ومكروه وأذية. ثم نهضوا عنه، وقبيصة  
 يقول متمثلاً:

لعلك أن تستوخم الورد إن غدت ... كتائبنا في مآزق الموت تمطر  
 فقال امرؤ القيس: لا، والله لا أستوخمه، فرويداً ينكشف لك دجاها  
 عن فرسان كندة؛ وكتائب حمير! ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي،  
 إذ كنت نازلاً بربعي، ومتحرماً بزمامي، ولكنك قلت فأجبت، قال  
 قبيصة إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس:  
 فهو ذاك، وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص:

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلاًّ وحينا  
 هلا على حجر بن أم قطام تبكي لا علينا  
 نحن الألى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا  
 نحمي حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بينا

# الباب الرابع الخطابة في عصر صدر الإسلام



# الباب الرابع

## الفصل الأول

### رؤية عامة في الخطابة في عصر صدر الإسلام

إن الإسلام نهضة عامة شاملة، لم يعهد لها من قبل في العالم  
مثيل، وكانت الخطابة عماد هذه النهضة وأداة فعالة من أدواتها،  
وكانت هذه النهضة دينية في روحها وأساسها، والدين فيض من  
النور الإلهي والرحمة الربانية، يمتد من السماء إلى الأرض،

يضيء ظلماتها، ويبدد غياهب الجهالة فيها، ويؤدي رسالته الأولى في إصلاح المجتمع البشري، وتحقيق أسباب السعادة له في حياته، وليس الإسلام دين جمود، فيقف عند المطالب الأخروية، بل جاوزها إلى تحقيق المصالح الدنيوية فكان لا بد له من أن يتعرض لكل ما به صلاح أمور البشرية، في العقيدة والتشريع والمعاملات والحكم والسياسة والاجتماع والأخلاق والفكر، ولم يدع مجتمعا إلا حض عليه، وأقام من شأنه، وطلب فيه من القول ما هو ضروري له، كخطبة الجمعة والعيدين وموقف عرفات وغيرها، ولذلك كان صاحب هذه الدعوة يمثل الإمام الهادي، والفيلسوف المشرع، والحاكم العادل، والزعيم السياسي، والقائد الحربي، والمصلح الاجتماعي، والرائد الفكري، وكذلك كان خلفاؤه من بعده. وقد جالت خطابة هذا العصر في هذه الميادين جميعا، وإن كانت وجهتها الرئيسية وجهة دينية، وكان غرضها الأساس إقامة عمود الدين، ورفع منار الإسلام، فكانت هناك خطب دينية، شملت العقائد والدعوة إلى الإسلام، والتشريع بما فيه من تبين الحدود وإقامة معالم الحلال والحرام، والوعظ والإرشاد بما فيه من أمر

بالمعروف ونهي عن المنكر، وحث على مكارم الأخلاق، وتبشير وإنذار

### - والطابع العام للخطابة في صدر الإسلام:

١- ظهور الطابع الديني: من دعوة إلى الإسلام، ودفاع عنه، وبيان للعقائد، كوجود الله ووحدانيته وقدرته وخلقه الكائنات، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وسائر الغيبيات، وسن الشرائع والأحكام المفيدة للناس، المنظمة للحياة الشخصية وللمعاملات بين الناس، المبينة للفرائض، الموضحة للحلال والحرام، ووعظ للعامة، وحث لهم على التزام حدود الشرع الحنيف، وقصص فيه عبرة وزجر.

٢- اختيار خطب ذات أهداف إنسانية عامة، وغايات كريمة سامية، من تحرير النفوس والعقول والأرواح من قيود الشرك والضلالة، وإخراجها من ظلمات الوثنية والجهالة.

٣- اتساع مجال الخطابة الاجتماعية، فقد أخذت دائرتها تتسع، وتتجه في نواحي الحياة العامة وجهات مختلفة نافعة، وتعرضت من التعاليم والآداب والشئون العامة إلى ما لا غنى عنه للناس في مجتمع يتحضر.



٤- اتساع دائرة الخطابة، والخروج بها إلى مجال التعبير عن الأغراض السامية والفكر الراقي، في الكون وقيامه، والوجود ونظامه، والمجتمع وعوامل بقائه وارتقائه، وما ينبغي أن يقوم عليه من أسباب، ويسوده من آداب، والبعد بها عن الإسفاف بالانحصار في مطالب العيش الرخيصة، فكان انقلابا كبيرا أن ترتفع الخطابة لتعبر عن الحياة الإنسانية في صراعها الأدبي والعقلي والعاطفي المحتدم حول المبادئ والمعتقدات والآراء، ولا تسف لتصور الحياة الحيوانية، في صراعها الدموي حول لقمة العيش وتنازع البقاء، وإن تسعى سعيها؛ ليقوم الحق والخير والبر والفضيلة مقام الباطل والشر والإثم والرذيلة.

# الباب الرابع

## الفصل الثاني

# خطابة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

إن نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- قبل كل شيء جاء؛ ليبلغ رسالات ربه، فمهمته الأولى هي الرسالة والتبليغ، وما هذه المهام الكثيرة التي تولاها إلا فروع لتلك المهمة الكبرى، ومعينة عليها، نبتت على حواشيتها، ونشأت في خدمتها، والرسالة والتبليغ لا يتم إلا ببلاغة وبيان؛ لأن البلاغ والتبليغ إيصال الكلام للسامعين على أحسن صورة، وبما به يكون الإفهام والإقناع، فكل كلام وزن، وكل قول بمقدار، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ { إبراهيم: الآية ٤. } ، وقال سبحانه عن نبيه داود: ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ { ص: الآية ٢٠ } . لهذا قال موسى لربه: ﴿ وَأَخِي هَارُونَ

هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ  
 أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ { القصص : الآية ٣٤ } ، فإذا كانت الفصاحة  
 والبلاغة مطلوبة في دعوة موسى وغيره من الأنبياء، فرسالة محمد  
 -صلى الله عليه وسلم- أولى وأوجب، ودعوته أعم وأرحب، وقومه  
 فرسان البيان، وأئمة القول. لهذا كان من أبرز صفات الرسول -  
 صلى الله عليه وسلم- وأجلى آيات عظمته البلاغة البليغة، وأنه  
 في الذروة العليا من البيان وفصاحة اللسان، وأن التبليغ البليغ  
 كان السمة المشتركة بين أفانين قوله كله، وما كان لنا أن نقول  
 في هذا المقام بعد أن قال تعالى عنه ما قال، وقال هو عن نفسه:  
 "أعطيت جوامع الكلم" نشأ الرسول -صلى الله عليه وسلم- نشأة  
 قرشية بدوية خالصة، واسترضع من بني سعد بن بكر، فاجتمعت  
 له فصاحة اللسان واللغة، واللهجة الجميلة الوقع، يستريح لها  
 السمع، والمنطق العذب المفصل، تجد النفوس حلاوته. كما  
 اجتمعت له القدرة على تأليف القلوب، وتحصيل الثقة، إلى قوة  
 الإيمان بدعوته، وغيرته البالغة عليها، وحرصه الشديد على  
 نجاحها، فاجتمع له بذلك كل أسباب البلاغ للرسول، والنجاح  
 للخطيب، وثقة القوم بصدق الداعي أو الخطيب أساس إجابته،

وشرط لنجاح دعوته، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قومه مثلاً للأمانة والصدق، حتى لقبوه فيما بينهم "الصادق الأمين". هذه هي الخطوط الأساسية العريضة البارزة التي تشير إلى شخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتومئ إلى نزعاته، وقد بقي أن تصل بينها وبين خطابته، وتتنظر آثارها فيها. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، وقد كان يخطب في قريش كثيراً يدعوها إلى دينه الحنيف، والدخول في طاعة الله ومحبته، ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعيدين. وبذلك عرف العرب ضرباً منظماً من الخطابة الدينية لم يكونوا يعرفونه في الجاهلية، إذ كانت خطاباتهم -كما أسلفنا- اجتماعية، وكانت تدور غالباً على المنافرات والمفاخرات، وقد دعا الإسلام إلى نبذ التفاخر، والتكاثر بالأحساب والإنسان، ومن ثم اختفى من حياتهم هذا اللون من الخطابة. وتحفظ كتب الحديث الصحيحة بتقاليد الرسول صلوات الله عليه في خطابته سواء في صلاة الجمعة، أو صلاة العيدين، إذ كان يخطب في الصلاتين خطبتين يجلس بينهما، وكانتا تدوران على تبين ما شرع الله لعبادة في شئون دينهم ودنياهم، وما ينبغي أن

يسود مجتمعهم من مثالية خلقية رفيعة، ومن روابط اجتماعية وثيقة، وبجانب ذلك كان الرسول يخطب في الأحداث، وعند المناسبات. ومن المحقق أنه خلف تراثاً ضخماً من الخطب، غير أن ما احتفظت به كتب الأدب والتاريخ من ذلك قليل، ولا ترجع قلته إلى قصر خطبه، فقد كان يطيل خطبه أحياناً، وفي بعض المناسبات إلى ساعات يعظ الناس ويدعوهم إلى التفكير في الكون، وخالفه، ومدبره. وأكبر الظن أن خطبة أصابها ما أصاب خطب الجاهلية، فإنها لم تدون لحينها، وبعد العهد بين عصرها وعصر تدوينها، ومع ذلك فقد احتفظت ذاكرة الرواة ببقايا منها تحمل لنا خصائصها، من ذلك أنه خطب بعشر كلمات: حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس! إن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم، إن المؤمنين بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبرة، ومن الحياة قبل الموت. فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار." والخطبة على قصرها توضح لنا كيف كان الرسول

يعظ أصحابه، ويدفعهم دفعا إلى العمل الصالح، قبل أن يلبوا داعي الموت، فتبور تجارتهم، ويذهب هباء عملهم، وإنهم لمعروضون على ربهم، فموفون حسابهم، فأما من اتبع هدى الإسلام، فمصيره الجنة إلى وصفها القرآن الكريم فأسهب في وصفها، وأما من أعرض وتولى، ولم يذكر اسم ربه ولا صلى، ولا أخلص عمله لوجهه، فمصيره النار التي أظن القرآن في بيان عذابها. ولم تكن خطبه مواظ فحسب، بل كانت أيضا تشريعا، وتنظيما لحياة هذه الأمة التي أخرجت للناس في خير مثال تأمر بالمعروف، وتتنهى عن المنكر، ويتعاون أفرادها على البر والخير مما فيه صلاحهم وصلاح مجتمعهم، ولعل خير خطبة تشريعية تصور كيف كان ينظم هذا المجتمع الروحي، ويرسي قواعده خطبته في حجة الوداع، وهي تمضي على هذا النحو: "الحمد لله نعمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم، عباد الله، بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد، أيها الناس! اسمعوا مني أبين

لكم فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد". فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبداً به ربا عمي العباس بن عبد المطلب - وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية. والعمد قودء، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس! إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم. أيها الناس ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ { التوبة : الآية ٣٧ } . إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله



يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. أيها الناس! إن لنساءكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد". أيها الناس! إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لا مرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، أيها الناس! إن ريكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل

بلغت؟ اللهم اشهد. قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب. "أيها الناس! إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز وصية لوارث في أكثر من الثلث، والوالد للفرش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ه ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته". وواضح أن الخطبة تبدأ بحمد الله، واستغفاره والتوبة إليه والاستعاذة من شرور النفس، وسيئات العمل ونقائصه، وتقتن بالشهادتين، وتوصية المسلمين بعبادة الله وطاعته، كما تقتن بكلمة "أما بعد". ويمضي الرسول عليه السلام ، فيبين أن دماء المسلمين حرام كأموالهم، فلا قتل ولا نهب ولا سلب، فقد انتهى قتل النفس المحرمة، وانتهى قطع الطرق، وانتهت الخيانات بجميع ضروبها، فمن كانت عنده أمانة لا يخنها، بل فليؤدها مستوفاة إلى صاحبها، إنه مجتمع ديني جديد، تتوثق فيه الروابط، فلا ربا ولا أخذ بثأر، وقد تداعت مآثر الجاهلية سوى سدانة الكعبة وسقاية الحجيج، فهما مآثرتان ضروريتان للجماعة، وهما لذلك باقيتان، أما شريعة الأخذ بالثأر التي كانت قوام حياتهم في الجاهلية، فقد قضى عليها الإسلام، إذ جعل حق الدم للدولة،

فالقائل المتعمد تقتله الدولة بصاحبه، أما من قتل خطأ فديته مائة ناقة لا تزيد. ويخوفهم الرسول من الشيطان، وما يدعو إليه من الشرور فقد انتهت عبادته، ولكن لم تنته أطماعه في تضليل الناس عن الجادة. وأيضا فإنه انتهى عهد التلاعب في الدين، وفي الأشهر الحرم. ولا ينظم الرسول العلاقات بين الفرد، وجماعته الكبرى من الأمة فحسب، بل ينظمها أيضا بينه وبين جماعته الصغرى من الأسرة، فيدعو إلى رعاية حقوق المرأة، وأن يعاملها الرجل برفق ورحمة، وقد رفع الإسلام من شأنها، ووضعها في المكان اللائق بها، فكفل لها حرية التصرف في مالها كما كفل لها حق اختيار زوجها. ويدعو الرسول إلى دعم الروابط بين أفراد الأمة، فالمسلمون جميعا إخوة متساوون في الحقوق والواجبات، لا غني ولا فقير ولا أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا عجمي، فالجميع سواء، ولا فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح. ويشير إلى ما شرعه القرآن من نظام التوريث الجديد، ويقرر أن المورث لا يحق له أن يحرم وراثته من ماله، ويعطيه شيئا من الحرية، فيجعل له الحق أن يوصي لورثته ببعض ماله، ولكن على أن لا يزيد عن ثلثه، ويعرض لمشكلة كبرى من مشاكلهم، هي الأبناء غير الشرعيين

الذين ولدوا في الجاهلية، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكان من عادتهم أن ينسبوا إلى غير آبائهم، ففضى على تلك العادة السيئة حفظاً للأنساب. وعلى شاكلة الخطبتين السالفتين كانت خطابة الرسول، فهي إما موعظة حسنة وترغيب وترهيب، وبيان لمسئولية المسلم الخلقية وأنه محاسب بين يدي ربه عن كل ما قدم في حياته، وهو يضح ذلك أمام عينيه ليصلحه، ويقوم نفسه ويسمو به في مراقي الكمال، وإما تشريع وتنظيم لمجتمعه، وما ينبغي أن يسود فيه من عوامل الخير ودواعيه، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فلابغي ولا عدوان، بل تآزر وتعاون في قيام هذا المجتمع السليم. ومن المحقق أن الرسول كان في خطابته -كما كان في حديثه- لا يستعين بخلافة ولا تزويق، وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه، وهي مع ذلك ألفاظ جزلة لها بهاء ورونق، تعمر بها القلوب والصدور، وترتاح إليها الأسماع والأفئدة، فتجتمع لها النفوس المتباينة الأهواء، وتساق إليها بأزماتها، إذ تلتحم بمعانيهم وما تدعو إليه من سبيل الرشاد، وهي -بلا ريب- مثل أعلى في البراعة والدقة، ونقصد دقة الحس ولطف الشعور، ولعل مما يدل على ذلك قوله: "لا يقولن أحدكم:

خبثت نفسي، ولكن ليقول: لقتت نفسي"، فقد كره أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه. ونؤمن بأن هذه العناية بحسن منطقه لم تكن نتاج تحبير، أو تكفير إنما طانت نتاج ما خوله الله من نعمته في بيانه الرائع. وليس في خطبتي الرسول السالفتين سجع، ومن المؤكد أنه لم يكن يستخدم السجع في خطابته، بل كان ينفر منه بسبب استخدام الكهان له في الجاهلية على نحو ما مر بنا في الفصل السابق، ولذلك صد عنه كما صد عنه خلفاؤه. روى الطبري أن عمر بن الخطاب، سأل صحارا العبدى البليغ المشهور عن مكران الفارسية أثناء غزو المسلمين لها، فقال صحار: "يا أمير المؤمنين! أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، إن كثر الجند بها جاعوا، إن قلوا بها ضاعوا، فقال عمر: أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال صحار: بل مخبر:. وواضح أن عمر أنكر عليه استخدامه للسجع في كلامه. ويروي الرواة أن عبد الله بن الزبير تكلم بكلام مسجوع عند معاوية، فقال له: "تعلمت السجاعة عند الكبر"، وفي أخبار معاوية أنه كتب إلى رجل كتابا، فأملى على كتابه: "لهو أهون علي من ذرة، أو كلب من كلام الحرة"، ثم استدرك قائلا

لكاتبه: "امح من كلاب الحرة، واكتب من الكلاب". فالخلفاء كانوا يكرهون السجع لنهي الرسول، صلوات الله عليه عنه. وليس معنى ذلك أنه امحى محوا من خطابة هذا العهد،

## الباب الرابع

### الفصل الثالث

# من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

١ - خطبته في عشيرته:

عندما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ { الشعراء: الآية ٢١٤ } أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصفا، فصعد عليه، ثم نادى الناس، فاجتمعوا عليه، فقال: "يا

بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، رأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم؛ ما جربنا عليك كذبا، قال: إني نذير لكم بيد يدي عذاب شديد". فما سمعنا بمثل هذا الإيجاز، ولا بمثل هذا الإعجاز، لقد جعل من خطبته قضية منطقية، ألزمهم بها الحجة، وانقطع بها ما كان يمكن أن يقوم من جدل. فهذا قول المبلِّغ، الذي يحرص على ألا يقيم بينه وبين غايته حواجز من التكلف والصنعة، والغموض، وسبيل الرسول الذي يريد أن يصل إلى قلوب سامعيه، من أقرب سبيل، ويبلغ رسالته كأحسن ما يكون التبليغ. هذا قول رجل يتذرع بما عرف قومه من صدقه وأمانته للتأثير فيهم، وترغيبهم في دعوته، وحملهم على موافقته. وهذه الخطبة الأولى هي خطبته القصيرة التي ألقاها على ملاً من أهل مكة حين جهر بالدعوة بعد أن نزل قول الله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) عن ابن العباس رضي الله عنه لما نزلت (وأندر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه فقالوا: من هذا فاجتمعوا إليه فقال: (أرأيتم إن أخبرتمكم أن خيلاً تخرج من سطح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا:

ما جربنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ) قال أبو لهب : تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب ) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت (وأندر عشيرتك الأقربين ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم ) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : (وأندر عشيرتك الأقربين ) قال يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً)

### تحليل النص

أولاً- استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة مألوفة عندهم توحى بإنذار خطير : (واصباحاه ) ليودع في مسامع قومه أهمية ما يلقيه عليهم من قول يتضمن دعوتهم إلى الإيمان بالهدي الرباني الذي أوحاه الله إليه ولما كان صلى الله عليه وسلم يتوقع



تكذيبهم ذكرهم بما أجمعوا عليه من الإقرار والشهادة بصدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم حتى كانوا ينادونه بالصادق الأمين وقال لهم : لو أخبرتكم بغارة عدو عليكم جاءكم بخيله أتصدقونني فقالوا له : ما عهدناك إلا صادقاً وعندما استنطقهم بهذه الشهادة التي لا يجوز لهم نقضها أخبرهم بأنه نذير لهم من ربه وأنه يحمل لهم رسالة الله وحذرهم من جحودها لأن العذاب الشديد سينزل بهم جزاء وفاقاً

**ثانياً- ولما كان أجراً الناس على الرجال أهله** صرخ عمه الشقي أبو لهب في وجهه قائلاً : (تباً لك ) أي هلاكاً لك أل هذا الأمر جمعنا وبذلك يكون أبو لهب أول رافض لدعوة الله التي بلغها له أقرب الناس إليه وهو ابن أخيه الصادق الأمين ولكن سرعان ما جاء الرد الرباني على أبي لهب وزوجته لعدائهما لله ورسوله فكان قرآنا يتلى على مدار الزمان ليكون عبرة للمعتبرين ما دامت الأيام والليالي (تبت يدا أبي لهب وتب).

**ثالثاً- وفي نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهله:** عمم فيه وخصص أقرب الناس إليه وأراد أن يقرر حقيقة هامة من حقائق رسالته وهي أن النجاة عند الله لا يحظى بها إلا من كان من أهل

الإيمان والتقوى . وأن مكانته عند الله كرسول لا تسمح له أن يشفع لأحد ولو كان من أقرب الناس إليه إن لم يكن من الذين آمنوا بالله ورسوله فبوسعه أن يعطي أهله ما سألوه من أمور الدنيا التي يملكها وأما النجاة عند الله فهذا أمر لا يملكه وهو بأيديهم وعليهم أن يتحملوا هذه المسؤولية ولا فلاح لهم في الدنيا والآخرة إلا باعتناقهم دين الإسلام واتباع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

## ٢- أول خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم في مكة حين دعا

قومه:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا

وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا" (٢ السيرة الحلبية ١: ٢٧٢، والكامل لابن الأثير ٢: ٢٧) .

**تعليل:** إن الدين الإسلامي قد احتضن المثل والفضائل كلها وعانق حياة الناس من جميع أطرافها بحيث أصبح الدين والخلق توأمين لا ينفصلان، وإذا كان الدين والخلق على هذا النحو توأمين، فإن التقوى هي العروة الوثقى التي تربط بينهما، وهي الروح التي فيها يشتركان وإذا كان هذا هو جوهر الدين الجديد فإن من الطبيعي أن يؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام على هذه المعاني التي تجمع بين الدين والأخلاق. وأن يقرن هذا بأوائل خطبته التي أكد فيها صدق رسالته ووثوق مصدرها ووجود الله سبحانه وتعالى، وحقائق الموت والبعث والثواب والعقاب، ولذلك جاءت هذه الخطبة معبرة عن هذه المعاني، وعن معني الإيمان به رسولا وبرسالته من الله، فكان ذلك نقطة البدء ومنطلقا لكل القيم والمثل في دعوته الجديدة، ولذلك تتفق معاني هذه الخطبة مع معاني السور المكية. وقد استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ألفاظا جزلة، وعبارات قوية، رائعة التقسيم، تسمع فيها صوت البشير النذير، يؤكد قوله بألوان من التأكيد، وصور أخاذة، متنوعة، متتابعة، وتآلف بين

اللفظ والمعنى، في إيجاز هو الإعجاز، مع الوضوح والسلاسة، والعذوبة والطبيعة في اتخاذ الحلية اللفظية، فأنت تتأثر بها، ولا تكاد تلحظها؛ لأنها الحلية التي تليق بالإنسان العظيم، فالجمل متساوية، والمقابلة فيها متعددة، ولكنها غير مصنوعة ولا متعمدة، وفيها السجع والازدواج اقتضاهما المقام، فازدان بهما الكلام، ثم هو يتكئ في استمالتهم إلى أسباب من المودة والثقة، قامت من قبل بينه وبينهم، وألوان من التحبب العاطفي أثرت عنه، يفتح بها مغاليق قلوبهم. فهذه الصفات الكلامية ليست إلا للملاحم البارزة في شخصية الرسول، القادر على تبليغ رسالته، قوية واضحة مؤثرة طبيعية، في إطار من الرفق بقومه، والمودة لهم، والثقة التي وجبت بينهم، وقد قدم لهذه الخطبة الوجيزة بكلمات كأحسن ما تكون المقدمات، صلة بالموضوع، وضمانا لقبوله، وإن شئت فقل: إنه وضع أساس الاقتناع بدعوته تلك الكلمات القلائل. ولن تجد قولاً كهذا يدل على قائله، وينتسب إلى صاحبه، ولو أنك عرضته على عالم باللسان العربي، وبشيء من تاريخ الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسألته: من تظن قائل هذا؟ لأجيبك دون تردد: هذا دون ريب قول خاتم المرسلين. وعلى يدي هذه المواهب النبوية،

وباهر الآيات الكتابية تخرج البلغاء، وعنهما أخذت القوانين والأصول البيانية والبلاغية، وفي مثل هذه الخطبة القصيرة تتمثل بعض الأسس الخطابية الهامة التي ينادي بها المحدثون، ويذكرون غناءها في عالم الخطابة، وأثرها في نجاحها، "ويدخل في نطاق العلاقة بين الخطيب ومستمعيه مدى حكمته في كيف يتسلل إلى العواطف والدوافع التي لها أكبر الأثر فيهم؛ فيصل بذلك إلى نطاق أفكارهم، وأن يقدر مستوياتهم وذكاءهم، وأن يضرب على الوتر الحساس، الذي يمس ما يتعاطفون به، ويستجيبون له".

### ٣- خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة المنورة:

"الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٥).، ومن يعصمها فقد غوى وفرط، وضل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله؛ فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا

ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكرا في عاجل أمره، ونخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه، والله رعوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك؛ فإنه يقول عز وجل: ﴿ مَا يُبَدَّلُ

الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ { ق : الآية ٢٩ } ، فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية؛ فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله يُوقى مَقْتَهُ، ويوفى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن

بينة، ولا قوة إلا بالله، فأكثرُوا ذكر الله، وأعملوا لما بعد اليوم؛ فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، والله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم". والخطبة موعظة رائعة، يستهلها الرسول الكريم بتقرير وحدانية الله وأنه أتم نعمته على الناس بإرساله كي يخرجهم مما هم فيه من غواية وضلالة ويدخلوا في رعايته الإلهية، فلا يعملوا عملا بدونه. لتركوا إذن الوراثة الضالة والوسط المشفى على الهلاك، ويجتمعوا على هدى الله وتقواه، وليستشعروه في السر والعلانية؛ فإنه يعلم خائنة الأعين وما يستكن في الصدور، وليقدموا من خشيته وطاعته ما يكفرون به عن سيئاتهم وتبيض به وجوههم يوم الحساب حتى يدخلوا في جناته. إنه يوم ما بعده مستعجب، فإما الجنة وشفيعتها العمل الصالح، وإما النار ويئس القرار. ويدفعهم دفعا إلى الجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الحق والخير، فقد اجتباهم واختارهم؛ ليضطلعوا بأمانة الرسالة المحمدية، ولينشروها في أطراف الأرض، والرسول في كل ذلك يستوحى القرآن وآياته، وهي تقف منارات في موعظته، يستمد من إشعاعاتها ما يضيء به كلامه، بل إن وراء

هذه المنارات منارات أخرى من هدي القرآن، بحيث نستطيع أن نرد كل موعظته إلى ينابيع الضوء التي تفجرت منها؛ إذ كانت تسيل في نفسه، بل كانت تشع بمعاني نورها، كما يشع نور الشمس في السماء.

#### ٤ - خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"أيها الناس إن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتوها إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد بيده: ما بعد الموت من مستعتب ٢، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار. (تهذيب الكامل ١: ٥، إعجاز القرآن ١١٠، البيان والتبيين ١: ١٦٥، عيون الأخبار م ٢، ص ٢١٣، وغرر الخصائص الواضحة ١٥٠)"

**تعليق :** يبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- معالم الدين وحدوده، وهي أيضا معالم الأخلاق وحدود الآداب، وعلى ضوءها تمضي معاملات العبد المؤمن، والله يقضي في كل ذلك ويحكم،



والجنة والنار مرة أخرى هما النهاية التي ينتهي بها هذا الطريق  
بما فيه من معالم

### ٥- خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا،  
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي  
له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث  
كتاب الله، قد أفلح من زينته الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد  
الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أصدق  
الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبكم، ولا  
تملوا كلام الله وذكره، ولا تقسو عليه قلوبكم، اعبدوا الله ولا تشركوا  
به شيئاً، اتقوا الله حق تقاته، وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم،  
وتحابوا بروح الله بينكم، والسلام عليكم ورحمة الله." ("إعجاز  
القرآن ص ١٠٠").

**تطليق** : يؤكد الرسول -صلى الله عليه وسلم- في خطبته صلة  
المؤمن بالقرآن الكريم وحفظه والمحافظة عليه، والعمل به،  
والاهتداء بخلقته، وبذلك تقترن هذه المعاني الخلقية جميعها بكتاب  
الله، ويتحلى بها من زينته الله في قلبه، وردده في حديثه، وأكثر

من ذكره، وشغل به نفسه بعيداً عن ترهات الناس وثرثرة ألسنتهم، فكتاب الله إذن ينبوع القيم ودستور الفضائل، تنبعث منه التقوى في القلوب، تعلق بمحبة الله، وترتبط بكل المحبين لله، وتكون النتيجة المنطقية لهذا محبة الإنسان لأخيه الإنسان، فتصلح بذلك حياة المجتمع.

### ٦- خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

"الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن دماءكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة،

وإن أول دم نبأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد  
المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية،  
والعمد قود - القصاص -، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه  
مائة بعير، فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس: إن  
الشیطان قد یئس أن یعبد فی أرضکم هذه، ولكنه قد رضي أن  
یطاع فیما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالکم، ٣ أيها الناس:  
إنما النسيء ٤ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونهم عاما،  
ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار  
كهينته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله  
اثنا عشر شهرا في كتاب الله، يوم خلق السموات والأرض، منها  
أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة،  
والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم  
اشهد!. أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم  
عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تکرهونه بيوتكم إلا  
بإذنکم، ولا یأتین بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أنت  
تعزلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح،  
فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما

النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد!. أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئٍ مال إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!. أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.. أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله.

**٣ - ملاحظة :** في رواية الكامل لابن الأثير: "إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك، وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم".

**٤ -** أي تأخير حرمة شهر إلى آخر، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه، وحرموا مكانه شهراً آخر فيحطون المحرم، ويحرمون صفرًا، فإن احتاجوا أحلوه وحرموا ربيعًا الأول، وهكذا حتى استدار التحريم على الشهور السنة كلها، وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني، كان يقوم على جمل في الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم، فأحلوه، ثم ينادي في القبائل: إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم، فحرموه. زيادة في الكفر، أي كفر آخر ضموه إلى كفرهم. ليواطئوا: أي يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر؛ ليتسع لهم الوقف، ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً، ولذا نص على العدد المبين في الكتاب والسنة، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك، وكان في السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بالناس في

ذي القعدة، وفي حجة الوداع في ذي الحجة، وهو الذي كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء في تحريم الأشهر الحرام، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: "إن الزمان قد استدار ... إلخ" - (تفسير الألوسي ج ٣ ص ٣٠٥. "البيان والتبيين ٢: ١٥، العقد الفريد ٢: ١٣، إعجاز القرآن ١١١، شرح ابن أبي الحديد ١: ٤١، تاريخ الطبري ٣: ١٦٨، الكامل لابن الأثير ٢: ١٤٦، سيرة ابن هشام ٢: ٣٩٠). وواضح أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يلم بالحمد لله والشهادة؛ لينتقل إلى شرح الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ { الحجرات : الآية ١٣ } ،

ويصوغها بأسلوبه؛ ذلك أن الحسب والنسب الجاهليين ومظهر القوة الذي ارتدت إليه القيم الجاهلية لم يعد أساس الرفعة أو الوضاعة، وإنما يرجع الأمر كله إلى تقوى الله، باعتباره دعامة الفضيلة وميزان التفاضل بين الناس. وفي كل ذلك تكمن الثورة الروحية الكبرى التي جاء بها الإسلام، فانتظمت علاقة الإنسان بالله في صورة التقوى، وبصورة التقوى نفسها تنتظم أيضا علاقة الإنسان بأخيه الإنسان على نحو فريد. وعلى ضوء هذا تتعدد صور التقوى ممثلة في مختلف الأعمال الصالحة. ثم انتقل

الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليبين طائفة من التشريعات الإسلامية التي أقامها الدين الحنيف حدودا بين حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام، فقد كانوا مفكرين متنافرين يتحاربون دائما؛ طلبا للأخذ بالثأر ونهبا للأموال. وجمعهم الإسلام تحت لوائه في جماعة كبرى متآخية متناصرة لا يبغى بعضهما على بعضه، ولكي يقضي على كل سبب للحرب بينهم رد دم القتل إلى الدولة فهي التي تعاقب عليه، ولكي يستأصل هذا الداء دعا إلى التنازل عن حق الأخذ بالثأر القديم، وحزم النهب والسلب تحريما قاطعا مشدد فيه العقوبة. والرسول -صلى الله عليه وسلم- يبين في الخطبة أوامر الإسلام ونواهيه بإعلان أن دماء المسلمين وأموالهم حرام، وأن كل من كانت عنده أمانة أن يردها على صاحبها، وأن على كل مسلم أن يرعى أخاه في ماله، فلا يأخذ منه شيئا إلا بالحق، ومن ثمَّ حرم الربا، وبدأ بعشيرته وتاجرها الموسر العباس عبد المطلب فأسقط عن رقاب المدينين له ربا. وعلى نحو ما أسقط الربا أسقط دماء الجاهلية، فليس لمسلم أن يثأر لقتيل له، وبدأ بعشيرته فأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ولم يُبقِ من مآثر الجاهلية شيئا سوى خدمة

الكعبة وسقاية الحجيج، وأوجب في قتل العمد القود، ولكن الدولة هي التي تقوم به، وبذلك قضى الإسلام على حروبهم الداخلية، وقد جعل في القتل شبه العمد مائة بعير؛ كل ذلك ليحفظ للجماعة وحدتها ويسود بين أفرادها السلام والوئام. ويحذر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الشيطان وغواياته، محرما للتلاعب بالأشهر الحرم، واضعا تقويما قمريا يتألف من اثني عشر شهرا، منها أربعة حرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. ويرفع من شأن المرأة ومعني علاقاتها بزوجها، فيجعل لها حقوقا وعليها واجبات، وفي الطرفين جميعا يحفظ لها كرامتها كما يحفظ لزوجها نفس الكرامة، داعيا إلى التعاطف بينهما والتراحم والتعامل برفق وإحسان. ويعود إلى العلاقة بين الفرد وجماعته الكبرى من الأمة، فيقرر أن المؤمنين إخوة، لكل منهم على صاحبه ما للأخ على أخيه من التآزر والتعاون والتحاب، فلا بطش ولا ظلم ولا نهب، ولا حرب ولا سفك للدماء. وإنه لعهد من نقضه عاد كافرا آثما قلبه. لقد انتهى عهد الحياة القبلية وكل ما اتصل بها من تناذب وتفاخر، فالناس جميعا لآدم، ولا عربي عدناني ولا عربي قحطاني، بل لا عربي ولا أعجمي، فقد وضعت موازين جديدة لحياة العرب، فلم يعد التفاضل



بالنسب والحسب، إنما أصبح بالتقوى فهي معيار التفاضل، ويلفت الرسول سامعيه إلى ما قرره القرآن الميراث وأنصبتة، وأن للمورث أن يوصي بالثلث من ماله، ويرسي قاعدة مهمة في شرعية الأبناء، وخاصة هؤلاء الذين تدهم العواهر، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكانوا ينسبونهم إلى غير آبائهم، وقد لا ينسبواهم أبداً، فحرم ذلك تحريماً باتاً، وبذلك قضى عليه نبالة النسب من جهة الخوولة قضاء مبرماً. وعلى هذا النحو كان الرسول صلوات الله عليه يبين في خطابه حدود الحياة الإسلامية وما ينبغي أن يأخذ به المسلم نفسه في علاقاته الكبرى مع أفراد أمته وعلاقاته الصغرى مع أسرته. فإن ترك ذلك فإلى وعظ المسلمين وما ينبغي أن يأخذوا أنفسهم به، في سلوكهم حتى تزكو نفوسهم، وفي عبادتهم لربهم وتقواه حق التقوى حتى لا يزيغوا ولا ينحرفوا عن المحجة، بل يتدرجون في مراقي الكمال الإنساني. وهذه الخطبة وسابقتها تصوران في دقة حسن منطق الرسول في خطابه، وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع ولا بلفظ غريب، فقد كان يكره اللونين جميعاً من الكلام لما يدلان عليه من التكلف، وقد برأه الله منه؛ إذ يقول في كتابه العزيز: قل يا محمد: "ما أنا من المتكلفين". والذي

لا شك فيه أنه كان يبلغ بعفوه وقوى فطرته ما تنقطع دونه رقاب البلغاء، وقد وصف الجاحظ بلاغته في خطابته أدق وصف، فقال إنه: جانب أصحاب التعقيب واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالترفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقسم له خصم، ولا أقمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة... ولم يسمع الناس بكلام قد أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقفاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه -صلى الله عليه وسلم- ونضيف إلى الجاحظ أنه عليه السلام هو الذي فتق معاني هذه

الخطابة الدينية التي لم يعرفها العرب قبله، فهو الذي رسمها، وفجر ينابيعها بحيث أصبحت مادة للخطباء من بعده، وكأنما احتشد الكلم بأزمته إليه؛ ليختار منه أفصحه وأسلسه وأبينه في الدلالة، يسعفه في ذلك ذوق مرهف وحسن دقيق نتبينهما فيما روي عنه من قوله: "لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي" كراهية أن يضيف المسلم الطاهر إلى نفسه الخبث، مما يدل على أنه لم يكن ينطق إلا باللفظ المختار البريء من كل ما يستكره، اللفظ الذي يحبب إلى النفوس؛ لحلاوته وعذوبته وصفائه ونقائه.

### ٧- خطبته يوم فتح مكة:

وقف على باب الكعبة ثم قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصره عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت، وساقية الحاج، ألا وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيهما الدية مغلظة، منها أربعون خلف في بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم خلق من تراب، ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ ... { الحجرات : الآية ١٣ } يا معشر قريش "أو يأهل مكة" ما ترون أني فاعل بكم؟ " قالوا. خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. (تاريخ الطبري ٣: ١٢، وإعجاز القرآن ص ١١٢، والكامل لابن الأثير ٢: ١٢١ - وسيرة ابن هشام ٢: ٢٧٣). في هذه الخطبة يؤكد الرسول - صلى الله عليه وسلم- إسقاط الإسلام لقيم الجاهلية التي تتنافى مع المبدأ الأساسي فيه، وهو مبدأ الأخوة، فقد حرم الله التفاخر بالمآثر والتعظيم بالآباء والأخذ بالنأثر، وأحل محل ذلك كله أخوة طيبة ومساواة كاملة بين الناس، فالناس جميعا من آدم متساوون في الخلق مرتبطون بالأخوة، ولم يكن يخفى على كفار قريش خلق محمد الأمين وروح الأخوة النقية التي تحلى بها، وبالرغم من كل ما فعلوه من قبل لم يتوقعوا منه نعمة أو عقابا وقد مكنه الله منهم، وإن كانوا هم الذي رفضوا أخوته، ولم يستجيبوا لهذه الروح، فأنوه، وأخرجوه من داره، وأهدروا دمه، ولكن شيئا من هذه النعمة لم يقع، فقد ضرب الرسول الكريم مثلا رائعا عبرت عنه أروع كلمات العفو عند المقدرة في قوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، ولم يكن هذا

ليكون إلا من أخ كريم وابن أخ كريم كرس حياته من أجل سنة ينطبق منها الفعل على القول، وما كان له ليحيد عن ذلك في كل موقف من مواقفه وتحت كل الظروف.

### -خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة:

خطب النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عدة خطب وردت بمرويات صحيحة

أ- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب قال الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ... { الحجرات : الآية ١٣ } ، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته ( لا تثريب عليكم اليوم) اذهبوا فأنتم الطلقاء

**ب -** وخطب صلى الله عليه وسلم من الغد من يوم الفتح فقال: ( إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لا مرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن له فيه ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالمس وليبلغ الشاهد الغائب )

**ج -** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم الفتح بمكة فكبر ثلاثاً ثم قال ( لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت ثم قال ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مئة من الإبل منها أربعون في بطنها أولادها )

### **٣ - خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :**

ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة خطبة جامعة في جموع المسلمين الذين احتشدوا حوله في الموقف هذا نصها (أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي

هذا بهذا الموقف أبداً أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا وأن كل شيء من أمر الجاهلي تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن عمي ربيعة بن الحارث وربما الجاهلية موضوعة وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يبعد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحلوا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان واتقوا الله في النساء فإنكم إنما أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله إن لكم عليهن حقاً ولهن عليكم حقاً لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاعقلوا أيها الناس قولي

فإني قد بلغت وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به :كتاب الله وسنة رسوله : (يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدّع ما أقام فيكم كتاب الله تعالى ا سمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسه منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليلبغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا :نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس :اللهم اشهد (ثلاث مرات )

### تحليل الخطبتين:

حوت كلا من خطب الفتح وخطبة حجة الوداع جملة من الأفكار ومن ذلك

**أولاً: المساواة الإنسانية :** حيث يفاضل الناس بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وإلغاء المقاييس الجاهلية في التفاخر في الأنساب والأحساب



**ثانياً: إصدار العفو العام عن مجرمي الأمس :** الذين حاربوا الله ورسوله أكثر من عشرين عاماً وبذلك فتح القلوب مع فتح مكة **ثالثاً: إعلان التأكيد على حرمة مكة المكرمة :** فلا يسفك فيها دم ولا يقطع فيها شجر ولا ينفر فيها صيد فهي أمان لكل الخلائق فيها وأحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من النهار وعادت حرمتها إلى سابق عهدها وهذا بيان للناس على مدار الزمان

**رابعاً: إلغاء المآثر الجاهلية السلبية :**

**خامساً: تحديد دية قتل الخطأ وشبه العمد والقصاص:** في قتل العمد أو العفو أو الدية

**سادساً: إعلان حرمة الدماء بوجه عام :**

**سابعاً: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً بالنساء:** وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائن للمرأة في الجاهلية وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنها أحكام الشريعة الإسلامية

**ثامناً: أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جميع المشكلات التي تعترض حياتهم لا تكون إلا من مصدرين:** كتاب الله وسنة

نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والاعتصام بهما ضمان من كل شقاء وضلال وهذا على مر الدهور وإن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليس وفقاً على عصر دون آخر وأنها الهادي للمسلمين في أي تطور حضاري يطراً في المستقبل إلى يوم القيامة

**تاسعاً : أوضح صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الحاكم أو الخليفة أو الرئيس مع الرعية: أو الشعب إنها علاقة السمع والطاعة من الشعب للحاكم مهما كان من نسبه وشأنه ومظهره ما دام يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة فولاء الشعب للحاكم و اتباعه لا يكون إلا من خلال سيره على نهج كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كان الحاكم عبداً حبشياً مجدعاً ولا امتياز للحاكم على شعبه والحاكم على شعبه والحاكم في حقيقة أمره أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى فلا حصانة في الإسلام لأحد ولا امتيازات لطبقة على أخرى في شؤون الحكم والقانون والقضاء**

**عاشراً: أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ختام خطبة لحجة الوداع أنه أخرج مسؤولية الدعوة وتبليغها من عنقه : فيها**

هو الإسلام قد انتشر وها هي ضلالات الجاهلية والشرك قد تبددت ويريد صلى الله عليه وسلم أن يطمئن إلى شهادة أمته بذلك أمام الله تعالى يوم القيامة عندما يسألون: فأعقب توصياته هذه لهم بأن نادى فيهم قائلاً: إنكم ستسألون عني فما أنتم قائلون وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ نشهد أنك قد بلغت الأمانة وأديت الرسالة ونصحت الأمة فجزاك الله عنا خير الجزاء

#### ٨- خطبته صلى الله عليه وسلم في يوم أحد:

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال: "أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط؛ فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده، إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به؛ فإني حريص على رشدكم. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف، وهو ما لا يحبه الله، ولا يعطي عليه النصر. أيها الناس، إنه قذف في قلبي أن من كان على حرام

فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا، ومن أحسن وقع أجره على الله في عاجل دنياه، أو في آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ١، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإنه قد نفت الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم؛ فإنه لا يُقدَّر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينها شبيهاً من الأمر لم يعملها كثير من الناس إلا من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه، وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعي إليه سائر جسده، والسلام عليكم". (شرح بن الحديد ٣٢: ٣٦٥).

**٩ - خطبته بالخيف:**

وخطب بالخيف من منى فقال: "تضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العلم لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة، إن دعوتهم تكون من ورائه، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له". ("إعجاز القرآن ص ١١٢").

**١٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام:**

من خطبه أيضا أنه خطب بعد العصر فقال: "ألا إن الدنيا خضرة حلوة، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، ألا لا يمتنع رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه. ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف فقال: إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى". ("إعجاز القرآن ص ١١٣").

**١١ - خطبة له عليه الصلاة والسلام:**

ألا أيها الناس، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتؤجروا وتنصروا. واعلموا أن الله - عز وجل - قد افترض عليكم الجمعة، في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا، إلى يوم القيامة، حياتي ومن بعد موتي، فمن تركها وله إمام فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يوم أعرابي مهاجرًا، ألا ولا يوم فاجر مؤمنا، إلا أنه يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه". (إعجاز القرآن ص ١١٠).

### ١٢ - خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثم، ونأكل من تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن

الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة". ( "صبح الأعشى ١: ٢١٣" ).

### ١٣ - خطبته في الاستسقاء:

روي أن أعرابيا جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم وآله- في عام جدب، فقال: أتيناك يا رسول الله، ولم يبق لنا صبيّ يرتضع، ولا شارف تجتر، ثم أنشده:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها ...  
وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل  
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة ...  
من الجوع حتى ما يمرُّ ولا يحلي  
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ...  
سوى الحنظل العامي والعلّز الفسل  
وليس لنا إلا إليك فرارنا ...  
وأين فرار الناس إلا إلى الرُّسل؟

فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: "اللهم اسقنا غيثا مغيثا، مريئا مريعا ،

سحا سجالا ، غدقا ، طبقا ، ديما دررا ، تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقيا نافعة، عاجلا غير رائب" فو الله ما رد الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وآله يديه إلى نحره، حتى ألقى السماء أرواقها، وجاء الناس يضحجون: الغرق الغرق يا رسول الله، فقال: "اللهم حوالينا ولا علينا"، فانجاب السحاب عن المدينة، حتى استصدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى بدت نواجذه (. "شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦") .

#### ١٤ - خطبته في مرض موته:

عن الفضل بن عباس قال: جاءني جاعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد صب رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال: ناد في الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: "أما بعد: أيها الناس فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وإنه قد دنا مني خفوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضي فليستقد منه.

#### تعليق على خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-:



١- كان -صلى الله عليه وسلم- يقول في حمده لله والثناء عليه: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله".

٢- كان -صلى الله عليه وسلم- يقتبس من القرآن الكريم في خطبة فيقول:

﴿وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ {النساء : الآية ١}. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ {آل عمران : الآية ١٠٢}

٤- وكان -صلى الله عليه وسلم- يعظ في خطبه ويحذر بالقرآن وخصوصا سورة "ق" لما حوته من ذكر البعث والموت، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيدة.

٥- وكان -صلى الله عليه وسلم- يخطب في الجمعة، قائما، ثم يقعد قعدة لا يتكلم ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى.

- ٦- وكانت خطبته -صلى الله عليه وسلم- مقتصدة قصيرة.
- ٧- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا دعا في خطبته لم يرفع يديه.
- ٨- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا دعا في خطبته لا يخص نفسه بالدعاء
- ٩- وكان المؤذن لا يؤذن إلا بعد جلوس النبي -صلى الله عليه وسلم- على المنبر.
- ١٠- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا سمع النداء وهو جالس على المنبر يردد ما يقوله المؤذن.
- ١١- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا انتهى المؤذن من النداء استقبل الناس بوجهه ليخطبهم، واستقبله الناس ليسمعوه.

# الباب الرابع

## الفصل الرابع

### أنواع الخطابة في عصر صدر الإسلام

ازدهرت الخطابة بشكل عام والخطابة الدينية بشكل خاص في عصر صدر الإسلام عما كانت عليه في العصر الجاهلي. وترعرعت هذه الخطابة بسبب انتشار الوفود التي تأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مهنئة أو معزية أو لحاجة من الحاجات ، وقد استقبل الرسول عليه السلام الوفود التي قدمت معلنة إسلامها وسمي بعام الوفود .

## أ- الخطابة الدينية الإسلامية

أ- خطب الجمعة

ب- خطب الحج

ج- خطب العيد

د- خطب الاستسقاء

هـ- خطب الخسوف والكسوف

و- خطب المحافل والوقود

ز- خطب الزواج

ح- خطب النصح

ط- النصح والإرشاد

أ - خطبة الجمعة

**أولاً - حكم خطبة الجمعة :** اتفق الفقهاء على أن الخطبة شرط في الجمعة لا تصح بدونها لقوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) والذكر هو الخطبة ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة دون الخطبة وهي خطبتان قبل الصلاة اتفاقاً أخرج مسلم عن جابر بن سمرة) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً) وأخرج أبو داود عن

ابن عمر قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ أذان المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ويقوم فيخطب) وجاء في كتاب شعب الإيمان أن خطبة الجمعة خطبتان يفصل بينهما بقعدة روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما ومن المعلوم أن صلاة الجمعة فرضت قبل الهجرة ولكن الظروف القاهرة التي كانت تحيط برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم لم تمكنه من القيام بتلك الفريضة العظيمة إلى أن امتن الله عليه وعلى أمته بالهجرة المباركة إلى المدينة المنورة ولما بلغ قباء أقام فيها في بني عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم تابع سيره نحو المدينة المنورة فلما وصل إلى بني سالم أدركته الجمعة فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ومن ثم سمي المسجد بمسجد الجمعة وهو قريب من مسجد قباء

### ثانيا - شروط خطبة الجمعة:

- ١- أن تكون خطبتين
- ٢- أن تقع وقت الظهر

- ٣- أن تتقدم على صلاة الجمعة
- ٤- أن تكون بالعربية عند جمهور الفقهاء وأجاز الأحناف الخطبة بغير العربية وهذا أقرب للواقع حالياً فغالب المسلمين لا يعرفون العربية فيفوتهم الانتفاع بما تتضمن من علم وتوجيه .
- ٥- الموالاة بين أركان الخطبة
- ٦- الموالاة بين الخطبتين
- ٧- الموالاة بين الخطبتين الثانية والصلاة
- ٨- القيام عند الخطبة إذا كان الخطيب قادراً على القيام
- ٩- أن يكون الخطيب ساتراً للعورة
- ١٠- أن يكون الخطيب طاهراً من الحدثين الأكبر والأصغر
- ١١- أن يجلس بين الخطبتين ويسن بقدر سورة الإخلاص
- ١٢- أن يحضره أربعون ممن تنعقد بهم الجمعة كما في المذهب الشافعي وعند غيره يختلف العدد .

ثالثاً - أركان خطبة الجمعة لخطبة :

**للجمعة خمس أركان هي :**

- ١- حمد الله تعالى بأي صيغة من صيغ الحمد مع الشهادتين

٢- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة من صيغ الصلاة

٣- الوصية بالتقوى بأي صيغة كانت وهذه الأركان الثلاثة واجبة في الخطبتين

٤- قراءة آية مفهومة في إحدى الخطبتين وفي الأولى أولى

٥- الدعاء للمؤمنين والمؤمنات في الخطبة الثانية

رابعا - سنن خطبة الجمعة ، ولخطبة الجمعة سنن نذكر أبرزها :

١- أن تكون بلغة مفهومة واضحة

٢- كونها على منبر أو موضع عال لأن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ منبراً

٣- أن يسلم الخطيب على المسلمين إذا دخل المسجد وعندما يصعد المنبر ويلتفت إلى المصلين بوجهه

٤- أن يستقبل الخطيب الناس بوجهه وأن يضع يمينه على حرف المنبر

٥- ترتيب أركان الخطبة

٦- ويسن تقصير الخطبة تقصيراً معتدلاً حتى لا يملها الناس لقول جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هي كلمات يسيرات وكون الثانية أقصر من الأولى وروى مسلم عن عمار مرفوعاً إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة فقهه فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة والمئنة: العلامة والمظنة

٧- أن يخاطب الناس على قدر عقولهم فلا يحدثهم بما لا يفهمون

**خامسا - آداب خطبة الجمعة :** ، ولخطبة الجمعة آداب منها :

١- يستحب للخطيب أن ينظف جسمه وثيابه ويلبس البياض ويتطيب لقوله صلى الله عليه وسلم : أحسن ما زرتم الله عز وجل به في قبوركم ومساجدكم البياض رواه ابن ماجه

٢- يندب للخطيب أن يتأخر إلى وقت الخطبة

٣- ألا يقعد إلا بعد أن يصلي تحية المسجد

**كيفية خطبة الجمعة:** يبدأ خطيب الجمعة خطبته بالحمد لله ولها صيغ عديدة منها(إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له) ، ثم يتبعها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مسبقة بالشهادتين (وأشهد ألا إله



إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين) ، ثم يوصي المصلين بتقوى الله سبحانه ويكون ذلك إما بقراءة آية فيها وصية بالتقوى نحو قوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) النساء أو ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) آل عمران أو ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) الأحزاب وإما بكلام غير القرآن الكريم نحو قوله (أوصيكم ونفسي المخطئة بتقوى الله وأحثكم على طاعته) ثم يشرع الخطيب في الدخول بالموضوع الذي يريد أن يتحدث به في خطبته وحبذا أن يبدأ دخوله في موضوعه بقراءة الآية أو الآيات التي تدور في فلكها ثم يدخل في تفاصيل الموضوع مراعيّاً تناسق هيكله وتتابع مراحلها بصورة مضبوطة وشكل متوازن فيبدأ بالمقدمة التي يستهل بها الدخول في موضوعه ثم يتناول موضوع خطبته مقسماً إياه إلى فقرات مرتبة ترتيباً مناسباً ثم ينهي خطبته الأولى بخاتمة يختم بها موضوعه

وبهذا يكون قد حقق بناء موضوع خطبته بكامل مراحلها . وقبل أن يجلس بين الخطبتين يأمر الناس بالاستغفار ولذلك صيغ منها) أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فيا فوز المستغفرين استغفروا الله .) ثم يجلس بين الخطبتين جلسة قصيرة بمقدار ما يقرأ سورة الإخلاص ثم يقوم إلى الخطبة الثانية ويبدوها بالحمد لله كما بدأ الخطبة الأولى ثم الشهادات ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الوصية بالتقوى كما هو الشأن في الخطبة الأولى وبعضهم يميز بين الخطبة الأولى والخطبة الثانية بصيغة الحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر بالتقوى مثال ذلك أن يقول في بدأ الخطبة الثانية: (الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر أشكره تعالى وهو الذي وعد المزيد لمن شكر عباد الله اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما نهى عنه وزجر وأخرجوا حب الدنيا من قلوبكم فإنه إذا استولى أسر وحافظوا على الطاعات وحضور الجماعات واعلموا أن الله أمركم بأمر عظيم بدأ به بنفسه وثنى بملائكته قدسه فقال تعالى ولم يزل قائلاً حكيماً تشرifaً لقد رنبه صلى الله عليه وسلم وتعظيماً وإرشاداً لنا وتعليماً ) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا

عليه وسلموا تسليماً) اللهم صلّ على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين) ولا يشترط على الخطيب أن يلتزم في خطبته مثل هذه الصيغة بل له أن يأتي بأية صيغة شاء على أن تتوفر فيها الأركان الثلاثة ثم للخطيب بعد ذلك أن يتم ما تبقى من موضوعه في الخطبة الثانية إذا لم يكن قد أتمه في الخطبة الأولى . أو يذكر الناس ويعظهم بما يؤكد مضمون موضوع خطبته الأولى بحيث يكون ملخصاً بليغاً له في أذهانهم بعد أدائهم الجمعة وذهابهم إلى مقاصدهم ولقد استحسن أهل العلم أن يقرأ الخطيب قبل نزوله من فوق المنبر قوله تعالى ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)

**سادسا - هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في خطب الجمعة:**

جاء في زاد المعاد الجزء الأول : ( كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساءكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها

وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي رواه مسلم في لفظ كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: ( من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله ) وفي لفظ للنسائي(وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وكان يقول في خطبته بعد التحميد والثناء والتشهد أما بعد وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع وكان يقول) إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه) وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو السؤال لأحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمها وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمها كما نزل لأحد الحسن والحسين فأخذهما ثم رقى المنبر فأتى خطبته وكان يدعو الرجل في خطبته تعال اجلس يا فلان صل يا فلان وكان يأمرهم بمقتضى الحال في

خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها وكان يشير بإصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه وكان يستسقي بهم إذا قحط المطر في خطبته وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير رجل يصيح بين يديه فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر وكان في الحرب يعتمد على قوس وفي الجمعة يعتمد على عصا ولم يحفظ عنه أنه اعتمد على سيف وكان منبره ثلاث درجات وكان قبل اتخاذه يخطب إلى جذع يستند إليه فلما تحول إلى منبر حن الجذع حينئذ سمعه أهل المسجد فنزل إليه صلى الله عليه وسلم وضمه قال أنس: حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي وفقده التصاق النبي صلى الله عليه وسلم ولا يوضع المنبر وسط المسجد وإنما وضع في جانبه الغربي قريباً من الحائط وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة وكان إذا جلس

عليه النبي صلى الله عليه وسلم في غير الجمعة أو خطب قائماً في الجمعة استدار أصحابه إليه بوجوههم وكان وجهه قبلهم في وقت الخطبة وكان يقوم فيخطب ثم يجلس جلسة خفيفة ثم يقوم فيخطب الثانية فإذا فرغ منها أخذ بلال في الإقامة وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالإتصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ويقول من لغا لا جمعة له وكان يقول (من تكلم والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليست له جمعة) رواه الإمام أحمد رحمه الله وقال أبي بن كعب : قرأ رسول الله يوم الجمعة - تبارك - وهو قائم فذكرنا بأيام الله وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة فإني لم أسمعها إلى الآن فأشار إليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال إنه ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وأخبره بالذي قال له -أبي- فقال رسول الله صدق -أبي- ذكره ابن ماجه وسعيد ابن منصور وأصله في مسند الإمام أحمد وقال صلى الله عليه وسلم: ( يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها يلغو وهو حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل

دعا الله عز وجل إن شاء الله أعطاه وإن شاء منعه ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقة مسلم ولم يؤذ أحداً فهي كفارة له إلى يوم الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك أن الله عز وجل يقول (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الأنعام - ذكره أحمد وأبو داود وكان إذا فرغ بلال من الأذان أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة ولم يكن الأذان إلا واحداً .

- **القيام والجلوس في الخطبة:** جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: باب الخطبة قائماً: حدثنا عبد الله بن عمر القواريري قال حدثنا خالد ابن الحارث قال حدثنا عبيد الله بن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم كما تفعلون الآن قال ابن المنذر: الذي عليه جل أهل العلم من العلماء الأمصار ذلك ونقل غيره عن أبي حنيفة أن القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية أنه واجب فإن تركه أساء وصحت خطبته وعند الباقيين أن القيام في الخطبة يشترط للقادر كالصلاة .

**سابعاً - هيئات الخطبتين وآدابها:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ( كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائماً ثم يجلس كما تفعلون اليوم) رواه الجماعة وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال (كان النبي يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً فمن قال إنه يخطب جالساً فقد كذب فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة) رواه أحمد ومسلم وأبو داود ، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة من فقهه فأطيلوا الصلاة و أقصروا الخطبة) رواه أحمد ومسلم [ المئنة: العلامة والمظنة ] ، وعن عبد الله بن أوفى رضي الله عنه قال: ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب طويلاً ويقصر الصلاة) -رواه النسائي ؛ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ( أنه كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هي كلمات يسيرات) - رواه أبو داود ؛ وعنه رضي الله عنه قال: ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: ( صبحكم ومساكم) رواه مسلم وابن ماجه ؛ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال ( ما رأيت رسول الله



صلى الله عليه وآله وسلم شاهراً يديه قط يدعو على منبره ولا غيره ما كان يدعو إلا أن يضع يده حذو منكبه ويشير بأصبعه (إشارة) رواه أحمد وأبو داود وقال فيه (لكن رأيته يقول هكذا وأشار بالسبابة وعقد الوسطى بالإبهام) .

### ثامنا - الأذان حين جلوس الخطيب على المنبر:

جاء في الجزء الرابع من تفسير ابن كثير: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال: حدثنا آدم هو ابن أبي إياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو

نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول ( النداء كان في يوم الجمعة من مؤذن واحد حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادي قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس)

### تاسعا - ذكر الخطبتين قبل الصلاة:

جاء في صحيح مسلم بشرح النووي الجزء السادس تحت عنوان ذكر الخطبتين قبل الصلاة والجلسة بينهما: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري وأبو كامل الحجري جميعاً عن خالد قال أبو كامل حدثنا الحارث حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن عمر قال: ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائماً ثم يجلس ثم يقوم قال كما تفعلون اليوم) وحدثنا يحيى بن يحيى وحسن بن الربيع وأبو بكر بن أبي شيبة قال يحيى: أخبرنا وقال الآخرون: حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن جابر بن سمرة قال ( كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس) وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن سماك قال: أنبأني جابر بن سمرة ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً فمن نبأك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة)

### عاشرا . صلاة ركعتين خفيفتين والإمام بخطب:

من السنة إذا دخل رجل المسجد والإمام يخطب الناس يوم الجمعة أن يصلي ركعتين قبل أن يجلس فقد جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري الجزء الثالث حدثنا أبو النعمان قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: (جاء رجل والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة فقال (أصليت يا فلان) قال: لا، قال: قم فاركع وجاء في رواية مسلم أن الرجل هو سليك الغطفاني فقد جاء يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فقعد سليك قبل أن يصلي فقال له: (أصليت ركعتين) فقال لا فقال قم فاركعها وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق . وقال بعضهم إذا دخل والإمام يخطب فإنه يجلس ولا يصلي وهو قول سفيان وأهل الكوفة كما جاء في سنن الترمذي ودليلهم الحديث الصحيح) إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت) ، وقالوا: إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الواجب ممنوعاً ساعة خطبة الإمام وبه تلغى

الجمعة فلأن تكون النافلة ممنوعة بالأولى وقالوا أيضاً إن الأمور بالركعتين في أثناء الصلاة فقير يحتاج إلى صدقة فأمره النبي بالقيام والصلاة ليروه فيصدقوا عليه روى الترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي واللفظ له عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بهيئة بذة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت؟ قال لا قال صل ركعتين وحث الناس على الصدقة فألقوه ثياباً فأعطاه منها ثوبين ... الحديث وأنت أيها المسلم بأيهما عملت فقد هديت إن شاء الله تعالى .

### حادي عشر - سنن الخطبة:

١- يسن للخطيب أن يلقي السلام على من بجوار المنبر قبل أن يصعد عليه إذا كان قد خرج عليهم من حجرته أو كان قادماً من خارج المسجد أما إذا كان جالساً بينهم فلا يسن له إلقاء السلام عليهم

٢- ويسن للخطيب أن يسلم على الناس بعد صعود المنبر ويلتفت إليهم بوجهه فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا دنا من منبره يوم الجمعة سلم على من عنده من الجلوس فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه ثم سلم قبل أن يجلس .

٣- ويسن أن تكون الخطبة على مكان مرتفع حتى يراه الناس وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم منبر ثلاث درجات كما هو معلوم .

٤- ويسن للخطيب أن يرفع صوته لإسماع الحاضرين وإظهار الشهامة وتفخيم أمر الخطبة والإتيان فيها بجزيل الكلام مع مراعاة مقتضى حال الحاضرين وما يحتاجون إليه من المواعظ والإرشادات روى مسلم عن جابر بن عبد الله (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم أي كأنه ينذر الناس باقتراب العدو منهم فهو قد يصل إليهم في الصباح أو في المساء وهذا إذا اقتضى الأمر ذلك وكان المقام مقام تخويف وإنذار وتذكير بأحوال الموت وأمور الآخرة وليس في جميع الأحوال إذ لكل حال مقال .

٥- ويسن تقصير الخطبة تقصيراً معتدلاً حتى لا يملها الناس لقول جابر بن سمرة رضي الله عنه ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هي كلمات يسيرات .

**ثاني عشر - ومما يتبع سنن الخطبة:**

١- الطهارة وستر العورة سنة عند الجمهور وهي شرط عند الشافعية .

٢- استقبال القوم بوجهه دون التفات يميناً أو شمالاً سنة بالاتفاق كما روى ابن ماجه عن عدي بن ثابت عن أبيه عن جدّه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام على المنبر استقبله الناس بوجوههم .

٣- الجلوس على المنبر قبل الشروع في الخطبة عملاً بالسنة لحديث ابن عمر السابق عند أبي داود وهو متفق عليه.

٤- أن يؤذن مؤذن واحد لا جماعة بين يدي الخطيب إذا جلس على المنبر وهذا متفق عليه روى البخاري عن السائب بن يزيد أنه قال النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي مؤذن غير واحد .

**ثالث عشر - مكروهات الخطبة:**

**مكروهات الخطبة عند الحنفية والمالكية:**

١- هي ترك سنة من السنن المتقدمة ومن أهمها: تطويل الخطبة وترك الطهارة فكلاهما مكروه. وليس ترك السنن المتقدمة عند الشافعية والحنابلة مكروهاً على إطلاقه بل منه ما هو مكروه ومنه ما هو خلاف الأولى .

٢- من المكروه في الخطبة عند الشافعية أن يؤذن جماعة بين يدي الخطيب وهو مكروه عند الحنابلة ويكره دق درج المنبر ويكره الاحتباء للحاضرين في الخطبة لما صح من النهي عنه في حديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه عن سهل بن معاذ: ( أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوّة يوم الجمعة والإمام يخطب ولأنه يجلب النوم ومخل بآداب الجلوس في المجالس فما بالك بمجلس يوم الجمعة ومن خلاف الأولى عند الشافعية أن يغمض السامع والإمام عينيه لغير حاجة حال الخطبة ومن نكس انتقل من مكانه إن لم يتخط أحداً في انتقاله لحديث الترمذي وصححه وأبي داود ( إذا نكس أحدكم في مجلسه فليتحول إلى غيره) .

٣- ومن المكروه عند الحنابلة استدبار الخطيب القوم حال الخطبة وأجاز الحنابلة الاحتباء مع ستر العورة لأنه فعله جماعة من الصحابة وضعفوا حديث النهي عنه كما أجازوا القرفصاء ويكره

عند الحنابلة والشافعية التشبيك في المساجد ومن حين يخرج المصلي من بيته قاصداً المسجد لخبر أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبكن فإن التشبيك من الشيطان وإن أحدكم لا يزال في صلاة ما كان في المسجد حتى يخرج منه) رواه مسلم عن أبي هريرة قال بعض العلماء: إذا كان ينتظر الصلاة جمعاً بين الأخبار فإنه ورد أنه ( لما انفتل صلى الله عليه وسلم من الصلاة التي سلم قبل إتمامها شبك بين أصابعه)

وأما كراهة التشبيك أثناء الذهاب للمسجد فلحديث كعب بن عجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبك بين أصابعه فإنه في صلاة) - ويكره العبث حال الخطبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( من مس الحصى فقد لغا) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وهو حسن وصححه الترمذي . - ويكره الشرب ما لم يشتد عطشه ويكره التخطي للسؤال.

**رابع عشر - أهمية خطبة الجمعة ومكانتها:**



قال أحد المفكرين الإسلاميين إن صلاة الجمعة والحج دعامتان قويتان من دعامات الإسلام إذا زالتا أُنذر بالخطر إن هذه الكلمة لا تتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ { الحجر : الآية ٩ } فنحن نؤمن إيماناً كبيراً بأن الله سبحانه تكفل بحفظ هذا الدين الحنيف ولكنه أناط هذا الحفظ بأسباب وعوامل منها: استقرار صلاة الجمعة وفريضة الحج وبقاؤهما حتى ترفع الكعبة فخطبة الجمعة ذات أهمية كبيرة وأثر بالغ في نشر الإسلام وترسيخ مبادئه السمحة في نفوس المسلمين الذين يجتمعون إليها في كل أسبوع فتكون بهم مظهراً رائعاً من مظاهر قوة الإسلام ورسوخ كلمته في الحياة كما هو الأمر في فريضة الحج ففريضة الجمعة تحشد المسلمين في بيوت الله على صعيد مصر أو القرية أو الحي وفريضة الحج تحشد المسلمين على صعيد العالم الإسلامي حيث يأتون من شتى بقاع الأرض فيجتمعون في وقت واحد بمكان واحد على عبادة يؤدونها على نسق واحد فتتجلى بذلك ضخامة الإسلام بأتمته وقوته في أتباعه ويمكننا إدراك أهمية فريضة الجمعة وأثرها البالغ في حياة المسلمين من خلال ظاهرة تعبر عن واقعهم في هذا العصر وهي

أنا نجد عدداً كبيراً من المسلمين كباراً وصغاراً قد يتهاونون الصلوات الخمس اليومية ويقصرون في أدائها ولكنهم إذا جاء يوم الجمعة تركوا أعمالهم ومشاغل دنياهم وانطلقوا مغتسلين متطيبين متزينين إلى المساجد التي تمتلئ بهم حيث يجلسون في رحابها يستمعون إلى خطبة الجمعة ثم يؤدون صلاتها ليرجعوا بعد ذلك إلى بيوتهم منشرحي الصدور وقد اغتبطوا بأنوار ما استمعوا إليه من الذكر والمواعظ النافعة وفي ذلك دليل واضح على القوة العجيبة التي أودعها الله في فريضة الجمعة وعلى التأثير البليغ في خطبتها .

**ب- خطبة العيد :**

**أولاً - حكم خطبة العيد :**

تسن عند الجمهور وتندب عند المالكية خطبتان للعيد كخطبتي الجمعة في الأركان والشروط والسنن والمكروهات بعد صلاة العيد خلافاً للجمعة فهي قبل الصلاة بالإجماع يذكر الإمام في خطبة عيد الفطر بأحكام زكاة الفطر لقوله صلى الله عليه وسلم : ( أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم) وفي عيد الأضحى بأحكام الأضحية وتكبيرات التشريق ووقوف الناس بعرفة وغيرها تشبهاً

بالحجاج وما يحتاجون إليه في يومهم ويحسن تعليمهم ذلك في خطبة الجمعة السابقة على العيد وإذا صعد على المنبر لا يجلس عند الحنفية ويجلس عند الحنابلة والمالكية والشافعية ليستريح ودليل سنية الخطبة التأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم وبخلفائه الراشدين فلا يجب حضورها ولا استماعها لما روى عطاء عن عبد الله بن السائب قال: (هدت مع النبي صلى الله عليه وسلم العيد فلما انقضت الصلاة قال: إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب) ولو ترك الخطبة جازت صلاة العيد لكنه خالف السنة وكونها بعد الصلاة اتباعاً للسنة أيضاً فإن ابن عمر قال: (أن النبي وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يصلون العيدين قبل الخطبة) متفق عليه فلو خطب الإمام قبل الصلاة صح عند الحنفية وأساء لترك السنة لأن التأخير سنة ويبدأ الخطيب بالتكبير كما يكبر في أثنائها من غير تحديد عند المالكية وقيل عندهم سبعاً في أولها وعند الجمهور يكبر في الخطبة الأولى تسع تكبيرات متوالية وفي الثانية يكبر بسبع تكبيرات متوالية أيضاً كما روى سعيد بن منصور عن عبيد الله بن عتبة قال: كان يكبر الإمام يوم العيد قبل أن يخطب تسع تكبيرات وفي الثانية سبع

تكبيرات ويستحب عند الحنفية أيضاً أن يكبر الإمام قبل نزوله من المنبر أربع عشرة مرة ويندب للإمام بعد فراغه من الخطبة أن يعيدها لمن فاتته سماعها ولو شاء اتباع السنة رواه الشيخان .

### ثانياً - وتختلف خطبة العيد عن خطبة الجمعة في أمور :

- ١- أن خطبة الجمعة تكون قبل الصلاة وخطبة العيد بعد الصلاة فإذا قدمها لم تصح عند غير الحنفية ويندب إعادتها بعد الصلاة .
- ٢- أن خطبتي الجمعة تبدأ أن بحمد الله وهو شرط أو ركن عند الشافعية والحنابلة سنة عند الحنفية مندوب عند المالكية أما خطبتا العيد فيسن افتتاحهما بالتكبير .
- ٣- أن الخطيب عند الحنفية خلافاً للجمهور لا يجلس إذا صعد المنبر ويجلس في خطبة الجمعة ومنها أن الخطيب عند المالكية إذا أحدث في أثناء خطبة العيد يستمر ولا يستخلف بخلاف خطبة الجمعة فإنه إن أحدث فيها يستخلف .
- ٤- أن خطبة العيد عند الشافعية لا يشترط فيها شروط خطبة الجمعة من قيام وطهارة وستر العورة وجلوس بين الخطبتين وإنما يسن ذلك فقط .

### ثالثاً - موعظة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في عيد الفطر:

روى الإمام البخاري بسنده عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة ثم خطب فلما فرغ نزل فأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة قلت لعطاء زكاة يوم الفطر؟ قال: لا ولكن صدقة يتصدقن حينئذ تلقى فتحها ويلقين قلت أترى حقاً على الإمام ذلك يأتيهن ويذكرهن؟ قال: إنه لحق عليهم وما لهم لا يفعلونه؟

### رابعاً - أهمية خطبة العيد :

لا تقلّ خطبة العيد في أهميتها عن سواها من الخطب الدينية فهي ميدان رحب لتذكير الناس بكثير من القضايا التي ينبغي عليهم ألا يغفلوا عنها ولتنبيههم إلى أمور لها مس مباشر بواقعهم في مناسبات أعيادهم فخطبة العيد ذات دور فعال في إيقاظ الناس إلى حقائق دينهم وآداب شريعتهم وتوجيههم إلى المعاني الإنسانية العالية والأخلاق الفاضلة والاستقامة على منهج طاعة الله وحسن عبادته وينبغي لخطيب العيد أن يتناول في المواضيع التي تتعلق

بواقع المسلمين في أعيادهم فيتحدث عن صلة الأرحام وزيارة الأقرباء وإعانة الفقراء والعطف على الأيتام والأرامل والإحسان إلى الجيران وتفقد أحوال الأصحاب والإخوان في الله ويبين فضل ذلك وما يناله القائم بهذه الأعمال الخيرية الصالحة ابتغاء وجه الله من الأجر العظيم عند المالك الديان الذي لا يضيع عنده مثقال ذرة . كما ينبغي على الخطيب في العيد أن ينبه إلى المنكرات والمعاصي التي أصبحت تجتاح أعياد المسلمين في هذه الأيام وتكتسح بيوتهم بشكل ساخر في أيام الأعياد حيث تشرب الخمر وتشيع الفاحشة ويعكف الناس على المغنيات والمعازف حضوراً في مجالسها أو مشاهدة لبرامجها ويحذرهم من الاختلاط وينذرهم خطرهم على المجتمع كله ويحذرهم من الانحراف الخلقي الذي يسقط فيه أبناؤهم وتفرق في لجة فتياتهم وخاصة في الأعياد والتي أصبحت مآثم قائم تذبج فيها الفضائل وتراق فيها دماء الشرف والعفاف ومطلوب من الخطيب أن يحض المستمعين على أن يجعلوا أعيادهم كما أمر الله تعالى مواسم للعبادة والطاعة ومناسبات لزيادة التواصل الاجتماعي وتمتين العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم . ولا بأس بالخطيب في أن يربط بين رمضان وعيد الفطر

ويذكر الناس بفضل يوم العيد الذي هو يوم الجائزة كما يربط ما بين عيد الأضحى والحج والأضحية وحبذا أن يذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما بنى البيت ورحلته بهاجر زوجة أم إسماعيل وماء زمزم وأن يذكر عزم إبراهيم عليه السلام على أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام تنفيذاً لأمر الله تعالى وليحرص على أن يجعل هذا الحادث مدرسة تنطلق منها أروع المبادئ وأعظم المواعظ وأجل الدروس التي يحتاجها المسلمون في حياتهم وألا يكتفي بعرض القصص بل يهتم بالعبير والعظات المستفادة منها .

### ج - خطبة الاستسقاء :

#### أولاً - حكمها:

جاء في كتاب الفقه الإسلامي وأدلته وفي فتح القدير ١/٤٣٩ وما بعدها واللباب ١/١٢٢ وما بعدها قال أبو حنيفة : لا خطبة للاستسقاء لأنها تبع للجماعة ولا جماعة لها عنده وإنما دعاء واستغفار يستقبل فيها الإمام القبلة قال ابن عباس حينما سئل عن صلاة الاستسقاء خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعاً متبذلاً متخشعاً متضرعاً فصلى ركعتين كما يصلي في العيد ولم

يخطب خطبتكم هذه . وقال الصحابان يصلي الإمام بالناس ركعتين فيهما بالقراءة ثم يخطب ويستقبل القبلة بالدعاء ويخطب خطبتين بينهما جلسة كالعيد عند محمد وخطبة واحدة عند أبي يوسف ويكون معظم الخطبة الاستغفار وقال الجمهور يخطب الإمام للاستسقاء بعد الصلاة على الصحيح خطبتين كصلاة العيد عند المالكية كما صنع في العيدين وخطبة واحدة عند الحنابلة لأنه لم ينقل أنه خطب بأكثر منها ودليلهم على طلب الخطبة وكونها بعد الصلاة حديث أبي هريرة خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم يوماً يستسقي فصلى ركعتين بلا أذان ولا إقامة ثم خطبنا ودعا الله عز وجل وحول وجهه نحو القبلة رافعاً يديه ثم قلب رداءه فجعل الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن كما جاء في نيل الأوطار وتجوز عند الشافعية الخطبة قبل الصلاة لحديث عبد الله ابن زيد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم خرج يستسقي فحول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو ثم حول رداءه ثم صلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة كما جاء في نيل الأوطار . وتختلف عن خطبة العيد في رأي المالكية والشافعية في أن الإمام يستغفر الله تعالى بدل التكبير فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب



إليه ويكثر فيها الاستغفار لأنه سبب لنزول الغيث ، ولا حد للاستغفار عند المالكية في أول الخطبة الأولى والثانية ويستغفر الخطيب في الخطبة الأولى عند الشافعية تسعاً وفي الثانية سبعاً ويستحب أن يكثر من الاستغفار لقوله تعالى ﴿ فَكَلَّمْتُ اسْتَغْفِرُوا

رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ { نوح

: الآية ١٠-١١ } ويفتح عند الحنابلة الخطبة بالتكبير تسعاً نسقاً كخطبة العيد ويكثر فيها عندهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنها معونة على الإجابة قال عمر: الدعاء موقوف بين السماء والأرض ولا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك رواه الترمذي ، ويقرأ كثيراً (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) وسائر الآيات التي فيها الأمر به فإن الله تعالى وعدهم بإرسال الغيث إذا استغفروه .

### ثانيا - أركان خطبة الاستسقاء وشروطها :

أركانها هي أركان خطبة الجمعة نفسها وشروطها هي شروط خطبة العيد بالإضافة إلى أن يرفع الخطيب صوته حتى يسمع الناس في ذلك الموقف .

**د - خطبة الكسوف :****أولاً - حكمها :**

السنة أن يخطب لها بعد الصلاة لما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم فرغ من صلاته فقام فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: (الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فصلوا وتصدقوا) هذا الحديث الذي روته السيدة عائشة أخرجه مالك والبخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والدرامي واتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على استحباب خطبتين بعد صلاة الكسوف وهما سنة ليستا شرطاً لصحة الصلاة . وصفتها كخطبتي الجمعة في الأركان والشروط وغيرها سواء صلاها جماعة في مصر أو قرية أو صلاها المسافرون في الصحراء وأهل البادية ولا يخطب من صلاها منفرداً ويحثهم في هذه الخطبة على التوبة من المعاصي وعلى فعل الخير والصدقة والعناقة ويحذرهم الغفلة والاعتزاز ويأمرهم بإكثار الدعاء والاستغفار والذكر ففي الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك في خطبته قال الشافعي في الأم ويجلس قبل الخطبة الأولى كما في الجمعة هذا

نصه واستحاب خطبتين بعد صلاة الكسوف قال به جمهور السلف ونقله ابن المنذر عن الجمهور وقال مالك وأبو حنيفة وأبو يوسف وأحمد في رواية لا تشرع لها الخطبة دليلنا الأحاديث الصحيحة وهذا حجة لمن قال خلاف الجمهور

### ثانياً - ذكر الله تعالى والدعاء حال الكسوف :

اتفق الفقهاء على أنه يستحب ذكر الله تعالى والدعاء والاستغفار والصدقة والتقرب إلى الله تعالى بما استطاع من القرب لقوله صلى الله عليه وسلم (فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا وصلوا) وفي لفظ (إذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره) متفق عليه . ولأنه تخويف من الله تعالى فينبغي أن يبادر إلى طاعة الله تعالى ليكشفه عن عباده والدعاء يكون بعد الصلاة يدعو الإمام جالساً مستقبلاً القبلة إن شاء أو قائماً مستقبلاً الناس .

### ثالثاً - أركان خطبة الكسوف:

هي أركان خطبة الجمعة نفسها وشروطها تتفق مع شروط خطبة العيد وأن يرفع الخطيب صوته ليعلم الناس في مثل هذا الموقف

**رابعاً-سنن خطبة الكسوف :** هي سنن خطبة العيد نفسها ويضاف إلى ذلك

١- الاستغفار بدل التكبير كما هو الشأن في خطبة الاستسقاء لأن واقع الحال يتطلب التوبة والاستغفار .

٢- أن يحض الخطيب الناس على التوبة وفعل الخيرات ويحثهم على الصدقة

٣- الإكثار من الدعاء والاستغفار .

**خامساً - كيفية خطبة الكسوف:**

لا تختلف خطبة الكسوف من حيث أدائها عن خطبة الجمعة والعيد اللهم إلا بفاتحة الخطبتين حيث يفتح الخطيب الخطبة الأولى بالاستغفار تسعاً والثانية بالاستغفار سبعاً كما هو الشأن في خطبة الاستسقاء ثم يشرع بأركان الخطبة المعهودة في خطبة الجمعة ويحرص خطيب الكسوف على أن يحض الناس على التوبة ويذكرهم بالآخرة ويحذرهم من المعاصي والمحرمات ويكثر في الخطبة من الدعاء والاستغفار ويبين لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله سبحانه فإذا حدث فيهما كسوف أو خسوف فعليهم أن يزدادوا إقبالاً على ربهم وأن يكثرُوا من الاستغفار والتوبة في

هذا المقام الذي يذكرهم بأهوال يوم القيامة ثم ينهي خطبته كما يفعل في خطبة الجمعة .

### سادساً- استخلاص العبر والعظات في خطبة الكسوف:

وينبغي على الخطيب أن يستغل هذه المناسبة الحادثة فيذكر الناس ويعظهم ويحذرهم من مغبة الغفلة عن الله سبحانه ويحضهم على أن يرجعوا إلى ربهم وأن ينظفوا قلوبهم من حب الدنيا وشهواتها ويظهروا نفوسهم من التعلق بفتنتها والخضوع لمغرياتها ويذكرهم باليوم الموعود الذي يضطرب فيه نظام الكون ويختل فيه توازنه وتتبدل معالمه فكأن الأرض غير الأرض والسماء غير السماء فإذا بالشمس تكور و النجوم وتنكدر والقمر ينخسف ويصبح الناس يتخبطون كالسكارى ويضربون وهم حيارى ويقرأ عليهم الآيات التي تتحدث عن الساعة وأهوالها نحو قوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى

وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ { الحج : الآية ١-٢ } وقوله

سبحانه في وصف بعض مظاهر أهوال القيامة ﴿ إِذَا الشَّمْسُ  
 كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ { التكوير : الآية ١-٢ } ،  
 وقوله: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ \* وَخَسَفَ الْقَمَرُ \* وَجُمِعَ  
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ \* يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ﴾ {  
 القيامة : الآية ٧-١٠ } ويعمد الخطيب إلى الإكثار من الدعاء  
 والاستغفار في خطبته ويدعو الناس إلى مشاركته في ذلك وينبغي  
 لنا أخيراً أن نعلم أن خطبة الكسوف لا تسقط سنتها وإن انكشفت  
 الشمس أو تجلى القمر قبل الشروع فيها .

#### سابعاً- أهمية الخطبة فيها :

إن لخطبة الكسوف أهمية لا تقل في وزنها عن أهمية الخطب  
 الدينية الأخرى لأن فيها رصيلاً كبيراً من التذكير والتوجيه  
 المناسب لحادث الكسوف حيث يتناول الخطيب فيها موضوع  
 الحديث عن الساعة وأهوالها مما يؤدي إلى إيقاظ القلوب الغافلة  
 والنفوس السادرة وبعث معاني الخوف والخشية من الله سبحانه

وتعالى وتبنيه الناس إلى ذلك الموقف العصيب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

**هـ - خطب الحج :**

**أولاً - حكمها:**

يستحب في الحج أربع خطب كما قال النووي في المجموع وهي :  
يوم السابع من ذي الحجة بمكة ويوم عرفة بمسجد إبراهيم ويوم  
النحر بمنى ويوم النفر بمنى أيضاً وبه قال داود وقال مالك وأبو  
حنيفة خطب الحج ثلاث يوم السابع والتاسع ويوم النفر الثاني قالوا  
ولا خطبة في يوم النحر وقال أحمد ليس في السابع خطبة وقال  
زفر خطب الحج ثلاث يوم الثامن ويوم عرفة ويوم النحر ولقد  
ذكرنا دليلنا في خطبة السابع ويوم عرفة وأما خطبته يوم النحر  
ففيها أحاديث صحيحة منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص  
أن النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم النحر فقام إليه  
رجل فقال ما كنت أحسب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
كذا وكذا قبل كذا وكذا ثم جاء آخر فقال يا رسول الله كنت أحسب  
أن كذا قبل كذا وكذا لهؤلاء الثلاث قال (افعل ولا حرج) رواه البخاري  
ومسلم في صحيحهما يعني بالثلاث الرمي يوم النحر والحلق ونحر

الهدى وعن أبي بكرة قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال أي يوم هذا؟ وذكر الحديث في خطبته صلى الله عليه وسلم يوم النحر بمنى وبيانه تحريم الدماء والأعراض والأموال رواه البخاري ومسلم . وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال ( يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا يوم حرام قال فأي بلد هذه؟) قالوا بلد حرام قال (فأي شهر هذا؟) قالوا شهر حرام قال (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال (اللهم قد بلغت) رواه البخاري ، وقال النووي في المجموع مذهبنا أن خطبة عرفات يخطب الخطبة الأولى قبل الأذان ثم يشرع الإمام في الخطبة الثانية مع شروع المؤذن في الأذان كما سبق وقال أبو حنيفة يؤذن قبل الخطبة كما الجمعة واحتج أصحابنا بحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة وقال ( إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم) إلى آخر خطبته قال ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف) ، قال النووي في



المجموع) ويخطب الإمام اليوم السابع من ذي الحجة بعد الظهر بمكة ويأمر الناس بالغدو من الغد إلى منى وهي إحدى الخطب الأربع المسنونة في الحج والدليل عليه ما روى ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان قبل التروية بيوم خطب الناس وأخبرهم بمناسكهم أخرجهم البيهقي من حديث ابن عمر ، وقال الإمام النووي في المجموع وأما خطبة اليوم الثاني من أيام التشريق ففيها حديث عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه عن رجلين من بني بكر قالوا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب أيام التشريق ونحن عند راحته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى رواه أبو داود بإسناد صحيح وعن سراء بنت نبهان الصحابية رضي الله عنها قالت خطبنا رسول الله يوم الروس فقال أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال (أليس أوسط أيام التشريق) رواه أبو داود بإسناد حسن

### و - خطبة النكاح :

لم يرد في السنة الشريفة شيء عن خطبة النكاح بمفهوم الخطبة المعروفة كما في الجمعة والعيدين أو الاستسقاء أو الكسوف أو الخسوف أو خطب الحج حيث تتوفر أركان الخطبة الشرعية والوارد

في هذا الخصوص لا يتعدى طلب نكاح من ولي امرأة من الراغب في الزواج أو وكيله ورد الولي بالإيجاب أو الاعتذار وقد جاء في كتاب نيل الأوطار للشوكاني ما اعتبره خطبة للنكاح عن ابن مسعود قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة والتشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة وذكر تشهد الصلاة قال والتشهد في الحاجة : إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال: ويقرأ ثلاث آيات ففسرها سفيان الثوري ( اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) (واتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) رواه الترمذي وصححه أخرجه أيضاً أبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي وقد استدل بحديث ابن مسعود هذا على مشروعية الخطبة عند عقد النكاح وعند كل حاجة قال الترمذي في سننه وقد قال أهل العلم إن النكاح جائز بغير خطبة ويدل على الندب والجواز حديث إسماعيل بن إبراهيم وهذا نصه : عن إسماعيل بن إبراهيم عن رجل من بني سليم قال خطبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم

أمامة بنت عبد المطلب فأنكحني من غير أن يتشهد - رواه أبو داود . ومما يجدر ذكره خطبة أبي طالب عند زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومع أنها قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنها تتصل بشخصيته الكريمة صلوات الله وسلامه عليه . وفي زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها أرسلت خديجة بنت خويلد إلى أمين قريش ومأمونها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وسلامه تخطبه وتقول له إني قد رغبت فيك لقربتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فرجع محمد بالقول إلى عمه أبي طالب فرضيه له وأقره عليه لما استقر لخديجة من نبيل الخلق وسناء الحياء وأقبل القوم من بني هاشم وفيهم كريم فتيانهم ونجيب عشيرتهم محمد بن عبد الله فنزلوا من بني عمهم أكرم منزل وأسناه وهناك تداول الخطابة أبو طالب بن عبد المطلب سيد قريش وورقة بن نوفل ابن عم خديجة - بتفويض من عمها عمرو بن أسد .

**فقال أبو طالب في خطبته:** ( الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة

بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل من قريش شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً إلا رجع به وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد له نبأ عظيم وخطر جليل وقد رغب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشأ) ، ثم خطب ورقة بن نوفل بتفويض عمرو بن أسد عم خديجة فقال: ( الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على من عدت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش أنني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله)

### خامساً - خصائص الخطابة في صدر الإسلام

تطورت الخطابة تطوراً واسعاً إذ اتخذت أداةً للدعوة إلى الدين الجديد وقد كان عليه السلام زان المنابر وهز بالبلاغة أوتار القلوب وترجع أسباب نهضة الخطابة في هذا العصر إلى أنها أكثر مرونة من الشعر في تحمل المعاني وليس من السهل أن نودع الشعر حججاً وبراهين ومناقشات لأنه مقيد بالأوزان والقوافي ولأن

الإسلام شجع الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما كان للخطابة دور في تحميس الجنود في معارك الفتوح.. وقد تعددت أغراض الخطابة فمن دينية إلى سياسية إلى خطب معارك ووفود. وعلى الرغم من أن لكل خطيب طابعاً شخصياً يبدو في أفكاره وأسلوبه وأن لكل نوع من أنواع الخطابة التي عرفناها مزايا خاصة ينفرد بها على الرغم من ذلك كله نستطيع أن نلمح خصائص مشتركة للخطابة في العصر الإسلامي نوجزها فيما يلي:

- ١- أصبح لها أصول ثابتة من ابتداء بحمد الله وتمجيده وتوشيح بالآيات أو اقتباس من القرآن الكريم
- ٢- استعمال الألفاظ الإسلامية الجديدة ومحاكاة الأسلوب القرآني واعتماد على الأفكار الدينية الجديدة .
- ٣- التنسيق والترابط والانسجام بين فقرات الخطبة فقد غدت أكثر الخطب في هذا العصر وحدة فنية متناسقة أقسامها واضحة تبتدئ بمقدمة ثم تنتقل إلى الغرض فالخاتمة..
- ٤- ويغلب على الخطابة الإيجاز والرشاقة
- ٥- الاعتماد على الأسلوب العاطفي حيث تكثر فيها الجمل الإنشائية المختلفة

- ٦- الإيحاء والصور المثيرة للخيال
- ٧- تكاد تخلو من السجع الذي عوض عنه بقصر الجملة وكثرة التوازن والتقابل..

### اعتمد الخطباء في خطبهم على :

- ١- استخدام النزعة الدينية .
- ٢- الاتكاء على معاني القرآن والأحاديث النبوية .
- ٣- توظيف العاطفة الدينية والحزبية .
- ٤- الإكثار من أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والإنذار
- ٥- اتخاذ الحجة والجدل وسيلة لإقناع الخصم .
- ٦- الاعتماد على الألفاظ المنغمة والتراكيب الموسقة السجع.
- ٧- الإيجاز والإجمال في توصيل الغرض من الخطبة

# الباب الخامس الخطابة في

# عهد الخلفاء الراشدين





# الباب الخامس

## الفصل الأول

# خطوات الخطابة في العصر الراشدي

١ - ترسّمت الخطابة في العهد الراشدي خطا الخطابة في عصر صدر الإسلام ، ونهجت السبيل نفسها في عصر صدر الإسلام ، وتميزت بالخصائص نفسها، فكانت تتحدث عن الموضوعات نفسها. فالجاحظ يقول: "كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة" ، ومن يرجع إلى حروب الردة يرى بعض المتنبئين مثل مسيلمة الكذاب يتكهنون، ويسجعون في كهانتهم، وكان مسيلمة خاصة "يسجع السجاعات، ويقولها مضاهاة للقرآن الكريم" ، ويقول الجاحظ: إنه "عدا على القرآن فسلبه، وأخذ بعضه وتعاطى أن يقارنه". وقد انتهت هذه الموجة من سجع المتنبئين بانتهاء حروب الردة، ولكن السجع

بعامة لم ينته معها تماما، فقد ظلت الخطباء تسجع بين يدي الخلفاء على نحو ما يلاحظ الجاحظ.

٢ - وإذا نظرنا فيما أثر من خطب عند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ومن تبعه من الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عنهم ، وجدناهم يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم في خطاباتهم، فهم لا يستخدمون السجع فيها، وهم يفتتحونها بحمد الله، وتمجيده والصلاة على رسوله ويوشونها بآيات من القرآن الكريم، وبعض أحاديث نبيه العظيم، مستمدين من هذين ينبوعين الغزيرين في وعظهم، وفيما يسوقونه من وصايا وتعاليم. وكان الصديق رضي الله تعالى عنه في الذروة من البلاغة ، ومن البيان ، والفصاحة، ومن خطبة له يقول : "إلا إن أشقى الناس في الدنيا ، والآخرة الملوك : ألا إن الفقراء هم المرحومون، ألا ؛ وإنكم اليوم على خلافة النبوة، ومفرق المحجة ، وإنكم سترون بعدي ملكا عضوضاً ، وملكاً عنوداً ، وأمة شعاعا ، ودما مفاحاً ، فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، وتحيا بها الفتن، وتموت لها السنن، فالزموا المساجد ، واستثيروا القرآن ، واعتصموا بالطاعة، ولا تفرقوا الجماعة". وكان كثيراً رضي الله

تعالى عنه ، ما يخطب في الجيوش الخارجة إلى الغزو، فيوصيها ويوصي قادتها باتباع هدى الإسلام، وبالجهاد في سبيله ؛ وله وصية مشهورة يوصي فيها عمر حين استخلفه عند موته بتقوى الله، واتباع الحق حتى لا يلقي بيده إلى التهلكة ، وهو في كل ما أثر عنه يحسن اختيار لفظه، في أسلوب مرسل يشف عن دقة حسه، ومعرفته بمواضع الكلم، ولعل مما يدل على ذلك أنه مر برجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فقال: لا، عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله" وذلك حتى يفهم السامع أن -لا- هي حرف استئناف ، وليست حرف عطف .

٣ - وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مثل صاحبه في الأفق الأعلى من روعة البيان ، والخطابة، وله خطب تدور في كتب الأدب ، والتاريخ نكتفي منها بهذه القطعة : " اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلعة، وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور، إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة أورثت حزنا

طويلاً". وله وصايا كثيرة يوصي فيها قواد الجيوش الفاتحة بجنودهم، وبمن يغزونهم من الأمم، ومن أروع وصاياه وصيته للخليفة من بعده، ونسوق منها بعض نصائحه له، يقول: "أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً : أن تعرف سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئتهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردة العدو، وجباة الأموال والفيء . لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيراً. فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام: أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم، وأوصيك بأهل الزمة خيراً: أن تقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة. وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم، وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم.. وآمرك أن تشتد في أمور الله ، وفي حدوده، ومعاصيه على قريب الناس، وبعيدهم.. واجعل الناس سواء عندك لا تبالي على من وجب الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك ؛ والأثرة ؛ والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على

المؤمنين، فتجور ؛ وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك". والوصية طويلة، وهي أشبه بدستور قديم، يضمنه عمر مواد الحكم كما في شريعة الله ، وسنة رسوله، وهي تجري -شأنها شأن خطبه- في هذا الأسلوب الناصع البريء من الفضول ، ومن التكلف، والذي يملأ السمع بجزالته ، ورسائته ، وقوته، وكان خطيباً لا يبارى في مخارج كلامه، حتى قالوا: إنه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أي شذقيه شاء . ولم يكن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يبلغ من الفصاحة ، والبيان مبلغ صاحبيه، ويروى أنه صعد المنبر ذات يوم، فأرتج عليه، فقال: "إن أبا بكر وعمر كان يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب" . وأما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، فإنه لم يكن يقل عن أبي بكر، وعمر شأواً في خطابته، وقد أثرت عنه خطب كثيرة، ولا نقصد الخطب التي يحتويها بين دفتيه كتاب "تهج البلاغة"، فأكثره مصنوع ومحمول عليه، وقد أشار إلى ذلك كثير من العلماء، واختلفوا هل هو من عمل الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ للهجرة، أو هو من عمل أخيه الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة، يقول ابن خلكان في ترجمة أولهما بكتابه

وفيات الأعيان: "قد اختلفت الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي، وقد قيل: إنه ليس من كلام علي رضي الله تعالى عنه، وإنما الذي جمعه، ونسبه إليه هو الذي وضعه". ويردد هذا الكلام الياضي في مرآة الجنان، وابن العماد في شذرات الذهب، ويؤكد الذهبي في ميزان الاعتدال أن الشريف المرتضى هو الذي وضعه، ويذهب مذهبه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، يقول: "من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب والصراح، والحط على السيدين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل". ويذهب النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ للهجرة في كتابه "الرجال" إلى أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضي<sup>٢</sup>، وهذا هو الصحيح بشهادة الرضي نفسه، وشهادة شراح كتابه، فقد ذكر في الجزء الخامس المطبوع من تفسيره أنه هو الذي ألفه، ووسمه باسمه نهج البلاغة، كما ذكر ذلك في كتابه "مجازات



الآثار النبوية"؛ ونجد ابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ في شرحه للكتاب يعترف بأن خطبته من عمل الشريف الرضي، ويذهب ابن ميثم البحراني في شرحه عليه إلى أنه من تأليف الشريف. وإذن فالكتاب من عمل الشريف الرضي وصنعه، ويظهر أنه لم يؤلفه جميعاً، فقد أضاف قبله كثير من أرباب الهوى، وفصحاء الخطب، وأقوالاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، يدل على ذلك ما جاء في مروج الذهب للمسعودي إذ يقول: "الذي حفظ الناس عن علي رضي الله تعالى عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة خطبة، ونيف؛ وثمانون خطبة يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك عنه قولاً، وعملاً"، وكأن الشريف الرضي وجد مادة صاغ منها كتابه، وهي مادة بنيت على السجع، ونفي ذلك نفسه ما يدل على كذب نسبتها إلى علي، رضي الله تعالى عنه إذ ليس من الطبيعي أن يسجع علي رضي الله تعالى عنه في خطابته، بينما ينهي الرسول الكريم عن السجع، ويتحاماها أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم في خطاباتهم. ومعنى هذا كله أنه لا يصح الاعتماد على هذا الكتاب في تصور خطابة علي، وأنه ينبغي الرجوع إلى المصادر الأولى، مثل البيان

والتبيين للجاحظ، وقد روى طرفاً من خطبة ، وكلامه ، ومواعظه، وقد دفعته حروبه مع طلحة ، والزبير ، وعائشة رضي الله تعالى عنها ، ثم مع معاوية إلى أن يكثُر من دعوة جنوده إلى جهاد أعدائه، وتحميسهم للكفاح، والنضال في سبيل مبدئهم وفكرتهم ؛ ولعل في كل ما قدمنا ما يدل على نهضة الخطابة في هذا العصر من عصور الإسلام، إذ أتيح لها من نبوة الرسول، ورسالته وبيانه ، وبلاغته ما اتخذهُ خلفاؤه الراشدون -رضوان الله تعالى عنهم - لهم إماماً، وفرق بعيد بين خطب هذا العصر، وخطب الجاهلية، فالأخيرة جمل وصيغ لا رابط بينها تأخذ في الأكثر شكل حكم متناثرة، يسردها الخطيب سرداً، أما في هذا العصر، فقد أصبح للخطبة غاية دينية واضحة تسمو بالعربي في مراقي الفلاح الروحي، وقد تخوض في تنظيمات حربية ؛ أو اجتماعية، وكل ذلك معناه أنها أصبحت ذات موضوع تدور عليه، وأنها ارتقت رقباً بعيداً.

# الباب الخامس

## الفصل الثاني

### نماذج من الخطل في العصر الراشدي

أ - من حُطِبَ أبي بكر الصديق رضى الله عنه:

كان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- أول من أسلم من الرجال،  
وكان أحب رفيق إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد نوه

القرآن الكريم بذكره كما ذكر (أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي "٣٥٠-٤٢٩هـ" الاقتباس من القرآن الكريم ج١ تحقيق الدكتورة ابتسام مرهون الصفار -ص ١٠٨-١٠٩- الهيئة العامة لقصور الثقافة ) حيث قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ { سورة الزمر: الآية ٣٣ . } ، وقال في مصاحبته رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الغار: ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ { سورة التوبة: الآية ٤٠ . } ، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- استشاره ، وعمر -رضي الله عنهما- في أسرى قريش، فأشار أبو بكر بالمنّ عليهم، وإطلاقهم، وأشار عمر بعرضهم على السيف واستصفاء أموالهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله الذي أيدني بكما، أما أحكما فسهل رحيم رفيق مثله كمثل إبراهيم عليه السلام إذ قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَدِيعٌ رَحِيمٌ ﴾ { سورة إبراهيم: الآية ٣٦ . } ، وكمثل عيسى عليه السلام إذ قال: ﴿ إِنَّ تَعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

**﴿ الْحَكِيم ﴾** { سورة المائدة: الآية ١١٨ . } ، وأما الآخر فـصـلب  
 في دين الله، قوي شديد مثله كمثل نوح -عليه السلام- إذا قال:  
**﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ إِنَّكَ إِنَّ تَذَرَهُمْ  
 يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا ﴾** { سورة نوح:  
 الآيتان: ٢٦ - ٢٧ . } ، وموسى عليه السلام إذ قال: **﴿ رَبَّنَا  
 اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى  
 يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾** { سورة يونس: الآية ٨٨ . } وأبو بكر  
 -رضى الله عنه- خير من يمثل المسلم بأخلاقه ، وفضائله ،  
 وحميته للدين ، وتأثره بهدي القرآن الكريم ، وبالرسول الكريم -صلى  
 الله عليه وسلم- تأثراً استحوذ على كل نفسه، فإذا لسانه يتدفق  
 تدفق السيل، بما استشعر من معاني الإسلام، وقيمه الروحية، وقد  
 أثرت عنه خطب كثيرة، تدل دلالة واضحة على شدة شكيمته في  
 الدين ، ويقظته ، وصدق حسه، وأنه حقاً كان أجدر أصحاب  
 رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخلافته.

## ١- خطبته رضي الله تعالى عنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه

وسلم:

لما قبض الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه لم يجسر أحد من المسلمين على نعيه ، واضطرب الناس ؛ وماجوا، وقالوا ، وقال معهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن رسول الله لم يمت. أقبل الصديق رضي الله تعالى عنه ، فكشف عن وجه النبي - صلى الله عليه وسلم- فقبله، وقال: بأبي أنت وأمي !!! طبت حيا ، وطبت ميتا ؛ وخرج من عنده ، فبدر الصحابة --رضوان الله تعالى عنهم --بخطبته المشهورة بعد أن حمد الله، وأثنى عليه: "أيها الناس إن من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت، والله قد نعاه الله إلى نفسه في أيام حياته فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ { سورة الزمر: الآية ٣٠ . } ، ثم قال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ { سورة الأنبياء: الآية ٣٤ . } و ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ { سورة آل عمران:

الآية ١٨٥ . { ، ثم قال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ { سورة آل عمران: الآية ١٤٤ . { إلا أن محمداً قد مضى لسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فدبروا، وانظروا، وهاتوا آراءكم"، فبكى الناس، ونادوه من كل جانب، نصبح ، وننظر من ذلك إن شاء الله كما ورد في (- الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم ص ١٠٩، ١١٠).

## ٢ - خطبته في سقيفة بني ساعدة:

انتقل الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى..، وهنا تميد الأرض تحت أقدام القوم في المدينة المنورة من هول الصدمة.. ويقف المهاجرون ، والأنصار أمام امتحان الأخوة في مدرسة الأخلاق، ويلتف الأنصار حول سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه في السقيفة، فيتحدث سعد إليهم مبيناً سابقتهم في الدين، وتحليلهم بالفضيلة ، والكرامة ، والإعزاز للرسول -صلى الله عليه وسلم- ، والمنع لأصحابه، ثم لقد رضي عنهم الرسول الكريم

صلى الله عليه وسام ، ونصر الله بهم دينه، فليستبدوا إذن بهذا الأمر دون الناس؛ لأنه لهم كما ورد في ( تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٨). ، وقد أوصى الرسول المهاجرين بهم خيراً قبل وفاته كما ورد في ( سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٩٩) . ولكن أبا بكر يتدارك الأمر، فيقف خطيباً من القوم، يردهم إلى معنى الأخوة الذي ضربوه من قبل للناس مثلاً، ويؤكد لهم عزيز مكانتهم في الإسلام، ولكنه يذكرهم بمكانة المهاجرين، فهم أسبق إلى الإسلام منهم، يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه: " ... نحن المهاجرون، أول الناس إسلاماً، وأوسطهم داراً، وأكرم الناس أحساباً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمهم رحماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم- أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن الكريم عليكم، فأنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، أويتم ونصرتهم ، وآسيتم، فجزلكم الله خيراً . نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء . لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، وأنتم محقوقون ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم" كما ورد في ( البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٩٧، عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣-٢٣٤). ، فأبو بكر هنا يشير إلى هذه



المعاني التي تعددت في حياة القوم؛ لتبرز معنى الأخوة، فالمناصرة والإيواء والمواساة. كل ذلك يجزيهم الله عنه خيرا؛ لأن الله أمر به، وهم أطاعوا واستجابوا لأخلاق الدين ... ولكن الأخوة ينبغي أن تبقى وأن تستمر، بقاء الإيمان بالدين واستمراره، والتآلف بين القلوب نعمة من نعم الله ينبغي المحافظة عليها. والإخوان بعد هذا ينبغي أن يذكروا فضل المهاجرون وسبقهم في الدين، ومكانة قریش في العرب. وبذلك اتفقت الكلمة ونزلت الرحمة، وتمت له البيعة.

### ٣ - خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد بيعته بالخلافة :

( أما بعد : فإني وليت عليكم ، ولست بخيركم ، ولكن نزل القرآن ، وسنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمنا ، فعلمنا ؛ واعلموا أن أكيس الكيس التقى ، وأن أحمق الحمق الفجور ؛ وإن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له الحق ؛ وإن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق . أيها الناس! إنما أنا متبع ، ولست بمبتدع ، فإذا رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل ، فردوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته ، فلا طاعة لي عليكم أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ، ولكم )

المفردات اللغوية :الكيس : الفطنة -الحمق: ضعف التفكير وعدم التروي في الأمور

### - تحليل الخطبة :

هذه خطبة تولي الخلافة بين فيها خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم منهجه في الحكم

**أولاً:** الولاية لا تعني أفضلية الوالي على غيره من حيث الأصول الإنسانية ، فالناس سواسية أكرمهم عند الله أتقاهم

**ثانياً:** كمل دين الله ، وأصبحت أصوله واضحة ، وعلومه بينة ؛ فلتعلم الإسلام من كان حريصاً عليه ليلتزم به ، ويهتدي بهديه ؛ فلا عذر لمقصر ؛ والفظن الذكي هو الذي يسلك طريق الهدى والتقوى ، ويحصلها ليصوغ قلبه ، ونفسه وفق مقتضاها ؛ والأحمق الذي أعرض عن هدي الله وسلك طريق الفجور ، والضلال الذي يؤدي به إلى شقاء الدارين

**ثالثاً:** إن رائد الخليفة في حكمه هو الحق ، ونصرة المظلوم ، وإعادة حقه إليه ، والأخذ بيده إلى الحياة الكريمة ؛ فهو قوي بحقه ، والضرب على يد الظالم ، وأخذ الحق منه ، وردعه ؛

ويظلمه سيكون ضعيفاً ، لأن القوة ترتبط بالحق ، والضعف يرتبط بالباطل مهما طغى ، وبغى .

**رابعاً:** إعلان الالتزام بما جاء في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فالخليفة متبع ، لا يبتدع شيئاً من عند نفسه

**خامساً:** الرعية هي التي تقوّم سلوك ، وعمل الخليفة ؛ فإن سار في طاعة الله في حكمه ، فعلى الرعية أن تساعد على أداء مهمته ؛ وإن هو خالف أمر الله ، وظلم ، وانحرف ، فعلى الرعية أن ترده إلى جادة الصواب ؛ وبذلك يكون قد أعلن عن (حرية الرأي والمشاركة في العمل السياسي) .

**ب - خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

لقد كان عمر بن الخطاب نافذ البصيرة وصادق العزم وبلغ اللسان، كما كان صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أعز الله به الإسلام في مكة المكرمة حين أعلن ولاءه لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وما زال منقطعاً إليه ، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقره منه، ويتخذ موضع مشورته، حتى توفي ، وخلفه أبو بكر، فكان له نعم المعين، ولما أسندت إليه مقاليد الخلافة نهض بها في رجاحة عقل ، وقوة نفس، فقد كان الفاروق مهيب الجانب ، يرهبه المسلمون، ولم تكن رهبة العنف ، والظلم ، والقسوة، وإنما هي رهبة من الانحراف عن الصواب، فهي ليست رهبة مصحوبة بالرعب من الحاكم، وإنما هي الرهبة التي تخلق الأمن ، وتنتشر الطمأنينة. فما كان عمر -رضي الله عنه- ليرضى أن يخرج من الرعية عن الطريق القويم ، وهذا ما نلاحظه في خطبه.

### ١ - خطبة عمر بعد توليه الخلافة:

إن الله عز، وجل قد ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم، وإني أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده، كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم ، كالذي أمرني

به. وإني أمرؤ مسلم ، وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز ، وجل، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز ، وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق من نفسي، وأتقدم ، وأبين لكم أمري، فأیما رجل كانت له حاجة، أو ظلم مظلمة ، أو عتب علينا في خلق، فليؤذني، فإنما أنا رجل منكم، فعليكم بتقوى الله في سرکم وعلانيتكم ، وحرماتكم ، وأعراقكم، وأعطوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلي، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب إليّ صلاحكم، عزيز عليّ عننكم، وأنتم أناسٌ عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد ، لا زرع فيه ، ولا ضرع، إلا ما جاء الله به إليه، وإن الله -عز وجل- قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسؤول عن أمانتي ، وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرنى بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء؛ وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله. كما وردت الخطبة في تاريخ الطبري ج٤ ص ٢١٥). إذاً : كانت قوة عمر ممنوحة من الله، لذلك لم تكن لتغير القوة من خلقه شيئاً، فهو امرؤ مسلم ،

وعبد ضعيف، إن بدرت منه قوة ، فهي من تأييد الله، وأما العظمة ، رضي الله تعالى عنه ، فهي لله وحده، ثم إن الحق قد بين الله حدوده، وأما عمر رضي الله تعالى عنه ، فسيأخذ الناس بهذه الحدود، وما على الناس إلا أن يلتزموا بها، ومن هنا نرى حرص عمر على صلاح رعيته أشد الحرص، وتمسكه بالعدل أشد التمسك، ونراه صارماً ليس بينه ، وبين أحد هوادة، يعالج أمور رعاياه كلها بنفسه . لا يكل شيئاً منها إن بعد عنه إلا إلى من عرف فيه الأمانة ، والنصح، وتتضح هنا معاني الحق التي بلورتها سيرة عمر رضي الله تعالى عنه ، وأخلاقه على نحو فريد، فعمر رجل من الناس قريب منهم ، يستمع إلى حاجاتهم، ويعينهم على أمورهم، ليس بينهم ، وبينه حجاب، لم يغير الحكم من خلقه شيئاً، يعطي الحق من نفسه قبل أن يأمر الناس أن يعطوا الحق من أنفسهم.

## ٢ - خطبته في منهجه مع المسلمين:

( أيها الناس، لوددت أن أنجو كفاف ، لا لي ، ولا عليّ، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً ، أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين - وإن كان في بيته - إلا

أتاه حقه ، ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يوما، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، وتقليل في رفق خير من كثير في عنف ) ، كما ورد في ( الطبري جء ص ٢١٦ ). لم يعرف التاريخ عدل من عمر رضي الله تعالى عنه في إعطاء الحقوق ، وتصريف الأموال ، وتقسيم الأرزاق ؛ فالخروج عن ذلك معصية لله تعالى، ومعصية الله تسقط حقه في طاعة الناس له، فالحق عند الفاروق بين لا شبهة فيه، وهو يخشى الله في الناس ولا يخشى الناس في الله.

### ٣ - خطبته في الدعاء:

(يا أيها الناس، إني داعٍ فأمّنوا، اللهم إني غليظ فليّتي لأهل طاعتك، بموافقة الحق؛ ابتغاء وجهك ، والدار الآخرة، وارزقني الغلظة ، والشدة على أعدائك ، وأهل النفاق، من غير ظلم مني، ولا اعتداء عليهم. اللهم إني شحيح، فسخّني في نوائب المعروف، قصداً من غير سرف ، ولا تبذير ، ولا رياء ، ولا سمحة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك ، والدار الآخرة، اللهم ارزقني حفص الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة ، والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين، اللهم إني ضعيف

عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها، بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك ، وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين ، والبر ، والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفس، وإصلاح الساعات، والحذر من الشبهات اللهم ارزقني التفكير، والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك على كل شيء قدير ، كما ورد في ( العقد الفريد ج ٤ ص ٦٥ ) ؛ هذه الخطبة تبرز جانب الحق في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، وهي صورة صادقة تنطبق على أخلاقه ، وسلوكه في حكمه، ولعل أهم ما يلفت النظر في هذا الدعاء استهلاله بمعنى الحق ، وهو : البند الأول في دستور حكمه، ويرتبط بهذا معنى العدل ؛ إذ يدعو الخليفة الله أن يعينه على التزامه به حتى مع الأعداء ؛ وأهل النفاق، فإن هؤلاء يستحقون الشدة، ولكن هذه الشدة في غير ظلم ، أو تعسف. وهنا تظهر الإنسانية في صورتها المثلى التي تكمن في روح الإسلام ، وتنطلق بها أسنة أعلامه. وأما البند الثاني: الذي يقيد به الخليفة نفسه فهو روح العدل ولكن طبيعة العدل تقتضي أن يعاقب



المسيء على إساءاته ، ويجب ألا يسوى بينه ، وبين من أحسن عملا. ونحن نرى أن معنى الحق لم يحرص عليه على هذا النحو حاكم من حكام المسلمين ، كما حرص عليه عمر -رضي الله عنه- ، ولم ينطبق الفعل على القول، وينفذ العدل المطلق كما نفذ في خلافته.

٤ - خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه-باب العدل  
الاعتبار:

(إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول؛ ليحيي به القلوب؛ فإن القلوب ميتة في صورها حتى يحييها الله، من علم شيئا ، فلينتفع به، وإن للعدل أماراتٌ ؛ وتباشيرٌ، فأما الأمارات ، فالحياء ، والسخاء ، والهيئ ، واللين ، وأما التباشير ، فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابا، ويسر لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق. ولا تصانع في ذلك أحدا، واكتف بما يكفيك من الكفاف، فإن من يكفه الكفاف لم يغنه شيء، إني بينكم ، وبين الله، وليس بيني ، وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني

دفع الدعاء عنه، فأتوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع ، فإلى من يبلغناها آخذ له الحق غير متع" ) ، كما ورد في ( الطبري ج ٤ ص ٤٨٥ ) . ونلاحظ أن عمر -رضي الله عنه- يؤكد على معنى الحق، وينطبق فعله على قوله، ويتحدث عن عدله المطلق الذي أدى إلى عدم الشكوى؛ لأنه بين الله ، وبينهم، وأن الله قد ألزمه رفع الدعاء عنه

### ٥ - خطبة لعمر يبين فيها وجوب شكر الله:

("واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم، في مجالسكم منى ، وفرادى؛ فإن الله عز ، وجل قال لموسى:

﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾

{ إبراهيم : الآية ٥ } ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ {

الأنفال : الآية ٢٦ } . ، "فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين

محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ، ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت؛ لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة،

وأثبتهم بالله جهالة، فلو كان هذا الذي انتشلكم منه لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد ، والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىء أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فالله قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم. فأذركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ، ولانتقالها، ووجلا منها ، ومن تحويلها؛ فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمنٌ للغير، ونماء للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا لله علي من أمركم ونهيكم واجب". كما ورد في ( الطبرى ج ٤ ص ٢١٧-٢١٨ ). هذا ويبين عمر -رضي الله عنه- أن شكر الناس لله على نعمه التي لا تحصى لا يستطيع إلا بعون من الله ، ورحمته ، ولطفه، ويحث الناس على شكر الله على نعمه التي أعمها عليهم، كما بين لهم المعاني الخلقية التي يشتمل عليها مفهوم شكر الله تعالى ، ويذكرهم بما يضمن لهم السعادة في الدنيا ؛ والآخرة، فإن استمرار هذه السعادة موقوف على عرفان المعروف ، والشكر عليه، ثم لا شيء يسلب النعمة

سوى إغفال الشكر لله عليها. وهو يمزج بين الموعظة وما يكمن فيها من إيمان نقي ، وبين الحجج العقلية؛ ليصل إلى صلاح أمر الناس صلاحاً قائماً على إدراك فضل الله، والوعي الكامل بنعمه ، ثم الشكر ، ودوام الحمد؛ ليرتبط الإنسان بربه.

### ج - خطب عثمان رضي الله عنه:

كان بيان عثمان -رضي الله عنه- الخطابي أقل مما شهدناه عند أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ، ولم يؤثر عنه فكر يشرح نظام الحكم ، وآداب الرعية بالشكل الذي رأيناه عند أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما.

#### ١ - خطبته بعد بيعته:

(أما بعد، فإني قد حملت ، وقد قبلت، ألا وإني متبع ، ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عز، وجل ؛ وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم- ثلاثاً: اتّباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه ، وسنتهم، وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى

الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها؛ فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها كما ورد في ( تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٢٢ ). ورغم قصر خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، إلا أنها تشرح شيئا من نظام الحكم الذي سار عليه في خلافته، وهي تبين حق الرعية في صورة موعظة دينية، وتحذر من الاغترار بالدنيا، وعثمان -رضي الله عنه- متبع ، وليس بمبتدع، ولكن الاتباع هنا ليس معناه الجمود؛ لأن الدولة قد اتسعت رقعتها، والدين أعز الله كلمته، والناس دخلوا فيه أفواجا، وعلى الخليفة أن يجتهد ، وأن يبتكر، ولكن اجتهاده ، أو ابتكاره لا يخرج عن سنة أهل الخير، وهذا ما بينه عثمان رضي الله تعالى عنه -أيضا- في خطبته الموجزة التي تدل على المعنى خير ما تكون الدلالة.

**٢ - خطبة لعثمان بن عفان "رضي الله عنه" يحذر الناس من**

**خداع الدنيا:**

( إنكم في دار قعلة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبحتم ، أو أمسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله

الغرور. اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ، ولا تغفلوا؛ فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا ، وإخوانها الذي أثاروها ، وعمروها، ومتعوا بها طويلا، ألم تلفظهم! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلا، وللذي هو خير، فقال عز وجل: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ . { الكهف : الآية ٤٥ } . ( الطبري ج ٤ ص ٢٤٣ ) .

ويرى عثمان -رضي الله عنه- أن منطلق الآداب هو إدراك حقيقة الدنيا ، فلا يغتر بها الإنسان، ومن تغره الدنيا عليه أن يعتبر بمن سبقه ممن حرصوا على الدنيا فيما أصبحوا، فقد أصبحوا هشيمًا تذروه الرياح، وما دامت الباقيات الصالحات عند الله، فليقم الناس حياتهم على الصلاح والتقوى.

### تحليل الخطبة :

تتضمن هذه الخطبة مواظب قيمة منها:

**أولاً:** الدنيا دار زوال ، فهي ممر إلى الآخرة ، والعاقل من اغتم فرصتها قبل أن يجيء أجله ، وهي دار غرور طوت أصحابها، ورمتهم ، ولفظتهم بعد أن متعوا بها ما شاء الله ذلك

**ثانياً:** الاعتبار بمن مضى ، فالعاقل من اتعظ بغيره ، ومن غفل عن لقاء الله ، فما الله بغافل عنه .

### د - **خطب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه :**

كان بيان علي -رضي الله عنه- الخطابي يفوق ما شهدناه عند الخلفاء -رضي الله عنهم أجمعين- ، وما أثر عنه فكر ثاقب لنظام الحكم ، وآداب الرعية بالشكل الذي رأيناه عند أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما، وبلاغة علي من أعلى البلاغة مستوى لأنه تربي في كنف النبي سلى الله عليه وسلم.

١ - **خطبة لعلي رضي الله تعالى عنه في حق الرعية على الحاكم**

**وبالعكس:**

( أما بعد: فإن لي عليكم حقاً، وإن لكم علي حقاً، فأما حقكم علي ، فالنصيحة لكم ما صبحتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقي عليكم ، فالوفاء للبيعة، والنصح لي في الغيب ، والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيراً انتزهتم عما أكره، وترجعوا إلى ما أحب، تنالوا ما تطلبون، وتدركوا ما تأملون" ( الطبري ج ٥ ص ٩٠ - ٩١).

انصب كلام علي رضي الله تعالى عنه على آداب الرعية، فقد جعل علي -كرم الله وجهه- حق الرعية عليه النصيحة لهم ، وتأديبهم ، وتعليمهم، وهكذا انصهرت حقوق الرعية ، وواجباتها حتى كادت الحقوق ، والواجبات لا تشتمل إلا على الآداب ، والأخلاق التي ينبغي على الرعية أن تتحلى بها فيما بينها ، وبين أنفسها، وفي طاعتها ، واستجابتها لراعيها.

## ٢ - خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجهاد:

(أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ؛ فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشملة البلاء ،



وديث بالصغار ، والقماء ، وضرب على قلبه بالأسداد ، وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف . ألا ، وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ، ونهاراً ؛ وسراً ، وإعلاناً ؛ وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا نلوا ؛ فتواكلتم ، وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ، وملكت عليكم الأوطان . هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها ، وقلبها ، ورعاثها ما نال رجلاً منهم كلم ، ولا أريق لهم دم ؛ فلو أن مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ! ؛ بل كان به جديراً . فيا عجباً ! والله يميت القلب !!!، ويجلب الهمَّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقهم عن حقكم ؛ فقبحاً لكم ، وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى : يغار عليكم ، ولا تغيرون ، وتغزون ، ويعصى الله ، وترضون ؛ فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الصيف قلتُم : هذه حمارة القيظ ! أمهلنا ينسلخ عنا الحر ؛ وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتُم : هذه صبارة القرّ! أمهلنا ينسلخ عنا البرد . كل

هذا فراراً من الحر، والقر ؛ فأنتم -والله- من السيف أفرُّ. يا أشباه الرجال !!، ولا رجال !!! حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال. لوددت أني لم أركم ، ولم أعرفكم معرفة -والله- جرت ندماً ، وأعقتب سدماً . قاتلكم الله !! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعتموني نغب التهام أنفاساً ، وأفسدتم علي بالعصيان ، والخذلان حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب . لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ؟؟؟!!!! . لقد نهضت فيها ، وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

**شرح المفردات :** جنته : وقايته - بالصغار : ذل بالوضاعة - القماء: الذل -الأسداد: الحجب التي تحول دون بصيرته -سيم الخسف : كلف المشقة -النصف: العدل -وعقر الدار : وسطها- تواكلتم: ألقى كل منكم الأمر على صاحبه -شنت عليكم الغارات : أتتكم متفرقة من كل جانب -أخو غامد : سفيان بن عوف بعثه معاوية لشن الغارات على العراق -الأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات -المسالح: جمع مسلحة وهي الثغر ، أو المرقب

حيث يخشى مجيء الأعداء - الحجل : الخلخال - القلب : السوار -  
 الرعاث: جمع رعثة وهو القرط - الاسترجاع: ترديد الصوت  
 بالبكاء - وافرين: تامين - الكلم: الجرح - الترح: الهم ، أو الفقر -  
 حمارة القيظ: شدة الحر - صبارة القر: شدة البرد - الحجال: جمع  
 حجلة-، وهي قبة تضرب للعروس - وربات الحجال: النساء -  
 السدم: الهم مع أسف ، وغيظ- النغب جمع نغبة ، وهي الجرعة -  
 التهمام : الهم - أنفاساً : جرعة بعد جرعة - المراس: المزاولة  
 والمعاناة- ذرفت على الستين: زدت عليها .

### تحليل الخطبة:

هذه الخطبة من أشهر الخطب التي وصلتنا عن علي بن أبي  
 طالب رضي الله تعالى عنه ، ومن أصدقها في التعبير عن  
 نفسيته حال الخلافات التي جرت في خلافته ، وتتضمن باقة من  
 الأفكار الهامة:

**أولاً: أهمية الجهاد** ، فهو الباب العريض إلى الجنة عندما يستشهد  
 المجاهد ، والدرع الحصينة التي يتقي بها الأعداء ، ومن يتركه  
 يعيش ذليلاً

**ثانياً: تقريع القوم على تقاعسهم عن الجهاد** ، فتواكلوا ، وتخاذلوا حتى أتتهم الغارات من كل جانب ، وتقريعهم لعدم دفاعهم عن حقهم في حين اجتمع خصومهم على باطلهم ، وتقاعسوا عن الجهاد في الشتاء متعللين بالبرد ، وتقاعسوا عن الجهاد في الصيف متعللين بشدة الحر ؛ والحقيقة أنهم جناء يفرون من مقارعة السيوف ؛ ولا بد من توبيخهم بقسوة تتناسب مع جنابهم ، وخذلانهم ؛ فهم أشباه رجال، وليسوا رجالاً

**ثالثاً: اعتداده بشجاعته، وتمرسه بالحرب** رداً على من اتهمه بالجبن ، والخذلان ؛ وحمل قومه مسؤولية النكول عن الحرب.

**رابعاً: ولغيظه ، ونقمتهم عليهم** تمنى لو أنه لم يعرفهم إذ من العار أن يكون أمير قوم جناب .

# الباب السادس الخطابة في العصر الأموي في المشرق



# الباب السادس

## الفصل الأول

### رؤى وأبعاد في الخطابة في العصر الأموي

نهضت الخطابة في العصر الأموي لدواع اجتماعية وسياسية وعقلية ، وكانت الجماعات التي تناوئ الأمويين ترى أن بني أمية لا يصلحون للخلافة ولا لحكم المسلمين فنددوا بالحكام وظلمهم وتنكبهم عن الجادة والتقصير في تنفيذ أحكام الشريعة وهذه النزعة في الواقع متشحة برداء السياسة لأنها تدور وتهدف إلى تغيير الأوضاع وقلب نظام الحكم والخروج على الحكام والذي جعلنا نميز

هذا اللون عن قسيمه السياسي اصطبأها بالصيغة الدينية ولباسها ثوب الدين وتأثيرها في النفوس وامتلاكها الأفضة وصدورها من أناس لهم نزعات دينية قوية متمكنة من نفوسهم كما يشيع في هذه الخطب ذم الدنيا والتحذير من غرورها ومفاتها وتوجيه النفوس إلى الآخرة ونعيمها وغير ذلك من الأفكار الدينية التي تطمئن لها النفوس إلى الآخرة وتروق لها المشاعر وتخبث لها القلوب ، وكان خطباء هذا اللون يلتزمون الحمد في أول الخطبة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والاقتناس منه حتى إن بعضها كان كله قرآناً كخطبة مصعب بن الزبير، وهذا النوع أفاد الخطابة من ناحية التفكير العميق المنظم ومن ناحية التعبير الدقيق الواضح وخير ما يمثل هذا النوع خطب الخوارج ورجال آل البيت والزبيريين وعرف العصر الأموي أنواع الخطابة التي كانت شائعة في صدر الإسلام، إضافة إلى أنواع جديدة أوجدها تطور الحياة الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية وظهور الفرق الدينية والكلامية وللخطابة في هذا العصر أنواع ، وقد نهضت الخطابة في العصر الأموي لدواع اجتماعية وسياسية ، ولكون الإسلام قد أوجب خطبة الجمعة



وسنّ خطب الأعياد والخسوف والكسوف فقد تطور هذا الفن وتفشى فشوا عظيما وحفلت به النوادي وحفلت فيها المجالس والقصور وأماكن القضاء إذ كان الخلفاء والقادة يعتمدون عليها اعتمادا كبيرا في إيصال ما يريدون إيصاله ، وزاد من أهمية الخطابة انتشار الأحزاب السياسية والفرق والثورات التي تحاول إثبات أحقية الخلافة لفئة دون فئة ، وقد ازدهرت الخطابة في هذا العصر، وقد عملت في هذا الازدهار، وهيأت له أسباب مختلفة،

١- منها السياسي،

٢- ومنها الديني،

٣- ومنها العقلي،

١ - أما من حيث السياسة، فقد كثرت الأحزاب السياسية المعارضة لبني أمية، وكثر مشعلو الفتن والحروب الداخلية. ومعروف أن الدولة الأموية قامت على أنقاض فتنة عثمان، وما انتهت إليه من حروب صفيين بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ، وبمجرد أن قبل علي رضي الله تعالى عنه التحكيم خرج عليه فريق من جيشه سمي الخوارج، وشهروا سيوفهم في وجهه، وعبثا حاول العودة بهم إلى صفوفه، فحاربهم وتصدى له أحدهم

فقتله، وخلص الأمر لمعاوية وخلفائه من بني أمية، فظل هؤلاء الخوارج ينازلونهم، ويعدون دار المسلمين دار حرب، فيجب أن يجاهدوهم، إذ جعلوا الخلافة في قريش، وهي ليست حقا من حقوقها وإنما هي حق لله، وينبغي أن يليها من يستحقها بمشورة المسلمين، وأن يكون خيرهم تقوى وزهدا وورعا، ولو لم يكن قريشا، بل لو كان عبدا حبشيا. وقد تعددت فرقهم، وأهمها الأزارقة في فارس، والنجدات في اليمامة وحضرموت والبحرين، والصفرية في الموصل وشمالي العراق، والإباضية في اليمن وحضرموت. ولا نتقدم إلى عصر يزيد بن معاوية حتى يرسل شيعة علي رضي لبيه تعالى عنه إلى ابنه الحسين أن يفد عليهم في الكوفة لمبايعة، وإعلان الثورة على بني أمية وصاحبهم يزيد، وما يكاد يلم بالعراق حتى يقعدوا عن نصرته، فيسفك دمه، ويندمون على ما كان من تضييعه، ويتجهون إلى الدعوة السرية لأبناء علي رضي الله تعالى عنه، ومن حين إلى حين تنشب ثوراتهم، ولعل أهمها ثورة المختار الثقفي لعهد مصعب بن الزبير، ثم ثورة زيد بن علي بن الحسين لعهد هشام بن عبد الملك، وقضى الأمويون على الثورة الأخيرة بينما قضى مصعب على ثورة المختار، وكان هذا الحزب

الشيعة يؤمن بأن الخلافة من حق أبناء علي رضي الله تعالى عنه فهم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم لذلك ورثتها الشرعيون، وقد ذهبوا إلى أن إمامة علي رضي الله تعالى عنه نص عليها الرسول، ومن هنا تأتي عقيدة الوصية التي يدين بها الشيعة جميعا، كما يدينون بعقيدة المهدي، وهو الإمام المنتظر الذي يخلص العالم مما فيه من شرور، وأسباب مختلفة جعلت الفرس يدخلون في هذه العقيدة، إذ كانوا قبل الإسلام يؤمنون بتوارث الملك في أسرة بعينها، على هذا القياس يصبح أحق الأسر القرشية بالملك العربي بني هاشم، وأبناء علي رضي الله تعالى عنه خاصة، فهم أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضا فإن عليا كان يسوي بينهم، وبين العرب في الحقوق بينما كان يضطهدهم الأمويون وولاتهم، ولعل شيئا من تشيعهم يرجع إلى كرههم لمن غلبوهم على بلادهم، وكأنما رأوا فيه ضربا من المقاومة لهؤلاء الغالبين. وبجانب الحزبين السابقين، حزبي الشيعة والخوارج، توالى الثورات على بني أمية، فثار عبد الله بن الزبير في الحجاز أثناء خلافة يزيد، واستقل بها نحو عشر سنوات، وتبعته العراق ومصر، إلا أن عبد الملك بن مروان استطاع القضاء

عليه، وثار في العراق وإيران عبد الرحمن بن الأشعث، ودوخ الحجاج طويلاً قبل أن يقضي على ثورته. وفي أوائل القرن الثاني للهجرة ثار بالعراق أيضاً يزيد بن المهلب، وكان مصيره مصير ابن الأشعث، ولا نصل إلى أواخر هذا العصر حتى يجمع أمرهم في خراسان، ويؤلفوا جيشاً يقضون به على الدولة الأموية قضاءً مبرماً. وهذه الأحزاب والثورات لم تكن تستعين في انتفاضها على الأمويين بالسيوف فحسب، بل كانت تستعين بالخطب والخطباء يدعون لها، ويحمسون الناس على الانفضاض عن بني أمية، ومن المهم أن نعرف أن السياسة على السنة هؤلاء الخطباء كانت تقترن بالدين لسبب بسيط، وهو أن الخليفة عند المسلمين يعد إمامهم الذي تنتظم به مصالحهم، وقواعد ملتهم على مقتضى الشريعة الإسلامية.

٢ - ويجانب هذا السبب السياسي الذي دلح الخطابة، وسعر بها الفتن والثورات على الأمويين سبب ديني خالص، إذ أسست في كل بلد إسلامي مدرسة دينية تعلم الناس أصول دينهم وفروعه، وكان العلماء القائمون عليها كثيراً ما يختلفون، فيتحاورون في وجهات نظرهم . ولم تلبث أن انبثقت أبحاث كثيرة، ومناقشات طويلة في

القدر، وإرادة الإنسان ومدى حرите، وفي الإيمان وهل من الضروري له أن يرافقه العمل، وفي صفات الله وهل هي عين الذات الإلهية، وسرعان ما ظهرت فرق الجبرية والقدرية والمرجئة، فكان ذلك باعثاً على ظهور المناظرات، وهي فرع مهم من فروع الخطابة. وليس هذا فحسب ما أنتجه الدين في خطابة القوم، فبقى ركنان مهمان هما القصص والوعظ، إذ كانت هناك طائفة تعرف بالقصاص، تفسر القرآن الكريم، وتمزج تفسيرها بقصاص كثيرة تستمدّها من موروّثات أهل الكتب السماوية، وكانوا يستغلّونه ميل الناس إلى الأخبار العجيبة، فيتزيدون في قصصهم، وكانت الأحزاب السياسية تتخذ نفراً منهم وسيلة للدعوة لها، ولتحميم جنودها حين تثور بالدولة، وكان للأمويين في كل بلد قاص يقص على الناس في المسجد الجامع، ويدعو إلى طاعتهم. واتسعت بجانب ذلك موجة الزهد والعبادة والنسك، وتبعها ظهور وعاظ كثيرين، تموج كتب الأدب بمواعظهم، وما كانوا يدعون إليه من الزهد في حطام الدنيا، ومجاهدة النفس حتى ترفض عرض الحياة، ومتعها الزائلة، وتطلب ما عند الله من ثواب الآخرة.

٣ - ورافق هذا السبب الديني في ازدهار الخطابة سبب عقلي مرده إلى عناصر الثقافات الأجنبية التي أخذ يدعم بها العقل العربي منذ هذا العصر الأموي، مما فتق فيه قوة الجدل والحجاج. ومعروف أن الثقافة لهذا العصر لم يكن يضطلع بها العرب وحدهم، بل كان يشركهم فيها الموالي الذين اتخذوا العربية لسانهم، وقد أخذوا يزودونها بمعارفهم وثقافتهم القديمة، وقد تعود مؤرخو الأدب العربي أن يقفوا في هذا الجانب من التزاوج بين العرب، والموالي في الفكر والثقافة عند العصر العباسي، عصر الترجمة المنظمة لما كان عند اليونان والفرس والهند، وينبغي أن نلاحظ أن هذا العصر الذي نظمت فيه الترجمة سبقه عصر، هو العصر الأموي، لم تكن تعرب فيه الكتب إلا نادرا، كما هو معروف عن خالد بن يزيد بن معاوية، وطلبه لما عند الأجانب من معارف، ولكن كان يعرف فيه لسان حملة هذه الكتب، وكانوا سيولا من شعوب الشرق الأوسط وأمه، دخلوا في الإسلام، ودخلت معهم ثقافتهم، وقد ألقبوا على الدراسات الدينية، والعقلية يسهمون فيها بالخط الأوفر، فإذا قلنا: إنهم ارتقوا بالعقل العربي وكل ما أنتجه في ذلك العصر من خطابة، وغير خطابة لم نكن مبالغين، فقد

كثرت المعرفة، وتشعبت المعاني ودقت الفطن، ولم يعد لها حد تنتهي إليه، وانسابت تمن ذلك أسراب كثيرة في خطابتهم، فصاروا أقدر على البيان والتصرف في الألفاظ. ويخيل إلى من يقرأ في أخبار القوم أنهم أصبحوا جميعا خطباء، فهم يخطبون في نظرياتهم السياسية، وفي معتقداتهم الدينية، ويتناقشون فيها بكل مكان، في المسجد الجامع وفي الطرقات والأسواق، وفي السلم وحين يتحاربون، ومن ورائهم القصاص والوعاظ، وقد جعل ذلك الجاحظ ينهر إنهاراً شديداً، فيخص العرب بالخطابة، ويرفعهم درجات فوق الفرس واليونان، وقد يكون مصيباً فيما يختص بالفرس، أما اليونان فأكبر الظن أنه لم يقرأ شيئاً واضحاً عن خطابتهم، وإلا ما بالغ في رأيه وذهب هذا المذهب، فإن من المعروف أن الخطابة نهضت عند اليونان نهضة واسعة، إذ كانت لديهم مجالس شورية، وقضائية أعدت لازدهار الخطابة عندهم ازدهاراً أتاح لأرسططاليس أن يكتب فيها، وفي أنواعها وأغراضها وأساليبها كتاباً كبيراً، وأكبر الظن أن الجاحظ لم يعرف شيئاً من ذلك كله، وهو كذلك لم يعرف شيئاً عن خطباء اليونان المشهورين أمثال ديموستين وبركليس. ومهما يكن فقد ارتقت الخطابة رقىاً

بعيدا في العصر الأموي، ونشطت نشاطا لعل العرب لم يعرفوه في عصر من عصورهم الوسيطة، إذ اتخذوها أدواتهم للظفر في آرائهم السياسية، والانتصار في مجادلاتهم المذهبية، وعولوا عليها في قصصهم ومواعظهم، وفي وفادتهم على الخلفاء والولاة. ومن ثم أُنعت فيها فروع عدة، هي الخطابة السياسية، وخطابة المحافل والخطابة الدينية،

## الباب السادس

### الفصل الثاني



# أنواع الخطابة في العصر الأموي

## ١ - الخطابة السياسية في العصر الأموي:

كان كل حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومه، وبيان نظريته السياسية، واستمالة الناس إليها، وكذلك كال يصنع الثائرون على بني أمية من أمثال يزيد بن المهلب في تحريك الناس إلى الثورة عليهم، وكأنما قامت عندهم جميعا بما تقوم به الصحافة في عصرنا من الدعاية للآراء السياسية، فانبرى خطباء كل حزب يدعون إل نظرية حزبهم، وبيان أنهم على الحق وخصومهم على الباطل، فهم الجديرون بأن يعتنق الناس مبادئهم ويزودوا عنها نياذاً. وكان الخوارج يصفون بني أمية بجورهم في الأحكام وتعطيهم حدود الله، ويتناولونهم بالسنة حداد، وقد

يضيفون إلى ذلك مواعظ تصور عمق تدينهم، وتمسكهم بالعروة الوثقى، ومن أشهر خطبائهم قطري بن الفجاءة، وتحفظ كتب الأدب له بموعظة رائعة ، ومن خطبائهم أبو حمزة الخارجي، وقد روى الجاحظ خطبة طويلة ألقاها في أهل مكة ، وهو يفتتحها بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه، واقتداء أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما به، أما عثمان رضي الله تعالى عنه ، فعنده أنه أتى بما أحبب به الأوائل، وأما علي رضي الله تعالى عنه فلم يبلغ -في رأيه- من الحق قصداً، ثم اقتص خلفاء بني أمية خليفة خليفة يثلبه، إلا عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، فإنه أعرض منه، ونراه ينحى باللائمة على من يتشيعون لآل البيت، ثم يصف أصحابه، ونضالهم دون عقيدتهم وصفا رائعا، ومن خطباء الخوارج المشهورين زيد بن جندب خطيب الأزارقة وابن صديقه، وكان صفريا ناسكا، وشبيل بن عزره الضبعي، وعمران بن حطان، وحبيب بن حدره الهلالي، والمقطل وعبيدة بن هلال اليشكري، ومنهم الضحاك بن قيس ونصر بن ملحان ، وعبد الله بن يحيى طالب الحق والظرماع ، وغيرهم كثير. ولا يقل خطباء الشيعة كثرة عن خطباء الخوارج، ومن أشهرهم

الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين وزيد بن علي، والمختار الثقفي وسليمان بن سرد، وعبد الله بن مطيع وعبيد الله المري، ومنهم بنو صوحان: صعصعة وزيد وسيحان، وكانوا يكثر من القدح في بني أمية، وأنهم اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين ورثة النبوة، وحملة الرسالة القدسية الهادية المهديين، والأئمة المنتظرين. ولم تطل مدة عبد الله بن الزبير، ومع ذلك فقد ملأ دفاتر العلماء كلامًا، وكان أخوه مصعب، وإليه على العراق خطيبًا مفوها، وله خطبة جعلها كلها آيات قرآنية، وكان حول ابن الأشعث كثير من الخطباء، وكان يزيد بن المهلب خطيبًا مفوهاً، وقد روى الجاحظ بعض خطبه. وكان يقف في الصف المقابل من خطباء الأحزاب، والثورات خطباء بني أمية يدعون الناس إلى التمسك بحبل الجماعة، وتأييد الأمويين في حقوقهم التي اكتسبوها عن آبائهم، وتقديمهم لهم فروض الطاعة والولاء، وكثيرًا ما يخلطون ذلك بالترهيب والترغيب، وقد يشيرون إلى مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه، وأن الأمويين أولياء دمه وورثة خلافته، ولهم مواعظ لا نشك في أنهم قالوها في صلاة الجمعة، والعديد ككثير مما روي عن زياد والحجاج، وعن بعض

خلفائهم وخاصة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد المشهور، وأكثر خلفائهم كان خطيبًا، ولهم خطب تدور في كتب الأدب والتاريخ، ومن خطبائهم بجانب من قدمنا عتبة بن أبي سفيان، والي معاوية على مصر وعبيد الله بن زياد، وخالد بن عبد الله القسري، ويوسف بن عمر الثقفي، وسعيد بن العاص وابنه عمرو الأشدق، ومن قوادهم الخطباء موسى بن نصير، وطارق بن زياد اللذان فتحا الأندلس، وقتيبة بن مسلم ونصر بن سيار، فاتح التركستان. وعلى هذا النحو كان لكل حزب خطباؤه الذين يذودون عنه، وينافحون عن مبادئه، ولم يكن هناك داع لفكرة، أو لنضال في حرب لا يقف في الناس خطيبًا، وقد بعث ذلك على نهضة الخطابة السياسية في هذا العصر نهضة واسعة، ولعل هذه النهضة هي التي جعلت المؤرخين حين يعرضون علينا الآراء السياسية، أو المذهبية لزعماء هذا العصر يعرضونها علينا في شكل خطب، على نحو ما نجد في الطبري وابن الأثير، فهم إذا أرادوا أن يعرضوا علينا رأيا للحسين بن علي، أو لحفيده زيد أو لأي داع شيعي أو خارجي، أو أي ثائر زبيرى وغير زبيرى، أو لأي وال أموي أو قائد يقود الجيوش عرضوه في صورة خطبة، فهم لا

يقولون: إن فلانا كان يرى كذا أو كذا، وإنما يقولون خطب فلان فقال كذا وكذا، فهم لا يتصورون صاحب نحلة سياسية يعرض رأيه في شكل حديث، بل لا بد أن يعرضه في شكل خطبة يقرع بها الأسماع، ويجذب القلوب. وتعد الخطابة السياسية: في مقدمة الأنواع الخطابية التي ازدهرت عصرئذ الخطابة السياسية، وقد توافرت جملة من العوامل لازدهارها من ذلك الصراع على الحكم، فإن استتثار بني أمية بالحكم وجعله وراثياً بعد أن كان شورياً أثاراً معارضة عنيفة من قبل فئات سياسية مناوئة للحكم الأموي وأبرزها: الحزب الخارجي، الحزب الشيعي، والحزب الزبيرى، فضلاً عن نشوب ثورات تتوخى القضاء على الحكم الأموي كثورة ابن الأشعث وثورة ابن المهلب . أدت وفرة الأحداث والصراع بين الأحزاب السياسية إلى ازدهار الخطابة السياسية ازدهاراً لم تشهد نظيره في أي من العصور، إذ كان لها الشأن الأول في استمالة الأنصار ومقارعة الخصوم وإرهاب الثائرين وتشجيع المناضلين وعرض حجج كل من الأحزاب المصطرعة ومناظرة أعدائهم ، وظهر من خطباء الخوارج : قطري بن الفجاءة ، أبو حمزة الخارجي وزيد بن جندب الأزرقى ، عمران بن حطان

وظهر من خطباء الشيعة : الحسين بن أبي طالب ، زيد بن علي ،  
المختار الثقفي وظهر من الخطباء الأمويين : خالد القصري ،  
يوسف بن عمر سعيد بن العاص. وظهر من الخطباء الزبيريين :  
عبد الله بن الزبير

## ٢ - خطابة المحافل في العصر الأموي:

نمت الخطابة الحفلية في هذا العصر بحكم نمو السلطان العربي، فكانت الرجال والوفود تقدم على الخلفاء والولاة لأغراض مختلفة: للشكوى أو للاستمناح، أو للتهنئة أو للتعزية أو للموعظة، أو لغير ذلك من الأغراض، وقد روي في كتب الأدب كثير من أخباره هذه الوفادات، وممن قد على معاوية النخار بن أوس العذري، وعمرو بن سعيد الأشدق ، وزرعة بن ضمرة، وهو الذي كان يقال فيه: "لولا غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب"، وكان ابنه النعمان من أخطب الناس، وقد وقع في يد الحجاج بعد قضائه على ثورة ابن الأشعث ، فتخلص منه بكلام لطيف. وممن وفد على معاوية روح بن زنباع، وصحار العبدي، ويروى أن معاوية قال له: ما هذا الكلام الذي يظهر منك؟ قال: شيء تجيش به صدورنا، فتقذفه

على ألسنتنا ، ومن الوافدين عليه سبحانه وائل، وقد اشتهرت له  
 خطبة خطب بها بين يديه، وكانت العرب تسميها الشوهاء من  
 حسنها، ومنهم الأحنف بن قيس سيد تميم، ومما نطق به في  
 حضرته، معبراً عن شكاة لقومه : "إن دافة دفت ، ونازلة نزلت،  
 ونائبة نابت، ونابطة نبتت ، كلهم به حاجة إلى معروف أمير  
 المؤمنين وبره، فقال معاوية: حسبك يا أبا بحر، قد كفيت الشاهد  
 والغائب". ولما فكر معاوية في جعل ابنه زيد وليا لعهد استقدم  
 وفود العرب من الأمصار والبادية، فكانوا يخطبون بين يديه  
 منوهين بيزيد، ومبايعين له، سياسة حكيمة منه، حتى يبرم الأمر  
 من بعده لابنه ، ولما توفي وجلس ابنه يزيد مكانه دخل عليه  
 عطاء بن أبي صيفي الثقفي، فخطب بين يديه بقوله : "يا أمير  
 المؤمنين أصبحت قد رزئت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، وقد  
 قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه، وقد أعطيت بعده الرياسة،  
 ووليت السياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، واشكره على  
 أفضل العطية". وكان عبد الملك يجلس للوفود وخطبائها، وممن  
 وفد عليه سعيد بن عمرو بن سعيد ، والهيثم بن الأسود بن  
 العريان، وقد سأله عبد الملك كيف تجدك؟ قال: "أجدني قد ابيض

مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد"، ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس، وهم لا يدرون أيهنونه أم يعزونه، فأقبل غيلان بن سلمة الثقفي فسلم عليه، ثم قال: "يا أمير المؤمنين! أصبحت قد رزئت خير الآباء، وسميت خير الأسماء، وأعطيت أفضل الأشياء، فعظم الله لك على الرزية الصبر، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر، وأعطانك على حسن الولاية والشكر، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية، وأنزله بأفضل المنازل المرضية، وأعانك من بعده على الرعية". ولم يكن يتولى الخلافة أموي إلا وتقدم الوفود عليه من الأمصار، ويقوم خطباؤها بين يديه مهنيين مبايعين ذاهبين في خطبهم كل مذهب، ومن حين إلى حين كانت تقدم هذه الوفود على الخليفة لترفع مظلمة لها، أو لتنال بعض الرغد والعطاء، ونجد الوعاظ كثيراً ما يلمون بمجالس الخلفاء ويعظونهم، على نحو ما كان يعظ أبو حازم الأعرج سليمان بن عبد الملك، ولما تولى عمر بن عبد العزيز كان يقدم عليه النساك، والزهاد لوعظه، لما اشتهر عنه من نسكه وعبادته، من مثل زياد بن أبي زياد، وكان يلزمه محمد بن



كعب القرظي، وله أخبار معه ومواعظه، وكان خالد بن صفوان يلزم هشام بن عبد الملك ويعظه. وعلى نحو ما كانت تفد الوفود والوعاظ على الخلفاء كانت تفد على الولاة، وممن وفد على زياد وخطب بين يده في وفد من قومه عمران بن حطان، وكان الأحنف يفد على ابن الزبير كما كان يفد على معاوية، ويفد معه خطباء ومن قومه، وكم من خطيب تخلص من عقاب الحجاج بحسن منطقه، ولما دخل أيوب بن القرية عليه قال له: "ما أعددت لهذا الموقف؟ قال: ثلاثة حروف، كأنهن ركب وقوف: دنيا وآخرة ومعروف"، وقال له في بعض القول: "أقلني عثرتي وأسغني ريقي، فإنه لا بد للجواد من كبوة، ولل سيف من نبوة، وللحليم من هفوة". وكان كثيراً ما يستنطق الوافدين عليه. ولما ولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العراق، كان يحضر مجلسه الوعاظ، ويعظونه كما كانوا يعظون أباه. ومما يدخل في هذا الضرب من خطابة المحافل خطابة الإملاك والتزويج وخطابة الصلح بين العشائر، وما كان من منازعات، ومفاخرات في مجالس الخلفاء، ويسوق الجاحظ في بيانه أخباراً كثيرة عن هذه الصور من الخطابة وما كان يفترق به بعضها عن بعض. والخطابة الحفلية كانت

تلقى في المحافل والمجالس والأسواق لغرض من الأغراض المتصلة بالحياة الاجتماعية كالمفاخرة والتهنئة والتعزية والتكريم والشكوى وعقد النكاح وإصلاح ذات البين ونحو ذلك . وقد حظيت هذه الخطب بقسط وفر من النماء والارتقاء في العصر الأموي لتوافر دواعيها، فكانت الوفود تقدم على الولاة والخلفاء ويقوم خطباؤها فيلقون الخطب بين يدي الوالي والخليفة في الغرض الذي قدموا من أجله وقد ترعرعت هذه الخطبة بسبب انتشار الوفود التي تأتي إلى الخلفاء أو الأمراء مهنتاً أو معزية أو لحاجة من الحاجات ، و كان معاوية وعبد الملك يستقبلان الوفود فقد قدم على معاوية النجاد وعمرو بن سعيد الأشدق وممن وفدوا على عبد الملك سعيد بن عمرو والهيثم بن الأسود بن العريان ولم يكن خليفة من الخلفاء يتولى الخلافة إلا قدمت عليه الوفود

### ٣ - الخطابة الدينية والوعظ والمناظرات:

تمت هذه الخطابة في عصر بني أمية نموا واسعا، فقد كانت فريضة مكتوبة على المسلمين في صلاة الجماعة والعيدين، وكان الخلفاء والولاة يؤمون الناس في تلك الصلاة، ولذلك نقرأ لكثير منهم خطابات زاهدة، يحضون الناس فيها على الانصراف عن

الدنيا، والتعلق بالآخرة، ويحثونهم على الخير والفضيلة ، والأعمال الصالحة، وأخطب الخلفاء في هذا الباب عمر بن عبد العزيز، وله خطب كثيرة، يدعو فيها الناس إلى طاعة الله والنفور من معصيته، وأن يفكروا في الموت وما بعده من البعث والحساب والجنة والنار، ولعل واليا لم يؤثر عنه من الخطب الدينية ما أثر عن الحجاج، وكان دائما يقول: "أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله"، وللولاة من قبله وبعده مواظ ترؤيها كتب الأدب والتاريخ . وإذا كان هذا اللون من الخطابة قد شاع على السنة الخلفاء الأمويين، وولاتهم فإن خصومهم من الخوارج والشيعة كانوا لا يقلون عنهم دعوة إلى التقوى والورع، بل لعلهم كانوا يتقدمونهم، إذ لم يكن بأيديهم شيء من الدنيا، وكانوا يمزجون خطابتهم السياسية بالدين، وقد يجعلونها دينية خالصة، على نحو ما صنع قطري بن الفجاءة في موعظته المشهورة، وشداد بن أوس أحد شيعة علي في موعظته بين يدي معاوية، وقد طلب إليه أن يتنقص عليا، وتدور في كتب الأدب كلمات كثيرة لزيد بن علي بن الحسين، هي من بقايا خطبه ، وكان ينازعه جعفر بن حسن بن الحسن بن علي في الإمامة، فكان الناس يجتمعون

ليسمعوا مجاوباتهما، ومجادلاتهما في أيهما الأحق بها . غير أن هؤلاء جميعا لم يتخصصوا بالخطابة الدينية، ولم يعيشوا لها، وإنما الذي عاش لها هم القصاص والوعاظ، وقد نشأ القصاص منذ عصر عمر بن الخطاب، فكان هناك قصاص يقصون في المساجد ، وآخرون يقصون في مقدمة الجيوش الفاتحة . واتسعت هذه الموجة اتساعا شديدا في عصر بني أمية، إذ استخدمها الدولة كما استخدمها خصومها في الدعوة السياسية، وقد أمر معاوية أن يكون ذلك مرتين في اليوم، مرة بعد صلاة الصبح، ومرة بعد صلاة المغرب ، وعين للقصاص مرتبات خاصة. وكان للخوارج قصاص كثيرين، أشهرهم صالح بن مسرح، وإن يخلط مواعظه وقصصه بالدعوة إلى الجهاد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يزال يذم الدنيا والتعلق بها. وهؤلاء القصاص الرسميون كان يقابلهم قصاص من الناسكين العابدين من مثل الأسود بن سريع، وهو أول من قص بالبصرة، ومثل زيد بن صوحان في الكوفة ، وعبيد بن عمير في المدينة ، وكان عبد الله بن عمر يحضر قصصه ووعظه، ومنهم إبراهيم التيمي وكان الناس ينتفضون أمامه انتفاض الطير، وسعيد بن جبير، وكان يقص كل يوم مرتين بعد

الفجر، وبعد العصر، وذر بن عبد الله وكان من أبلغ الناس في القصص، ومسلم بن جندب قاص مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومطرف بن عبد الله الشخير، ويزيد بن أبان الرقاشي، وكان قاصا مجيدا، ومن قوله: "ليتنا لم نخلق، وليتنا إذ خلقنا لم نعص، وليتنا إذ عصينا لم نمت، وليتنا إذ متنا لم نبعث، وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب، وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب، وليتنا إذ عذبنا لم نخلد". وهو عم الفضل بن عيسى القصاص المشهور، ومن كبار القصاص مالك بن دينار، وكان يقول في قصصه: "ما أشهد فطام الكبير". ومن القصاص أيضا وهب بن منبه. وكن هؤلاء القصاص يمزجون قصصهم بالحديث عن الرسل والأنبياء والأمم الدائرة، كما كانوا يمزجونه بآي الذكر الحكيم، وأحاديث الرسول عليه السلام، وكان يجانبهم كثير من الزهاد الوعاظ مثل رجاء بن حيوة والأوزاعي في الشام، وسعيد بن المسيب وأبي حازم الأعرج سلمة بن دينار في المدينة، وعبد الله بن عمرو بن العاص في مصر، وكان العراق يكتظ بهم، ومنهم ابن شيرمة وأيوب السختياني ومؤرق العجلي، وكان يقول: "ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه". ومنهم بكر بن عبد الله المزني القائل: "أطفئوا نار

الغضب بذكر جنهم" ، والشعبي ومحمد بن واسع الأزدي، وكان يقول: "يعجبني أن يصبح الرجل، وليس له غداء، ويمسي وليس له عشاء، وهو مع ذلك راض عن الله" ، ومن الوعاظ المشهورين محمد بن كعب القرظي واعظ عمر بن عبد العزيز ، ومالك بن دينار ، والحسن البصري هو أكبر وعاظ العصر وقصاصيه، وكان الوعظ عليه أغلب، وله مواعظ كثيرة تدور في البيان والتبيين وعيون الأخبار، والعقد الفريد، وقد أفرد له ابن الجوزي كتابا ساق فيه وعظا كثيرا، وهو لا يبلغ من الثقة به مبلغ المصادر السابقة. ونراه في وعظه دائم التذكير بالبعث، ويوم الحساب مكثرا من الحض على التقوى والعمل الصالح الذي يبقى. وهو يعرض ذلك في صورة من الخوف الشديد، والخوف من الجحيم، حتى وكأنه يراها بين عينيه، وكأن الناس واقفون على شفيرها، وهو يدعوهم أن يبتعدوا عنها مخالفة أن يهواوا فيها وهم لا يشعرون، وفي أثناء ذلك يحثهم على التحلي بالفضائل فاتحًا عليهم من جهة أبواب النار، ومن جهة ثانية أبواب الرجاء، بل أبواب المحبة الإلهية. ونراه يغترف في مواعظه اعترافا من القرآن الكريم وآية، فهو المنبع الذي يستمد منه وعظه وخوفه ورجاءه، وحزنه العميق،

ولعله من أجل ذلك كان يقول: "والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدُن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك". وعلى هذا النهج نفسه نقرأ مواعظ الوعاظ من حوله التي تتناثر في الكتب الأدبية الآتفة الذكر، وكانوا كثيرا ما يلمون بمجالس الخفاء والولاء، فيعظونهم ويبكونهم، ويحدثنا الرواة أن خالد بن صفوان، وشبيب بن شيبية والفضل بن عيسى الرقاشي، وواصل بن عطاء تباروا في الوعظ بمجلس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حين ولي العراق، وكان ذلك في سنة ١٢٨ للهجرة، فبزمهم واصل لطول خطبته؛ ولأنه جانب فيها الكلمات ذات الرءاء، للثغة كانت له فيها، فكان يتحاشاها في منطقه . وخالد بن صفوان وشبيب بن شيبية هما اللذان يقول فيهما الجاحظ: "ما علمت أنه كان في الخطباء أحد كان أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبية، للذي يحفظه الناس، ويدور على ألسنتهم من كلامهم" ، ويقول في خالد: "ومن الخطباء المشهورين في العوام، والمقدمين في الخواص خالد بن صفوان.. ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوراقين"، وكان الفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس وكان متكلمًا، وكان قاصا مجيدا، وكان

يجلس إليه عمرو بن عبيد وكثير من الفقهاء، ولم يكن عمرو بن عبيد يقل عنه بلاغة وبيانا، أما واصل فلم يكن أبين ولا أجود لسانا منه، وكان يلثغ في الرءاء، فرام إسقاطها من كلامه، فلم يزل يكابد ذلك يناضله ويساجله، حتى تخلص من تلك الهجنة، وانتظم له ما حاول، حتى في محاجة الخصوم، وفي الكلام البديه المرتجل، ويعلل الجاحظ لذلك بأنه "كان داعية مقالة ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال، وأن البيان يحتاج إلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة، والفخامة وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني"، فما زال يمرن نفسه على نفاذي الكلمات ذات الرءاء، حتى تأتي له ذلك، واتسق له ما أراد. ويقول الجاحظ: إن واصل كان داعية مقالة ورئيس نحلة، والمقالة التي يريدتها هي مقالة الاعتزال، وهي نفسها النحلة، ويحدثنا صفوان الأنصاري في قصيدة مدحه بها، وأنشدها الجاحظ ٣ أنه كان له دعاة خطباء يطوفون بأركان الأرض حتى يبلغوا الصين شرقا وبلاد



البربر غربا، ويشيد ببيانهم، وفصاحتهم وما أوتوا من اللسان وبراعة القول وقوة الحجة. ويلفتنا الجاحظ إلى ما كان ينهض به واصل من الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، فقد كان يناظر أصحاب الديانات، وكان يناظر أصحاب النحل من جماعة المسلمين، ومن يقرأ في أخبار هذا العصر يعرف أن المناظرات كانت مشتتة بين الفرق، اشتعلت أولاً بين الفرق السياسية، بين فرق الخوارج نفسها، ثم بينهم وبين الشيعة ومن يميلون إلى طاعة أولي الأمر من الأمويين، ثم اشتعلت بين أرباب الفرق الدينية التي كانت تبحث في العقيدة والإيمان وصفات الله. فكان هناك القدرية الذين قالوا بحرية الإرادة وعلى رأسهم الحسن البصري، وكان هناك الجبرية الذين يقولون بتعطيل إرادة الإنسان، وأنه مجبر لا حول له على ما يأتي من الأمر ولا قوة، وكان هناك المرجئة الذين يفصلون بين الإيمان والعمل، ولا يحكمون على مسلم في أعماله، بل يفوضون الحكم إلى ربهم، واحتدم الجدل بين هذه الفرق، كما احتدم بين الفقهاء في اجتهادهم، ومدى أخذهم بالقياس، فكان الفقهاء يتناقشون، وكان المتكلمون من أصحاب الفرق الدينية يتجادلون كما كان الخوارج، والشيعة

والأمويون يتحاورون، كل يدافع عن رأيه، ويحاول أن يقنع به خصمه أو خصومه، وقد وصلتنا أخبار كثيرة عن تلك المحاورات، والمجادلات والمناقشات، فهم يروون أن الفقهاء كانوا يتناقشون في مجلس الشعبي، وأن سليمان بن عبد الملك عقد مناظرة بين قتادة والزهري، فغلب الأول كما غلب إياس بن معاوية عبد الله بن شبرمة في مناظرة طويلة، تناولت اثنين وسبعين سؤالاً . وكثيرا ما كان الخوارج يتناظرون مع خصومهم في نظريتهم السياسية وأمور الدين ، وكذلك كان يصنع صنيعهم الشيعة، وخاصة مع المرجئة ه، وكانت المناظرات بين المرجئة والجبرية والقدرية مشتتة في مجالس الوعاظ، بل لقد وصل شررها إلى مجالس الخلفاء، إذ يروى أن عون بن عبد الله، وموسى بن كثير وعمر بن حمزة، وفدوا على عمر بن عبد العزيز وناظروه في الإرجاء ، كما يروى أنه ناظر غيلان، وصالح بن سويد في القدر، وكذلك يروى أن الأوزاعي، وغيلان تناقشا فيه أيضا أمام هشام بن عبد الملك ، وقد احتفظ المرتضى في أماليه بمناظرة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد في مرتكب الكبيرة أمام الحسن البصري ، وكان الخوارج يكفرونه، بينما كان الحسن يدعو مؤمنا فاسقا، وكان واصل يرى

أنه في منزلة بين المنزلتين، وتناظر هو وعمرو بن عبيد في تلك المشكلة، واستطاع أن يقنعه بوجهة نظره. ومن يرجع إلى تلك المناظرة يلاحظ أنها تبدو في أولها تطبيقاً لأشكال القياس المنطقي، وهي كذلك في أثنائها وفي خاتمتها تستعين بالمنطق، ومما لا ريب فيه أن نفس الفكرة التي انتهى إليها واصل، وهي أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتي المؤمن، والكافر فكرة دقيقة، لا يصل إليها إلا عقل دعم بالثقافة، وتعود النظر العميق، والنفوذ إلى دقائق الأفكار والمعاني. وطبيعي أن نجد الجاحظ مفتوناً أمام قدرة هؤلاء الخطباء الدينيين، فقد أشاد بهم في كل موضع من كتابه البيان والتبيين، وتحدث عن تصرفهم في الألفاظ، والأساليب وكيف صفوها، وروقوها ونخلوها نخلاً، حتى لا ينطقوا إلا بلب اللب، وإلا بما عليه حلاوة ورشاقة، وسهولة وعدوبه؛ والخطابة الدينية: هي التي كانت تلقى في المساجد أيام الجمع وفي الأعياد، وكان الوعظ غالباً على هذه الخطب إلا أنها لم تكن تخلو أحياناً من التعرض للجوانب السياسية. وثمة خطب كان يلقيها الزهاد بين أيدي الخلفاء والولاة لتزهيدهم في الدنيا وقد أطلق عليها لفظ المقامات، ومن ألوان الخطابة الدينية الخطب المتصلة بعقائد المتكلمين. وقد

شهد العصر الأموي ظهور أوائل الفرق الكلامية المرجئة والقدرية والمعتزلة والجبرية، وكان لكل من هذه الفرق من يروجون لعقائدها ويجادلون خصومها، وكثيراً ما كانت المناظرات تقوم بين هؤلاء، كل يدلي بحجته وأدلتها، فارتقى بذلك فن المناظرة، وهو فن لم يعرفه العرب قبل، وفي حين كانت ضروب الخطابة الأخرى قوامها العناصر العاطفية كان قوام المناظرات العناصر العقلية المنطقية، وقد بلغ هذا الفن غايته في العصر العباسي . وقد نالت هذه الخطابة حظاً وافراً من الازدهار والنماء في عصر بني أمية وإن لم تضارع الخطابة السياسية. ومرد ازدهارها إلى دواع شتى منها ظهور الفرق الدينية، وقد اكتسى حزبا الخوارج والشيعية مع الزمن ثوباً دينياً بعد أن كانا حزبين سياسيين. وهذه الفرق كانت تستعين بخطبائها في الدعوة إلى مبادئها والرد على خصومها، وكثيراً ما كانت المناظرات تقوم بين الفريقين المتنازعين . ومما ساعد على نمو الخطابة الدينية كذلك حركة الزهد التي شهدتها العصر الأموي، فقد ظهر في ذلك العصر جماعة من الزهاد وجهوا همهم إلى وعظ الناس وصددهم عن التهالك على ملاذ الدنيا، وكان ظهور حركة الزهد رداً على انغماس عامة الناس في الشهوات، ولاسيما أولئك

الذين أفاءت عليهم الفتوح أو التجارة المال الكثير. وكان في مقدمة الوعاظ الحسن البصري الذي نذر نفسه لهداية القوم وتزهيدهم في الدنيا الفانية بمواعظ بلغت الغاية في بلاغتها وقوة أثرها . وإلى جانب القصاص الذين كانوا يرافقون الحملات الغازية لحث الجند على الاستبسال في القتال وجدت جماعة أخرى من القصاص تلازم المساجد وتقوم بسرد القصص الديني وتفسير القرآن الكريم تفسيراً ممزوجاً بقصص الأنبياء وأخبار الأمم القديمة، وكان بعضهم يجنح إلى المبالغة والتزديد كي يستميلوا الناس إلى قصصهم .

ويضاف إلى هذه الأنواع من الخطابة الدينية تلك الخطب التي كانت تلقى في المساجد أيام الجمع وفي الأعياد، وكان الوعظ غالباً على هذه الخطب إلا أنها لم تكن تخلو أحياناً من التعرض للجوانب السياسية.

### خصائص الخطابة الدينية في العصر الأموي

ومن خصائص الخطابة الدينية في هذا العصر:

١- ترك الحواشي من الكلام

٢- الجزالة في الألفاظ

٣- الاقتباس من القرآن والحديث

٤- الأسلوب القرآني في القصص والجدل والتمثيل

#### ٤ - الخطب الحربية:

ويتصل بالخطابة السياسية الخطب الحربية، فقد استدعت حركة الفتح الإسلامي التي بلغت مداها الأقصى في عصر بني أمية وجود خطباء يذكون وقد الحماسة في نفوس المقاتلة ويحضونهم على مجاهدة أعدائهم. وكان قادة الجيوش في الغالب ممن يجيدون الخطابة، ومن هذا القبيل وخطب ولاية خراسان في تحريضهم الجند على القتال إبان الفتوح فيما وراء النهر كخطب قتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب وأسد بن عبد الله القسري وغيرهم .....

#### ٥ - خطب القصص :

وثمة ضرب من هذه الخطب تختلط فيه المعاني السياسية بالمعاني الدينية هو القصص. فكان القصاص يرافقون الجيوش الغازية ويشيرون الحمية في النفوس عن طريق التمثل بالآيات القرآنية التي تحث على الجهاد وتذكير المجاهدين بما ينتظرهم عند

الله من الثواب العظيم وربما استعانوا بأخبار فرسان العرب القدامى لتحقيق هذه الغاية .

### ٦ - خطب التفاخر :

وربما اجتمع في مجلس واحد خطباء من قبائل شتى فيجري بينهم التفاخر بقبائلهم والإشادة بمآثرها. وقد شهد العصر الأموي استعارة نار العصبية القبلية على نحو لم تعرفه العصور السابقة وأدى استعارها إلى نمو الشعر القبلي واتساع نطاقه من جانب وإلى كثرة المفاخرات القبلية من جانب آخر، ولاسيما بين خطباء العدنانية والقحطانية. ومما يلفت النظر في ذلك انتقال مراكز النشاط الأدبي من البوادي إلى الحواضر والأمصار المحدثثة التي ازدحمت بأفواج المهاجرين إليها من شتى قبائل العرب، فأدى ذلك إلى وقوع المفاخرات بين خطباء تلك القبائل في تلك الحواضر فضلاً عما قام بين شعرائها من مناقضات . وقد ظلت الخطابة الحفلية التي كانت معروفة من قبل قائمة في العصر الأموي كخطب الإملاك وخطب إصلاح ذات البين وخطب التعزية وغيرها.

## الباب السادس

### الفصل الثالث

### الصنعة الفنية

## للخطابة في العصر الأموي

### أ - تجويد الخطباء الأمويين لخطبهم :

نمت الخطابة في العصر الأموي في المشرق، ورأينا كيف أنها تزدهر ازدهارا رائعا، وقد صاحب هذا الازدهار عناية واسعة من الخطباء على اختلاف أغراضهم بإحكام خطابتهم عن طريق البيان التام، والحجة البالغة والألفاظ المونقة، ولا غرابة في ذلك، فإنهم إنما كانوا يريدون بخطبهم في أكثر أحوالها إقناع الناس، وإسكات الخصوم واستمالة القلوب، حتى يصنع فيها صنيع الغيث في التربة الكريمة. وإذا رجعنا نتصفح آثار الخطباء السياسيين، وجدنا



خطباء كل حزب يحاولون أن يحققوا لخطبهم كل ما يمكن من آلات البيان والبلاغة، كل بحسب طاقته ومواهبه، ونعرض في إجمال لطائفة من هؤلاء الخطباء، هم زياد والحجاج من خطباء الحزب الأموي، وقطري بن الفجاءة من حزب الخوارج، والمختار الثقفي من حزب الشيعة، أما زياد فكان حسن الألفاظ جيد المعاني، كأنما أوتي فصل الخطاب، وفيه يقول الشعبي: "ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم، فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً أن يسيء إلا زيادا، فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً"، ولعل أشهر خطبة أثرت عنه هي خطبته الملقبة بالبراء، وإنما سميت بذلك؛ "لأن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد، ويستفتح كلامه بالتمجيد: البراء، ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: الشوهاء". ومن يرجع إلى هذه الخطبة يلاحظ أن زيادا عني بتأليفها عناية شديدة، فهي مقسمة إلى فقر، إذ يستهلها ببيان ما انغمس فيه أهل البصرة من الغي، والضلال والفسق والفساد متحرفين عن هدي الإسلام، والقرآن الكريم، ثم يبين لهم سياسته التي سيأخذهم بها، وأنها لين في

غير ضعف، وشدة في غير عنف، ثم يأخذ في إنذارهم، وبيان العقوبات التي سينزلها على الجانبين منهم، ومن يعيثون فسادًا في الأرض، ويخرج من ذلك إلى بيان حق أئمتهم عليهم من الطاعة، ولزوم الجماعة، ويقول: إنهم يسوسونهم بسطان يستمدونه من الله، فهم ساستهم المؤدبون، وكهفهم الذي إليه يأوون، ويختمها بالوعيد الشديد يشوبه بالترغيب. وبون بعيد بين هذه الخطبة وخطب الجاهليين، فقد كانت الأخيرة أمثالًا وحكما، ولما جاء الإسلام أصبح للخطابة موضوع ديني واضح، ثم أخذت تتسع منذ الرسول عليه السلام للأحداث، ولكنها لم تصبح خطابة زمنية على هذا النحو الذي نجده في "البتراء"، والذي أصبحت فيه الخطبة تعرض لسياسة الحكم وتدعو لبني أمية، وتؤكد حقهم في الخلافة بمثل قوله: "أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة، نسوسكم بسطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا"، وكأنه يقرر هنا نظرية التفويض الإلهي التي عرفها الفرس قبل الإسلام، فبنو أمية وولاتهم مثل زياد يسوسون الناس بتفويض من الله، وليس لهم أن يعارضوا، وأن

ينقضوا هذا التفويض، أو تلك السياسة. والخطبة دون شك صحيحة النسبة إلى زياد، فهي تصور سياسته التي تحدثنا عنها كتب التاريخ، والتي أجملها في قوله: "لين في غير ضعف وشدة في غير عنف"، ثم هي تصور شدته على الجانين والبغاة، ومن كانت تحدثهم نفوسهم بالخروج على بني أمية، وقد بناها جميعا من ألفاظ جزلة مختارة، ليس فيها غريب مستكره ولا ساقط رديء، وإنما فيها القوة والمتانة، وفيها ضروب من الصور البيانية، وبعبارة أخرى من التشبيهات والاستعارات، غير أنه لا يعتمد فيها إلى السجع، آخذا بسنة الخلفاء الراشدين في خطابتهم، وهي محكمة التنسيق كل فقرة تسلم إلى أختها، والأفكار تتسلسل في نظام، مما يدل على أنه لم يكن ذا عقل فطري بسيط، فعقله مدعم بالفكر الجديد، وهو الفكر الذي أخذ يستسيغ ما لدى الأجانب من نظرية التفويض الإلهي وغيرها، ولكن دون أن يذوب فيهم، ودون أن ينسى شخصيته العربية، وأسلوب قومه المحكم القائم على استخدام اللفظ المصقول الرصين، الذي يروعنا برونقه، وسلاسة نظمه ووضوح دلالاته. ولم يكن الحجاج يقل عن زياد بيانا، وإعرابا عما يختلج في صدره، ولعل أشهر خطبه تلك التي خطبها في

الكوفة حين قدم على العراق واليا من قبل عبد الملك ١، حدث معاصروه أنه دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار، وتدعو لبني أمية، وتؤكد حقهم في الخلافة بمثل قوله: "أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا"، وكأنه يقرر هنا نظرية التفويض الإلهي التي عرفها الفرس قبل الإسلام، فبنو أمية وولاتهم مثل زياد يسوسون الناس بتفويض من الله، وليس لهم أن يعارضوا، وأن ينقضوا هذا التفويض، أو تلك السياسة. والخطبة دون شك صحيحة النسبة إلى زياد، فهي تصور سياسته التي تحدثنا عنها كتب التاريخ، والتي أجملها في قوله: "لين في غير ضعف وشدة في غير عنف"، ثم هي تصور شدته على الجانين والبلغاة، ومن كانت تحدثهم نفوسهم بالخروج على بني أمية، وقد بناها جميعا من ألفاظ جزلة مختارة، ليس فيها غريب مستكره ولا ساقط رديء، وإنما فيها القوة والمتانة، وفيها ضروب من الصور البيانية، وبعبارة أخرى من التشبيهات والاستعارات، غير أنه لا يعمد فيها إلى السجع، آخذا بسنة الخلفاء الراشدين في خطابتهم،

وهي محكمة التنسيق كل فقرة تسلم إلى أختها، والأفكار تتسلسل في نظام، مما يدل على أنه لم يكن ذا عقل فطري بسيط، فعقله مدعم بالفكر الجديد، وهو الفكر الذي أخذ يستسيغ ما لدى الأجانب من نظرية التفويض الإلهي وغيرها، ولكن دون أن يذوب فيهم، ودون أن ينسى شخصيته العربية، وأسلوب قومه المحكم القائم على استخدام اللفظ المصقول الرصين، الذي يروعنا برونقه، وسلاسة نظمه ووضوح دلالاته. ولم يكن الحجاج يقل عن زياد بيانا، وإعرابا عما يختلج في صدره، ولعل أشهر خطبه تلك التي خطبها في الكوفة حين قدم على العراق واليا من قبل عبد الملك ١، حدث معاصروه أنه دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار، فبدأ بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز حمراء، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني  
أما والله إنني لأحتمل الشر بحمله.. وإنني لأرى رؤوسا قد أينعت،  
وحان قطافها وإنني لصاحبها، وإنني لأنظر إلى الدماء بين العمام  
واللحي، ثم أخذ ينشد أبياتا تنذر بما سيأخذهم به من عنف، فهم  
كما يقول أهل الشقاق والنفاق ومساوي الأخلاق، وقد نثر عبد

الملك جعبة سهامه فوجده أمرها عودا، فرماهم به، ويردد وعيده لهم وتهديده من مثل قوله: "أما والله لألحونكم لحو العصا ، ولأعصبنكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل" ، وقوله: "أما لتستقيمن على طريق الحق أولاد عن لكل رجل منكم شغلا في جسده". والخطبة سياسة خالصة، فهي ذات موضوع زمني واضح، وهي تصور سياسة الحجاج التي اشتهر بها في كتب التاريخ، والتي كانت تقوم على العنف الشديد في غير لين، ولعل ذلك ما أراده الحسن البصري حين قال فيه، وفي زياد: "تشبه زياد بعمر بن الخطاب فأفرط، وتشبه الحجاج بزياد، فأهلك الناس" . وعلى نحو ما تصور الخطبة سياسة الحجاج تصور فصاحته، وبلاغته وحفظه للشعر الغريب، إذ اتخذته مقدمة لكلامه، وكأنما يجعله فاتحة، موسيقية له، وهي فاتحة يتبدى فيها، ويطلب التشبه بالبدو لا في لفته فحسب، بل أيضا ثيابه وملبسه ، حتى يغرب على السامعين ويروعهم، ولم يكتف بهذا الضرب من الإغراب، فقد عمد إلى طائفة من الصور الغريبة، وهي تتراكم في الخطبة تراكما شديدا، كما تتراكم في خطبه الأخرى . ولعل مما يتصل بميله إلى الإغراب، والتهويل في منطقة ما رواه المبرد من أنه "كان إذا صعد

المنبر تكلم رويداً، فلا يكاد يسمع، ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج يده من مطرفه، ويزجر الزجرة، فيفزع بها أقصى من في المسجد"، ومعنى ذلك أنه كان في مظهره أثناء خطابته، وفي صوته وفي لفظه، وما يحوي من شعر وصور نادرة يريد التهويل على السامعين، ويحاول أن يحكم صنعته في الخطابة من جميع أطرافها، حتى في إشارة اليد، وفي الهمس بصوته، والجهر به حتى يخلب القلوب، على أننا نلاحظ أنه كان يتحامى السجع مثله مثل زياد، لكنه بعد ذلك كان يعني باختيار ألفاظه، ملتصقا منها ما ليس متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا، وهو حقا يعد في الذروة من البلاغة لعصره، حتى ليقول عنه مالك بن دينار: "ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه، وأنه صادق، لبيانه وحسن تخلصه بالحجاج". ومما لا شك فيه أنه يتفوق على زياد في ابتكار الصور والتشبيهات والاستعارات، ولكن زيادا يتفوق عليه في بناء خطبه وإحكام تأليفها، بحيث تتتابع في فقر وأجزاء متسلسلة، وليس معنى ذلك أن الحجاج لم يكن يطيل خطبه، فقد كان كثيرا ما يظن في خطابته، ويسهب إسهابا شديدا، وخاصة في مواظة

الدينية ، وقد بقي له منها قطع تدور في كتب الأدب من مثل: "اللهم أرني الهدى هدى فأتبعه، وأرني الغي غيا فأجتنبه، ولا تكني إلى نفسي فأضل ضلالا بعيدا" ، ومثل: "إنا والله ما خلقنا للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، وإنما نقل من دار إلى دار" ، وكان الحسن البصري يقول فيه "يعظ عظة الأزارقة، ويبطش بطش الجبارين" ، ويروى أنه قال: "لقد وقذنتي كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول على هذه الأعواد: إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لخلق أن تطول عليها حسرته" . ومر بنا أنه كان للخوارج خطباء كثيرون مفوهون، وكانوا يعنون عناية شديدة بإعداد كلامهم، حتى يجذبوا القلوب إليهم، ولعل ذلك ما جعل عبيد الله بن زياد يقول فيهم: "إن كلامهم أسرع إلى القلوب من النار إلى الهشيم"، وروى المبرد أن عبد الملك بن مروان أتى رجل منهم، فجعل يبسط له من قولهم، ويزين له من من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ مبينة ومعان واضحة، فقال عبد الملك: "لقد كاد يدفع في خاطري أن الجنة خلقت لهم، وأني أولى بالجهاد منهم، ثم رجعت إلى ما ثبت الله علي من الحجة وقرر في قلبي من الحق" ، وفي إحسانهم لخطابتهم يقول عبيدة بن هلال ٥:



أدباء إما جئتهم خطباء ... ضمنا كل كتيبة جرار  
وكانوا يمزجون خطابهم السياسية بالدعوة إلى الزهد في الدنيا،  
والرغبة في الآخرة، وما عند الله من الثواب، وقد يثنون على أبي  
بكر وعمر، ثم يقدحون في عثمان ومن جاءوا بعده، ويحثون على  
الجهاد، معلنين أنهم على الحق، أما جماعة المسلمين فاتبعت  
أهواءها وجارت عن الطريق القاصد. ومن خير ما يصور ذلك  
خطبة أبي حمزة الخارجي في مكة ، وفيها يصف شباب الخوارج  
هذا الوصف الرائع: "شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة  
عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح  
سهر ، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء  
القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، وإذا  
مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه،  
موصول كلالهم بكلالهم: كلال الليل بكلال النهار.. حتى إذ رأوا  
السهام قد فوقت ، والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت،  
ووعدت الكتيبة بصواعق الموت، وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة  
لوعدهم الله، ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق  
فرسه، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه، فأسرعت إليه سباع

الأرض، وانحطت عليه طير السماء، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله". وواضح أن هذا الوصف يعتمد في جماله على صدق العاطفة وحرارتها، وقوة العقيدة وامتانتها، إذ يمثل صاحبه مدى إيمان الخوارج بمذهبهم، وكيف باعوا الحياة الدنيا بالآخرة، حتى أصبح الاستشهاد أمنيتهم والتهافت على نيران الموت طلبتهم، وهم لذلك يثورون ثورة جامحة، يقدسون فيها عقيدتهم، ويتفانون في سبيلها صادقين في ذلك عن روح تقوى مفرطة. ولعل ذلك ما جعلهم يكثر من المواعظ الخالصة، وخير من يمثلهم في ذلك قطري بن الفجاءة، وله موعظة طويلة مشهورة، وكلام كثير محفوظ، ونسوق قطعة من موعظته ندل بها على مبلغ تجويده وتحبيره، يقول : "أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور.. مع أن امرأ لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بظنا إلا منحتته من ضرائها ظهرا، ولم تطله غيثة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء، وحرى إذا أصبحت

له منتصرة، أن تسمي له خاذلة متكرة، وإن جانب منها اعذوب واحلولى، أمر عليه منها جانب وأوبى، وإن آتت امرأ من غضارتها، ورفاهيتها نعماً، أرهفته من نوائبها نقماً، ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف.. لا خير في شيء من زادها إلا التقوى".

والقطعة -مثلها مثل الموعظة جميعها- تمتاز بأنها تتصل بنفس صاحبها، وكأنه سكب فيها روحه، فهو يعبر عن تقوى صادقة تسيل من قبله ونفسه، وهو بعد ذلك دقيق في اختيار لفظه، يعنى برصفه عناية أوسع من عناية أبي حمزة الشاري، إذ تنقلب عنايته في أكثر الموعظة إلى ضرب من السجع الرشيق، وهذه العناية بالسجع إلى حد بعيد تضافرت معها عناية بالطباق والمقابلة، وعناية أخرى بالصور والرسوم المتحركة، وهو يشبه الحجاج في الجانب الأخير، غير أنه لا يكتفي به، بل يضيف إليه فنونا من المقابلات وضروبا من الإيقاعات الصوتية، حتى يبلغ ما يريد من التأثير في نفوس سامعيه . ولم يكن الشيعة أقل من الخوارج، وولاة بني أمية احتفالاً بخطاباتهم، ويؤثر عن علي بن الحسين أنه قال: "لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة،

وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تخرج في صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم، ولكنهم من بين مغمور بالجهل، ومفتون بالعجب، ومعدول بالهوى عن باب التثبت، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم"٤، وكان زيد ابنه جدلاً لسنا يجتذب الناس بحلاوة لسانه، وسهولة منطقة وعذوبته٥، مع قوة الحجج وكثرتها، ومع الجزالة والفخامة١، ومن خطباء الشيعة، وكبار دعائهم في هذا العصر المختار الثقفي، وكان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً٢، وقد ثار في العراق ثورة عنيفة، غير أن مصعب بن الزبير قضى عليه في سنة ٦٧ للهجرة، وكان يذهب في سيرته وخطابته مذهباً قريباً من مذهب الكهنة في الجاهلية، فكان يزعم لأصحابه أنه يوحى إليه، وكان يتخذ السجع دلالة على هذا الوحي، وفي ذلك يقول ابن قيس الرقيات:

والذي نغص ابن دومة ما تو... حي الشياطين والسيوف ظماء  
 وكان يتخذ لأنصاره كرسيًا قديم العهد غطاه بالديباج، وكان يقول لهم: "إن محله محل السكينة في بني إسرائيل"، وروى المبرد كثيراً من شعودته، وكيف كان يدعي أنه يلهم ضرباً من السجع لأمر

تكون ثم يحتال فيوقعها، فيقول للناس: هذا من عند الله عز وجل، ومن يرجع إلى سجعه يجده يعتمد فيه على الأقسام والإبهام، والإغراب على نحو ما كان يعتمد على ذلك الكهنة قديما من مثل قوله: "أما ورب البحار، والنخيل والأشجار، والمهامة، والفقار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، أو مهند بتار، في جموع من الأنصار، ليسوا بميل أعمار، ولا بعزل أشرار. حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأيت شعب صدع المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت بثأر النبيين، لم يكبر علي زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى". وكان المختار يكثر من هذه الأسجاع، ويتشبه فيها بصنيع الكهان، وهذا هو لحنه الذي كان يردده في خطبه التي رواها له المؤرخون، وكان يوفر من غير شك في أثناء ذلك لكلامه ضروبا مختلفة من التكلف، حتى يحقق ما يريد من الإيهام البعيد. وإذا تركنا خطباء الأحزاب السياسية إلى خطباء المحافل، وجدناهم يحاولون جاهدين التأنق في خطاباتهم، وهذا طبيعي؛ لأن خطاباتهم محدودة، إذ لا تتجاوز في كثير منها كلمات معدودة، وكانوا يلقونها بين أيدي الخلفاء والولاة، فكانوا يطلبون فيها أن تروعهم، وتستميل إليهم

قلوبهم، ولعلمهم من أجل ذلك كانوا يلتزمون فيها السجع، حتى يستموا لها كل حلية صوتية ممكنة، وأشهر خطباء المحافل في هذا العصر، كما أسلفنا، الأحنف بن قيس زعيم تميم البصرة، فقد كان يفد لقومه على معاوية، فيلقي إليه بحاجتهم في عبارات مسجعة منمقة على شاكلة قوله : "يا أمير المؤمنين! أهل البصرة عدد يسير، وعظم كسير، مع تتابع من المحول، واتصال من الذحول ، فالمكثر فيها قد أطرق ، والمقل قد أملق ، وبلغ منه المخنق، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير، ويجبر الكسير، ويسهل العسير، ويأمر بالعطاء، ليكشف البلاء، ويزيل الأواء ، وإن السيد من يعم ولا يخص ويدعو الجفلى ، ولا يدعو النقرى ، وإن أحسن إليه شكر، وإن أسىء إليه غفر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عمادا يدفع عنهم الملمات، ويكشف عنه المعضلات".

وليس الأحنف وحده الذي كان يسجع بين خطباء المحافل، فقد كانت عامتهم تذهب هذا المذهب من التعبير وتنميق الكلام، واستمر ذلك سمتهم طوال عصر بني أمية كما كان سمة أعراف البادية غالبا حين ينزحون من باديتهم إلى المدن، فيتحدثون بين أيدي الخلفاء والولاة، وقد فتح الجاحظ لهم فصلا في بيانه

استعرض فيه طائفة من أقوالهم<sup>١</sup>، وهي جماعة تدخل في هذا الأسلوب المسجع، وما يطوي فيه من جمال الصياغة، ويعبر الجاحظ عن انبهاره إزاء ما يروي من كلام هؤلاء الأعراب، فيقول: "ليس في الأرض كلام هو أمتع، ولا أنق ولا أذ في الأسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويما للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء"، ويقال: إن خالد بن صفوان تكلم في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله، فإذا أعرابي في بت، ما في رجليه حذاء، فأجابه بكلام أروع من كلامه وأعجب". وقد خطا خطباء القصص، والمواعظ بخطاباتهم خطوات واسعة نحو الصقل والتجويد لأساليبهم، وتلويح معانيهم وتنويعها وتفريغها فروعا كثيرة، ولم يكن الوعاظ يخطبون ووقفا إلا في صلاة الجماعة والعيدين، أما بعد ذلك فكان مثلهم مثل القصاص يخطبون غالبا، وهم جالسون وحولهم الناس يتحلقون، وهم يسوقون إليهم مواعظهم، فخطاباتهم كخطابة القصاص كانت في الأغلب خطابة جالسة، أو قل: كانت أشبه بالمحاضرات والإملاءات، وليس هذا هو كل ما يفرق بين خطاباتهم والخطابة السياسية، فهناك فرق آخر مهم يتصل بجمهور

المستمعين إلى الطرفين، إذ كان خطباء السياسة يتجهون بخطاباتهم إلى العرب وجيوشهم المقاتلة، أما خطباء الوعظ والقصص، فكانوا يخاطبون الهيئة الاجتماعية كلها على اختلاف طبقاتها من خاصة وعامة، ومن عرب وموال، ولذلك هبطوا بأساليبهم قليلا عن مستوى أساليب الخطابة السياسية، حتى تفهمهم جميع الطبقات، وحتى لا يرتفعوا بكلامهم عن فئات العامة، ومع هذا الهبوط لم يخرجوا إلى كلام السوق، بل وازنوا موازنة دقيقة بين كلامهم، ومستوى الفصاحة، فأخلوه من الألفاظ الغريبة، وفي الوقت نفسه لم يسقطوا به إلى ألفاظ مبتذلة، وأجأهم ضيق معانيهم إلى التنوع فيها والتفريغ والتوليد، كما أجأهم إلى ضروب من الترداد والتكرار والترادف، لم يلبثوا أن تحولوا بها إلى صورة من الأسلوب المزدوج، الذي يقف في منزلة وسطى بين أسلوب السجع، والأسلوب المرسل، ولا نغلو إذا قلنا: إنهم هم الذين هينوا لبروز هذا الأسلوب الذي شاع فيما بعد بين الكتاب مثل عبد الحميد الكاتب، والجاحظ ومن جرى مجراهما، ونراهم يستخدمون ضروباً من التصوير، أو من التشبيهات والاستعارات، وهم يستلهمون في كثير من جوانبها آي الذكر الحكيم، كما يستلهمونها



في أكثر معانيهم، وقد جعلهم حديثهم عن الثواب والعقاب والجنة، والنار والطاعة والعصيان والحياة والموت والإيمان، والكفر أن يقيموا كلامهم على الطباق والمقابلة، مثل قول الحسن البصري: "بع دنياك بآخرتك تريحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، وإذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به، الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك طويل، فخذوا صفاء الدنيا وذرروا كدرها" ، وقوله: "إن خوفك حتى تلقى الأمن خير من أمنك حتى تلقى الخوف" . والحسن البصري خير من يصور أسلوب الوعاظ المبني على الازدواج، واستخدام بعض الصور، وتلوين الكلام بألوان الطباق والمقابلة، مما يمثل تلك الصناعة المحكمة، ويغلب الحزن على مواعظه كما يغلب ترداد معنى الخوف والرجاء، ووصفه بعض معاصريه، فقال: "كان إذا أقبل، فكأنما أقبل من دفن حميمه، وكأن إذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه، وكان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له" . ويموج كتاب البيان والتبيين وكتاب عيون الأخبار، والعقد الفريد بمواعظه، ومواعظ معاصريه. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن هؤلاء الوعاظ هم الذين ألانوا أساليب اللغة العربية، وحملوها من

الطاقات ما تستطيع به التعبير عن المعاني الدقيقة، وكانت كثرتهم من الأجانب، وكانوا مثقفين ثقافة واسعة، وكانوا أصحاب فطن بارعة، ففتحوا أبوابا لا حصر لها من الجدل في مسائل الدين والعقيدة، وتحولوا بمعانيهم يفرعون فيها ويولدون، ويأتون بكل جديد مستطرف، ويديع مستحسن. وكان بين هؤلاء الوعاظ من بلغ من الحذق أن جعل مواعظه كلها سجعا خالصا كأسرة الرقاشيين، وهي أسرة فارسية كانت تحترف القصص في هذا العصر كما كانت تحترف السجع، ويقال: أنها كانت معروفة في أمتها بالخطابة، فلما دخلت في الإسلام قامت في لغتنا مقامها في لغتها الأصلية، وكأنما نزع أفرادها ذلك العرق القديم، ومنها يزيد بن أبان الرقاشي، وكان قاصا مجيدا، وكان يتكلم في مجلس الحسن البصري، وكان عابدا زاهدا، وهو عم الفضل بن عيسى الرقاشي، وفيه يقول الجاحظ: "كان الفضل سجعا في قصصه.. وهو الذي يقول: سل الأرض فقل.. من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا"، وكان خالد بن صفوان التميمي يسجع كثيرا كما كان يسجع غيره من العرب، ومعنى ذلك أن الرقاشيين لم يستحدثوا السجع في وعظهم، وإنما نسجوا فيه على منوال

بطائفة من فصحاء العرب، وبلغائهم. ومهما يكن فإن الخطباء الوعاظ، والقصاص نمو التحبير البياني، وكثيرا ما يقف الجاحظ في بيانه متعجبا من قدرتهم البلاغية، وقد تعجب طويلا من بلاغة واصل بن عطاء، وكيف استطاع أن ينزع الرأء من خطبه للثغته فيها على نحو ما مر بنا غير هذا الموضوع . ولم يكن واصل وحده هو الذي أحرز هذا المقدار من البلاغة والبيان، بل لقد أحرزه عامة القصاص والوعاظ، وقد تحولوا يعلمون شباب البصرة، والكوفة كيف يتفرون في الخطابة، وكانوا يسألونهم أسئلة كثيرة عن أساليبها، وألفاظها وكيف ينبغ الخطيب، وما ينبغي أن يراعيه في هيئته وإشاراته ومنطقه، وكيف يقنع خصومه في الجدل ويسكتهم؟ ومتى يستحب الإيجاز في الخطبة؟ ومتى يستحب الإطناب؟ وكيف يلائم الخطيب بين ألفاظه ومعانيه؟ وكيف يوازن بين كلامه، وبين طبقات السامعين؟ وكيف يجعل لكل طبقة كلاما، ولكل حالة مقاما؟ وكيف يقنع خصومه في المناظرة ويلزمهم الحجة؟ وهياً ذلك كله لاستنباط طائفة من الوصايا البلاغية نجدها منشورة في كتاب البيان والتبيين تجري على أسنة هؤلاء الوعاظ، وخاصة من كانوا يقارعون الخصوم ويجادلونهم، ونقصد المتكلمين

الذين تناقشوا في القدر والعقيدة طويلاً، والذين نصبوا أنفسهم للرد على خصوم الإسلام. ولعل مما يدل على صحة ما نزعم من ذلك أن أقدم النصوص التي تتصل بماهية البلاغة تضاف إلى واعظ من هؤلاء الوعاظ المتكلمين، وهو عمرو بن عبيد، فقد روى الجاحظ أنه قيل له: ما البلاغة؟ فقال لسائله: "ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار، وما بصرك مواقع رشك وعواقب غيك، قال السائل: ليس هذا أريد.. قال عمرو: فكأنك إنما تريد تخير اللفظ في حسن إفهام؟ قال: نعم، قال: إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المنوية على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ الحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستحققت على الله جزيل الثواب". وعلى هذا النحو كان الشباب يتعلمون على هؤلاء الوعاظ، كيف يبلغون ما يريدون من حسن الإفهام ومن البيان والطلاقة، وكيف يحصلون ذلك ويميزونه مع جمال المخارج والسلامة من التكلف، وكان الوعاظ من جانبهم لا يزالون يقدمون لهم النصح والإرشاد، وقد يدعونهم إلى المناظرة

بين أيديهم طلبا لترويضهم وتمرينهم، على نحو ما صنع الحسن البصري بواصل، وعمرو بن عبيد إذ دعاهما في مجلسه للمناظرة في مرتكب الكبيرة والوصف الذي يستحقه، حتى يحدقوا الجدل، ومناقشة الخصوم والاحتجاج عليهم، وإذا لم يدعوهم إلى الكلام بين أيديهم نثروا عليهم وصاياهم على نحو ما نجد في وصية شبيب بن شيبه، التي يذكر فيها أن الناس يعجبون بجودة الابتداء، أما هو فيعجب بجودة الخاتمة، ويقول: إذا ابتلي الخطيب بمقام لا بد له فيه من الإطالة، فأياه والإسهاب إلى درجة الخطل، ويقول خالد بن صفوان: "اعلم -رحمك الله- أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة". ولعل في كل ما قدمنا ما يصور كيف ارتقت الخطاية في بيئات الوعاظ والقصاص، فقد أخذوا يتدارسونها ويبحثون في أدواتها ووسائلها، وانبعثوا يخطبون في كل مناسبة ومقام، موازين بين معانيهم وألفاظهم، وبين كلامهم ومن يخاطبونهم به من العامة والخاصة، وكان خطباء السياسة من حولهم لا يزالون يجودون في خطابتهم، وكذلك كان شأن خطباء المحافل، حتى ليقولون إن شباب الكتاب في دواوين الخلفاء كانوا يحضرون -إذا قدمت

الوفود- لاستماع بلاغة خطبائهم . والحق أن هذه البيئات جميعا أتاحت للخطابة في هذا العصر ازدهارا عظيما، لعلها لم تعرفه في أي عصر من العصور الإسلامية الوسيطة، فقد تعانت جهود خطباء السياسة والمحافل، وتعاون معهم الوعاظ والمتكلمون على النهوض بها، بل لقد نفذ الأخيرون إليوضع قواعد، وتعاليم فيها كانت مقدمة للأبحاث البلاغية التي عرفت في العصر العباسي.

## الباب السادس

### الفصل الرابع

# خصائص الخطابة في العصر الأموي

كان الخطباء الأمويون يعنون بتجويد خطبهم وتحبيرها وتنميقها حتى تأتي في الصورة التي يرتضونها ولم يكونوا يرسلون الكلام عفواً على البديهة - صنيع الجاهليين - وقد أثر عن البعيث

الخطيب الشاعر قوله: «إني والله ما أرسل الكلام قضيياً خشبياً وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك ، وكان من ثمرة هذا التنقيح أن جاءت خطب العصر الأموي منسقة الأفكار، مرتبة الأقسام، محكمة التسلسل. وتظهر هذه السمات على نحو جلي في خطبة زياد التي قالها يوم قدم البصرة . وكان من خطباء العصر الأموي من تعمد محاكاة أهل البادية في جزالة أسلوبهم وبداعة ألفاظهم. ويظهر الطابع البدوي في خطب الحجاج خاصة. على أن أسلوب الخطابة الأموية كان يتفاوت بتفاوت أغراضها وموضوعاتها . وقد ظلت خصائص الخطابة التي وجدت في خطب صدر الإسلام قائمة في الخطب الأموية، ومن ذلك استهلال الخطبة بذكر اسم الله وحمده وإلا كانت بتراء وتوشيحها بآي من القرآن الكريم وإلا كانت شوهاء، وقد يتمثل الخطيب بشيء من الشعر أو الرجز . وربما وقع السجع في طائفة من الخطب الأموية ولكن الخطباء ما كانوا يسرفون في الإتيان به كراهية محاكاة سجع الكهان، وكان النبي وخلفاؤه يوصون الخطباء بتحامي هذا السجع. وحين ظهرت الفرق الكلامية برزت الحاجة إلى تعليم أتباع كل فرقة أصول الخطابة ووسائل الإقناع وتدريبهم على محاجة



خصومهم بالبراهين والأدلة العقلية، وظهر صدى ذلك في خطبهم ومناظراتهم من حيث خصب الأفكار وتنسيقها وعمقها واستنادها إلى المنطق وأصول الجدل إن فن الخطابة لم يبلغ في أي عصر من العصور ما بلغه في العصر الأموي من النماء والنضج.

### ومن أهم هذه الخصائص:

- اعتمد الخطباء في خطبهم على :
- ١ - استخدام النزعة الدينية .
  - ٢ - الاتكاء على معاني القرآن والأحاديث النبوية .
  - ٣ - توظيف العاطفة الدينية والحزبية .
  - ٤ - الإكثار من أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والإنذار .
  - ٥ - اتخاذ الحجة والجدل وسيلة لإقناع الخصم .
  - ٦ - الاعتماد على الألفاظ المنغمة والتراكيب الموسقة ( السجع ) .
  - ٧ - الإيجاز والإجمال في توصيل الغرض من الخطبة .

**الباب السادس**  
**الفصل الخامس**  
**نماذج من الخطابة الدينية**  
**في العصر الأموي**



### أ - خطبة مصعب بن الزبير لما قدم العراق:

لما قدم مصعب بن الزبير إلى العراق والياً عليها من قبل أخيه عبد  
الله بن الزبير صعد المنبر ثم قال

#### ١ - الخطبة:

( بسم الله الرحمن الرحيم : {طسم\*تلك آيات الكتاب المبين\*نتلوا  
عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون\* إن فرعون

علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين} وأشار بيده نحو الشام ثم قال: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين} وأشار بيده نحو الحجاز ثم قال: {ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون} وأشار بيده نحو العراق ثم نزل).

## ٢ - تحليل الخطبة:

**أولاً:** يلاحظ أنه اعتمد على القرآن الكريم وتلا الآيات من مطلع سورة القصص واعتبر عندما تلا آيات نبأ موسى وفرعون وأشار إلى الشام يقصد بذلك حكم الأمويين مع الإشارة إلى مظالمهم .

**ثانياً:** اعتبر أن أهل الحجاز كانوا مستضعفين مظلومين من قبل الحكم الأموي فنصرهم الله ومن عليهم بالتمكين في الأرض من خلافة عبد الله بن الزبير .

## ب - خطبة الحسين بن علي رضي الله عنهما قبل

### استشهاده:

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : (أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً بعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عبادته بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري قد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تمتمت علي ببيعتكم تصيبوا رشدكم وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلکم في أسوة . وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

**المفردات اللغوية:** الفيء: الخراج - لا تسلموني: لا تمكنوا مني  
العدو - ينكر: منكر - مسلم: يريد أنهم خذلوا علياً والحسن وأخذوا  
مسلم بن عقيل بن أبي طالب

### **- تحليل خطبة الحسين رضي الله عنه**

في هذه الخطبة يعلل سيدنا الحسين خروجه إلى العراق وتضمنت  
الخطبة عدة أفكار:

**أولاً:** تعليل الخروج على حاكم نكث بعهد الله واستحل محارم الله  
وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه في هذا الحال لم  
يبق من الإسلام شيئاً

**ثانياً:** إن هذا الفريق من الحكام لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة  
الرحمن فأعلن عن أحقيته بالخلافة .

**ثالثاً:** يقرع من ادعوا أنهم أتباعه وهم الذين أرسلوا له بالبيعة  
ودعوا إلى العراق وأنهم إن خذلوه وأسلموه لعدوه وعدوهم فليس  
الأمر بمستغرب فلقد خذلوا أباه وأخاه من قبله وإن هم نقضوا بيعته  
بخذلانه فعليهم الإثم والله يغنيه عنهم

### **ج - خطب أبي حمزة الشاري:**

خطب في مكة المكرمة قائلاً : (يا أهل مكة تعيرونني بأصحابي تزعمون أنهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً نعم الشباب مكتهلين عمية عن الشر أعينهم بطيئة عن الباطل أرجلهم قد نظر الله إليهم في آناء الليل منثيةً أصلابهم بمثاني القرآن إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها وإذا مر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم أنضاء عبادة قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام مستقلون لذلك في جنب الله موفون بعهد الله مستجزون لوعدهم الله حتى إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ورماحه قد أشرعت وسيوفه قد انتضيت وبرقت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعدهم الله فمضى الشاب منهم قدماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه وقد رملت محاسن وجهه بالدماء وعفروا وجهه بالثرى وأسرع إليه سباع الأرض وانحطت عليه طير السماء فكم من مقلة في منقار طير طالما بكى صاحبها من خشية الله وكم من كف بانة عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها



في سجوده وكم من خد عتيق وجبين رقيق قد فلق بعمد الحديد  
رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل أرواحها الجنان)

**المفردات اللغوية:** عمية: مؤنث العمي وهو الأعمى - أنضاء:

جمع نضو المهزول- فوقت السهام: أعدت للرمي- أشرعت

الرماح: سددت- انتضيت السيوف: استلقت من أغمادها- عفر

بالثرى: مرغ بالتراب- بانث: انفصلت- العتيق: الجميل أو النبيل .

### -تحليل الخطبة:

**أولاً:** الرد على أهل مكة الذين عابوا أصحاب أبي حمزة .

**ثانياً:** حوت الخطبة شرح لمناقب أتباع أبي حمزة وأبرز هذه

الصفات:

١- كثرة الصلاة بالوقوف بين يدي الله ليلاً.

٢- شدة مخافتهم من الله وتدبرهم لآيات القرآن .

٣- جهدهم المتواصل في طاعة الله ليل نهار .

٤- الوفاء بعهد الله والثقة بنصره وإنجاز وعده لهم .

### د - خطبة عبد الملك بن مروان

ومن الخطب الدينية في هذا العصر خطبة عبد الملك بن مروان

حيث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

(أيها الناس إن الحرب صعبة مرة وإن السلم أمن ومسرة وقد زينتنا الحرب وزيناها فعرفناها وألفناها فنحن بنوها وهي أمنا . أيها الناس فاستقيموا على الهدى ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لا تعملون أعمالهم ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شراً ولا تزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد )

### هـ - خطبة واصل بن عطاء المخزومي :

الشهيرة التي تجنب فيها حرف الراء

#### -نص الخطبة :

(الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوه، ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداءً، وعد له اصطناعاً، فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته، وأوضح حكمته،

فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا مثيل له، إلهاً تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون. وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية، وصدق طوية، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخاصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلغ مآلكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصدده عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفقياً على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأسمى، وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد. أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى

الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، فأحضكم على ما يدينكم منه، ويزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد. ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزینتها وخذعها، وفوائن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شيء منها يزول، فكم عاينتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبالها، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها، أذاقتهم حلواً، ومزجت لهم سماً. أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخلبها، وطحنتم بكلها، وعضتكم بأنيابها، وعضتكم من السعة ضيقاً، ومن العز ذلاً، ومن الحيلة فناء، فسكنوا اللحد، وأكلهم الدود، وأصبحوا لاتعاین إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحسس منهم أحد ولا تسمع لهم نبساً. فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لغلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك

الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواظ المتقين كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون.

أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوي، إن الله هو السميع العليم. بسم الله الفتح المنان. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، وبالآيات والوحي المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم. وأدخلنا جنات النعيم. وأقول ما به أعظكم، وأستعذبُ الله لي ولكم."

## ٢ - نظرة عامة للخطبة :

والخطبة قيمة فنية وتاريخية عظيمة، فهي خطبة مرتجلة أمام الوالي ووفد من العلماء، اقتدر صاحبها على الاستغناء فيها عن حرف من أكثر الحروف دوراناً في الكلام، وعلى الرغم من أنها خطبة ذات طابع ديني، فيها من معاني القرآن الكريم وأساليبه ونصوصه. غير أن واصل قد تمكن من الفرار في إبداع وخفة

وحذق من ألفاظ معينة إلى مرادفاتها، وهذا يدل على قدرة فنية لا تتأتى إلا للأفذاذ. أما قيمتها التاريخية فتنبع من كونها أنموذج من خطب الوعظ الخالص في القرن الثاني للهجرة، تجنب فيها واصل فتن المذاهب والدعوات المذهبية، وفيها شبه كبير بخطبتي عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك ما، وقد اجتمع في ثلاثتها التحذير من مفاتن الدنيا، وتصوير نهاية الأحياء، والتنوية بفضل القرآن، والحث على إتباع آياته وهديه.

### و- ومن خطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

١- "أيها الناس إنكم لم تُخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرّم الجنة التي عرضها السموات والأرض واعملوا أن الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباقي، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفكم من بعدكم الباقون حتى تردوا إلى خير الوارثين؟ ثم أنتم في كل تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعون غير موسى ولا ممد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب. غنياً عما ترك، فقيراً إلى

ما قدم، وإيم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة ما أعلم أحدًا منكم من الذنوب مما عندي - فأستغفر الله لي ولكم". **ونلاحظ** في هذه الخطبة - على قصرها - اشتغالها على مقدمة تشد الانتباه إلى موضوعها بما فيها من تذكير قوي بحقيقة خلق الإنسان، فالناس لم تخلق عبثًا، ولهم موعد سوف يُحاسبون فيه على كل ما جنته أيديهم ثم يأتي عرض الفكرة وتوضيحها، فالمعاد وهو يوم الحساب يكون بعده جنة ونار، فأما من يعصي ربه فقد حرم الجنة، وأما من خاف ربه ففي رحمة الله، ويستعين الخليفة في تذكير الناس ووعظهم بتجارب الحياة المحسوسة فيقول لهم إن الموت يتخطف أحببنا من حولنا، فماذا يكون مصيرهم؟ حفرة من الأرض يلقون فيها وقد انقطع ما بينهم وبين كل من في الدنيا وما فيها من أسباب.. ولم يبقَ لهم إلا العمل الصالح ينجيهم من العذاب. ثم تأتي الخاتمة التي هي بمثابة الغاية التي توخاها الخليفة من خطبته، وتتركز في أن ينظر كل إنسان إلى ذنوبه فيستغفر ربه ويتعظ بما حوله فلا يقع في معصية بعدها (تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٧١) . وإذا دقت النظر في خصائص أسلوب هذه الخطبة وجدت فيه مصداق تعريف الخطبة بأنها مخاطبة الجمهور،

فالخطيب يتوجه إلى الجمهور وبالحديث من أولها إلى نهايتها، ثم هو يختار ألفاظاً مألوفة واضحة قوية الدلالة على معناها ذات إيقاع نابع من الإحساس العاطفي، وتحس جمال هذا الإيقاع وقوته في التأثير من نظمه هذه الألفاظ في عبارات قصيرة متوازنة ويعتمد الأسلوب في جمال إيقاعه وفي دقته البلاغية على التقديم والتأخير أحياناً كما في قوله: "إن لكم معاداً"، و"سيخلفكم من بعدكم الباقون". أو على الترادف المعنوي حيناً آخر كما في قوله: "لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى"، و"فخاب وخسر"، و"باع قليلاً بكثير وفانياً بباقي"، و"قد قضى نحبه وبلغ أجله"، أو على السجع المعنوي غير المتكلف في مثل قوله: "غير موسد ولا ممهد". مجرداً من كل شيء في دنياه. وتظهر شخصية الخطيب واضحة قوية في خطبته وقد تألفت كل هذه العناصر الأسلوبية في وجدانه بعمق إيمانه بموضوعه وإحساسه به، فاستطاع أن ينفذ إلى أسماع جمهوره وقلوبهم - وخاصة أنه لم يجرد نفسه من الذنوب التي يصم بها - وأن يتغلغل إلى عقولهم بكفره المرتب المعتمد على التجارب والمشاهد الحسية المشتركة فبلغ بذلك غاية من التأثير والإقناع.



٢- من وصل أخاه بنصحيته له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه، فاتقوا الله؛ فإنها نصيحة لكم في دينكم، فاقبلوها، وموعظة منحية في العواقب، فالزموها (الطبرى ج٦ ص ٥٧١-٥٧٢).

٣- "أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، وتظهر عورتي، وتبدو مسكنتي، في يوم يبدو فيه الغني والفقير، والموازين منصوبة، فلقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، أو الأرض لانفطرت. أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما" (شرح نهج البلاغة المجلد الأول ص ٤٧٠).

٤- "ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما سيزول! وإنما الشيء من أصله؛ فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله! إنما الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نهب للمصائب، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان

الحتوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن" ( الأماي ج ٢ ص ١٠٠ ) .

٥- "إن الدنيا ليست بدار قرار، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة، بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا منافس، وبها قرير عين؛ إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودياره وديناه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه. إن الدنيا لا نَسْرُ بقدر ما تَضُرُّ، إنها تَسْرُ قليلا، وتَجْرُ حزنا طويلا" ( جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ١٩٣ ) .

٦- "أيها الناس، لا تستضعروا الذنوب، والتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها، إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين، وقال عز وجل: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [ .

العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٧ ) .

٧- "أيها الناس، من ألم بذنب، فليستغفر الله عز وجل وليتب، فإن عاد ليستغفر وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها".

## الباب السادس

### الفصل السادس

#### أبرز أعلام الخطابة

## في العصر الأموي

- مقدمة :

ظهر في العصر الأموي عدد وفار من الخطباء في شتى ضروب الخطابة،

**أولاً - خطباء الأسر :**

ومن اللافت للنظر في ذلك العصر ظهور جماعات من الخطباء تنتمي كل منها إلى أسرة واحدة. ومن هؤلاء

١ - آل رغبة الذين ينتمون إلى قبيلة عبد القيس الربعية ومن الخطباء المشهورين في هذه الأسرة كرب بن رغبة وابنه مصقلة بن كرب، وهو أشهر خطباء هذه الأسرة، وكان أيام الحجاج. وقد ذكر الطبري أن الحجاج لما دخل الكوفة بعد هزيمة ابن الأشعث أجلس مصقلة بن كرب إلى جانبه وأمره أن يخطب فيشتم كل امرئ بما فيه. وكان ابنه كرب بن مصقلة خطيباً مفوهاً كذلك ، وكان له خطبة يقال لها «العجوز» كان آل رغبة يفاخرون بها

٢ - ومن الأسر التي اشتهرت بالخطابة كذلك آل الأهتم من قبيلة تميم، وهي أعرق الأسر العربية في الفن الخطابي، وعرف منها في العصر الجاهلي والإسلامي عمرو بن الأهتم وأخوه عبد الله بن الأهتم. وكان لعبد الله ولدان اشتهرا بالخطابة في عصر بني أمية هما صفوان بن عبد الله بن الأهتم، وعبد الله بن عبد الله بن الأهتم . وقد ذكر أن عبد الله هذا دخل على عمر بن عبد العزيز فألقى بين يديه خطبة بليغة عرض فيها بأسلاف عمر من بني أمية . وفي أواخر العصر الأموي ظهر من هذه الأسرة خطيبان أصابا شهرة بعيدة هما خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، وشبيب بن شيبعة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وكان لهذين الخطيبين شأن كبير في العصر العباسي .

٣ - ومن الأسر القرشية التي كان لها حظ واف من الشهرة الخطابية عصرئذ آل العاص، وهم من بني أمية. ومن مشهوري خطباء هذه الأسرة سعيد بن العاص وهو أشهر خطبائها. ومنها كذلك عمرو بن سعيد بن عمرو بن العاص المعروف بعمرو بن خولة - نسبة إلى أمه - وهو من الخطباء الذين فاخر بهم بنو أمية بني هاشم .

٤ - ومن الأسر التي اشتهرت بالخطابة الدينية في ذلك العصر أسرة فارسية الأصل تنتمي بالولاء إلى قبيلة رقاش البكرية، ومن هذه الأسرة يزيد بن أبان الرقاشي، وكان من القصاص المجيدين، وابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان القصاص. وكان عمرو بن عبيد يحضر مجلسه، ثم اشتهر بعدئذ ابنه عبد الصمد بن الفضل الرقاشي . ظهر عدد جم من الخطباء المجيدين، وقد تقدم القول إن كل حزب من الأحزاب السياسية كان يستظهر بطائفة من الخطباء للمنافحة عنه. وقد برز

### ثانياً - خطباء الأحزاب:

#### أ - من الحزب الأموي خطباء من الأسرة الأموية أشهرهم

- ١ - معاوية بن أبي سفيان
- ٢ - وابنه يزيد
- ٣ - وعبد الملك بن مروان
- ٤ - وسليمان بن عبد الملك
- ٥ - وعتبة بن أبي سفيان
- ٦ - وعمرو بن سعيد الأشدق .
- ٧ - خالد بن عبد الله القسري

- ٨ - وأخوه أسد بن عبد الله القسري
- ٩ - وروح بن زنباع
- ١٠ - وعبد الله بن عامر
- ١١ - وبلال بن أبي بردة الأشعري
- ١٢ - والمهلب بن أبي صفرة
- ١٣ - وابنه يزيد بن أبي صفرة
- ١٤ - وقتيبة بن مسلم
- ١٥ - ونصر بن سيار

**ب- وظهر من الخوارج كثرة من الخطباء المجيدين منهم :**

- ١ - قطري بن الفجاءة
- ٢ - وعبيدة بن هلال اليشكري
- ٣ - والمستورد بن علفة
- ٤ - وزيد بن جندب الإيادي، وقد أشاد الجاحظ بفصاحته وبراعته الخطابية
- ٥ - وعمران بن حطان شاعر الصفرية وخطيبهم
- ٦ - وصالح بن مسرح وقد اشتهر بقصصه ووعظه لأصحابه
- ٧ - والضحاك بن قيس الشيباني.

٨ - وأشهر خطباء الخوارج في ذلك العصر هو أبو حمزة الخارجي الإباضي وقد انتهت إلينا طائفة من خطبه تنبئ بمهارته البيانية المتفوقة

### ج - ومن خطباء الشيعة :

- ١ - زيد بن علي، رأس الزيدية،
- ٢ - وعبدالله بن عباس
- ٣ - وعبد الله بن جعفر
- ٤ - وحفيده عبد الله بن معاوية بن عبد الله،
- ٥ - ومنهم كذلك صعصعة بن صوحان،
- ٦ - والمختار الثقفي
- ٧ - وسليمان بن سرد زعيم التوابين،.

.....

### د - ومن خطباء الحزب الزبيرى المبرزين:

- ١ - عبد الله بن الزبير
- ٢ - وأخوه مصعب
- ٣ - وعثمان بن عروة بن الزبير،
- ٤ - وأخوه عبد الله بن عروة، وكان هذا أروع الزبيرية وكانوا



يشبهونه في بلاغته بخالد بن صفوان .

### ثالثاً - وأشهر الخطباء الدينيين في هذا العصر :

#### ١- الحسن البصري:

ولم يحظ أحد من رجال الدين بمثل المنزلة التي حظي بها الحسن في ذلك العصر، وعلى أنه كان من أصل غير عربي فقد أجاد الخطابة إجادة العرب الخالص، وذلك لأنه نشأ نشأة عربية بين مواليه الأنصار، حتى كانوا يشبهونه بروية بن العجاج، وشهد له أبو عمرو ابن العلاء بالفصاحة فقال: «لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج». وكان الحسن يعظ فيأسر القلوب ويسيل الدموع. وكانت حلقة «صاحب العمامة السوداء» أكثر حلقات المسجد ازدحاماً بالوافدين، وكانوا يشبهون كلامه بكلام الأنبياء، ولما توفي سنة ١١٠ هـ . ، كانت وفاته حدثاً عظيماً في تاريخ البصرة، وقد مشى أهلها جميعاً في جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر في الجامع .

#### رابعاً - ومن فصحاء أهل الكلام وخطبائهم :

## ١ - واصل ابن عطاء:

شيخ المعتزلة، هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي (٧٠٠ - ٧٤٨)، الملقب بالغزال الأثلغ، كان تلميذاً للحسن البصري، ومؤسس فرقة المعتزلة الإسلامية. حصل الخلاف بينه وبين الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن "اعتزلنا واصل" فتسمت فرقته بالمعتزلة وانضم إليه عمرو بن عبيد. كانت زوجته هي أخت عمرو بن عبيد. توفي في عام ١٣١ هـ الموافق لـ ٧٤٨ م في المدينة المنورة. كان واصل بن عطاء على ما وهبه الله من فطانة وفصاحة وحسن تصرف في القول كان صاحب عاهة في نطق حرف الراء. يحسن التأتى لهذا العيب المحرج في النطق، فيجانب لفظ الراء إلى سواه من الحروف، فيجعل ( البر - قمحاً ) ، و(الفراش - مضجعاً )، و(المطر - غيثاً ) ، و(الحفر - نبشاً ) ، وقد سجل لنا العلماء خطبة كاملة لواصل بن عطاء تجنب فيها حرف الراء. وانفصل واصل بن عطاء عن الحسن البصري ويكون الحلقة الأولى للمذهب الاعتزالي . وعلى الرغم من أن واصل بن عطاء كان من زعماء العقلانيين في الإسلام إلا أنه كان مؤسسي

نظرية "المنزلة بين المنزلتين" ومعناها أن مرتكب الكبيرة ليس مسلم ولا كافر ولكنه في منزلة بينهما وإذا مات ولم يتب عن كبירתه فهو مخلد في النار. وقد بلغ من مقدرته الخطابية أنه خطب خطبة كاملة تجنب فيها حرف الراء لئلا تظهر لثغته.

### خامساً - ومن خطباء الوعظ :

١ - سبحان بن زفر الوائلي الذي ضرب المثل ببلاغته، وقد رواه أنه خطب عند معاوية ذات يوم من صلاة الظهر حتى صلاة العصر.

٢ - عمر بن عبد العزيز الذي كان يكثر من وعظ الرعية،

٣ - الأوزاعي: الفقيه المعروف

٤ - وإياس بن معاوية

٥ - وجامع المحاربي

٦ - وصالح المري القاص

### سادساً - ومن أشهر خطباء المحافل في ذلك العصر:

١-الأحنف بن قيس سيد بني تميم،

٢-والبعيث المجاشعي

- ٣- والنخار بن أوس العذري،
- ٤- وصعصعة ابن صوحان .

## الباب السادس

## الفصل السابع

## تراجم بعض الخطباء

### ١ - الحسن والحسين سيدا أهل الجنة :

برز من رجال الحزب الشيعي عصرئذ الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم، وقد ورثا عن جدهما رسول الله عليه وسلم ، وعن أبيهما علي رضي الله عنه البلاغة والمقدرة الخطابية.

### ٢ - زياد بن أبيه :

ولد على الأغلب في السنة الأولى للهجرة ، والدته سمية جارية من الطائف ويقال إن والده أبو سفيان ، فلما أنكره سمي زياد بن أبيه ، ويعد زياد إداريا حازما ، وسياسيا فريدا ، وأديبا بارعا ، وهو أحد دهاة العرب : ( معاوية ، المغيرة ، عمر بن العاص ، زياد بن أبيه ) . كان واليا لعلي في منطقة فارس ، حاول معاوية أن يستميله فرفض ولما استشهد علي أحقه معاوية بنسبه وولاه على البصرة والكوفة والعراق خمس سنوات وقد كان حليما كئيبا يتسم أسلوبه بالجزالة وألفاظه بالفصاحة ، وتراكيبه بالوضوح ، توفي عام (٥٣) هـ . ، **ويعد زياد بن أبي سفيان :**

من أشهر خطباء الحزب الأموي وهو من قبيلة ثقيف التي كانت تستوطن الطائف. وقد تجلّى نبوغ زياد الخطابي منذ أيام عمر بن الخطاب، ودعاه عمر بالخطيب المصقع. وقد مهدت له براعته البيانية والحسابية وثقافته الطريق لتولي الإمارة أيام علي ومعاوية، فولاه علي فارس وكرمان، وبعد مقتل علي استماله معاوية إلى صفه واستلحقه بنسبه وولاه البصرة، وهي يومئذ تموج بالفتن والاضطراب، فاستطاع بحنكته السياسية وحزمه القضاء على الفتنة وحمل أهل البصرة على طاعة بني أمية وأشاع الأمن والاستقرار فيها. وما لبث معاوية أن ضم إليه الكوفة بعد وفاة واليها المغيرة بن شعبة فكان أول من جمع له العراق. ولما توفي سنة ٥٣ هـ كان الأمن والهدوء يعمان أرجاء العراق .

### ٣ - الحجاج بن يوسف الثقفي:

وهو سياسي قدير ، وإداري حازم ومثقف واسع الخبرة ، تميز بالقسوة ، كان خطيباً بارعاً ، تميزت خطبه بقوة المعاني ، وذكر الموت والضرب والقتل ‘ جزل اللفظ متين العبارة ، قصير الجمل . ولد عام (٤٢) هـ في الطائف ، ونشأ بين والد وأخ كانا معلمين التحق بالجيش الأموي وارتقى في المراتب ، كلفه

عبد الملك بن مروان بقتال عبد الله بن الزبير ، فقتله وحاصر الكعبة بالمنجنيق ، ثم ضربها ، فكافأه عبد الملك بتوليته الحجاز واليمن ثم العراق ، قضى الحجاج على الخوارج وقد كان الحجاج أكثر ميلاً إلى البطش وسفك الدماء. وكان متميزاً في البراعة الخطابية، وشهد له معاصروه بذلك فقال مالك بن دينار: ( ما رأيت أحداً أبين من الحجاج، وإن كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه حتى أقول في نفسي: لأحسبه صادقاً وإني لأظنهم ظالمين له ) وقام بإصلاحات إدارية وعمرانية ، وبنى مدينة واسط بالعراق وحفر الأقنية ، وأوجد المكايل والمقاييس والموازين ، ونقل الدواوين من الفارسية إلى العربية ، وسك عملة عربية ، ثم نظم الجيش وجعل الخدمة فيه إجبارية فتح معظم بلاد المشرق ووصل إلى بلخ وطخارستان وفرغانة والسند ، ثم إلى حدود الصين ، وبموته بسرطان القرحة توقفت فتوح المسلمين ، لم يخلف إلا سيفاً ومصحفاً وعشرة دراهم فضة . وتوفى عام (٩٥) هـ .

# الباب السابع

## الخطابة في العصر الأموي

### في المغرب \_ الأندلس





## الباب السابع

### الفصل الأول

# رؤيا في الخطابة الأندلسية

تعددت فنون النثر العربي في الأندلس، فتناول الأندلسيون ما كان معروفاً في المشرق من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات، وزادوا عليها بعض ما أملته ظروف حياتهم وبيئاتهم، وقد شاع فيهم تصنيف كتب برامج العلماء، التي تضمنت ذكر شيوخهم ومروياتهم وإجازاتهم. وكان للكتاب مزية الجمع بين الشعر والنثر والإجادة

فيهما. فعندما دخل العرب الأندلس فاتحين كانوا بطبيعتهم ميالين إلى الخطابة، ثم إن عصر الولاة كان عصر اضطراب وحروب وصراع بين العصبية العربية، فكان ذلك داعياً إلى ازدهار الخطابة في الأندلس في ذلك العصر، فكانت الوسيلة الفعالة في إشعال الحروب وتأييد العصبية القبلية عندما تكون الحروب والنزاعات بين العرب العدنانيين والقحطانيين، وكانت الوسيلة فعالة في الحث على الجهاد وقتال الكفار عندما تكون الحروب ضد نصارى الأندلس . ولقد كانت الخطابة وليدة الفتح، فقد استدعت الغزوات التي قام بها العرب المسلمون قيام الخطباء باستنهاض الهمم، وإذكاء روح الحماسة للجهاد في سبيل الله . ولما تمزقت البلاد، واستحالت إلى دويلات كثيرة، واستعان بعض أصحابها بالأعداء، كان الخطباء يقفون في المحافل العامة للدعوة إلى لم الشمل وترك التناحر . ومنذ عصر المرابطين، حتى آخر أيام المسلمين في الأندلس، ظهرت الخطب المنمقة، ومنها التي تتضمن التورية بأسماء القرآن الكريم كما في خطبة للقاضي

عياض (٥٤٤هـ) التي يقول فيها: «الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه، وبين في سورة البقرة أحكامه، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه...». وكانت الخطابة في تلك الفترة تتميز بالسهولة والوضوح والإيجاز والبعد عن التكلف؛ لأن الخطباء من الولاة والأمراء والقادة كانوا عرباً مطبوعين على الخطابة والارتجال. ولكن عندما استقرت الأمور ومال الناس إلى الدعة ضعفت الخطابة الأندلسية، وتفوق الشعر والنثر الفني عليها، وإن كانت الخطابة الدينية قد ازدهرت بفضل بعض العلماء الذين كانوا يجيدون الخطابة كالقاضي منذر بن سعيد البلوطي. وعندما عادت الأندلس إلى عصر الاضطراب والحروب في عهد ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين كانت الملكة والسليقة العربية قد ضعفت، فلم تزدهر الخطابة من جديد مع وجود دواعي الازدهار، بل دخلها كثير من الصنعة اللفظية، وامتألت بالسجع المتكلف فضعفت، ولم يعد لها تأثير يذكر.

## الباب السابع

### الفصل الثاني

#### نماذج للخطابة

١ - خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس:

"أيها الناس، أين المفر، البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأقاته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما

تستخلصونه من أيدي أعدائكم. وإن امتدت لكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة. وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص فيها متاع النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالألف طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي. وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، والمقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزيانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا... ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون

المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين. واعلموا أنني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمة هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخذلون". ( **نفاح**

**الطيب للمقري ج ١ ص ٢٢٥** ).

**شرح المفردات الصعبة :** - وزر: حمل تحملونه. - ذهب ربحكم: ذهب قوتكم.

- المناجزة. سرعة المقاتلة والا شتباك. نجوه: منجاة. أي إنني معكم في هدأ الأمر الخطير. - العقيان: الذهب. - عزيان: جمع أعزب وعازب أي الذي لم يتزوج.

- أصهار: جمع صهر، القريب وزوج بنت الرجل أو أخته. -  
أختان: جمع ختن، وهو أبو امرأتك أو أخوها. فالأحماء من قبل  
الزوج، والأختان من قبل الزوجة، والأصهار تجمعهما.

## الباب السابع

### الفصل الثالث

## أشهر خطباء الأندلس

١- طارق بن زياد فاتح الأندلس ،

٢- والأمير عبد الرحمن الداخل المؤسس الأموي في الأندلس ،



٣- ومنذر بن سعيد البلوطي ،

٤- والقاضي عياض ،

٥- ولسان الدين بن الخطيب

## الباب السابع

## الفصل الرابع

# الخطابة الدينية في الأندلس

تعددت أنواع الخطابة الأندلسية، وتنوعت موضوعاتها، فشملت

أغراضاً شتى من شئون الحياة ما بين

**١ - خطابة دينية :****أ - ماهيتها :**

كان المجال الديني من أرحب المجالات التي تجلت فيها قوة الخطابة ونهضتها، إذ شهد ميدان الخطابة الدينية - سواء أكانت شفوية أم مكتوبة - نمواً واضحاً، فكثر أعلامها، حتى أصبح عدداً من الخطباء يتناوبون فيما بينهم، فكان كل واحد يخطب جمعة في الشهر، وكان يشترط في الخطيب إلى جانب فصاحته وعلمه التحلي بالتقوى والفضل والصلاح وفي إطار حركة الهداية والوعظ التي تزعمها الأتقياء من أهل الورع والزهد دعا الخطباء إلى مجاهدة النفس وكبح جماحها، حتى لا تتهاك على متاع الدنيا الزائل، لترتدع عن أهوائها، وتتبين عاقبة هواها عساها أن ترعوى عن الشر، وترتد عن الباطل،

**ب - أشهر خطبائها :**

وينتمي إلى عصر المرابطين والموحدين أشهر خطباء الوعظ الديني في الأندلس، منهم:

١- أبو الحسن بن شريح الذي شهد له تلميذه ابن عبد الغفور بالإحسان والفصاحة والبيان في فن الخطابة ورأى " أن هذا الفن من البلاغة قد عفا بالكلية ودرس، ولكنه أي ابن شريح - قد أعاد إليه جدته وبهاءه، وملك وحده أرضه وسماؤه " .

٢- والخطيب القاضي عياض الذي شاعت خطبه على السنة الناس،

٣- والخطيب الواعظ أبو بكر الطرطوشي،

٤- والخطيب الكاتب أبو المطرف بن عميرة الذي كان قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وغيرهم كثر.

ج- مضامين الخطب الدينية:

ترددت في الخطب الدينية كثير من معاني الزهد وأفكاره، وكانت في الغالب تدور حول

١- ازدياد الدنيا،

٢- والندب إلى الاعتبار بالموت

٣- والتذكير بيوم البعث والحساب، وغيرها من المضامين الزهدية التي داعت على أسنة الزهاد في الأندلس . والحق أن الخطبة الزهدية الواحدة كانت في العادة تشتمل على غير مضمون زهدي، ولما استقلت خطبة زهدية بمضمون زهدي واحد. ولعل من أبرز المضامين الزهدية التي دارت حولها خطب الزهاد والوعاظ

٤- التنفير من الدنيا، وتعداد مثالبها، وكشف حقيقتها الزائفة حتى لا يخذع المسلم ببرقها الخلب، وسرابها الخادع،

د- أبرز خطبها :

١- خطبة ابن الجنان:

يقول ابن الجنان في خطبة طويلة: "...ولا تخذعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاول الأباطيل وأضغاث الأحلام، ولا تنسينكم خدعها المموهة، وخیالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام، فهي دار انتياب النوائب، ومصاب المصائب، وحدث الحوادث، وإمام الآلام، دار صفوها أقدار، وسلمها حرب تدار، وأمنها خوف وحذار، ونظمها تفرق وانتشار، واتصالها انقطاع وانصرام، ووجودها فناء وانعدام وبنائوها تضعضع وانهدام، ينادي كل يوم بناديها منادي الجمام، فلا قرار بهذه الغرارة ولا مقام، ولا بقاء لساكنها ولا دوام...

تحليل الخطبة :

- ١- مدار هذه الخطبة وفكرتها الجوهرية هو زوال الدنيا، وحوادثها المتقلبة وأن نهايتها الموت والفناء،
- ٢- هي في جملتها معان واضحة، قريبة الفهم، سهلة المأخذ،
- ٣- صيغت في لغة عذبة لينة،

٤- اتسمت بالبساطة واليسر،

٥- تأنق صاحبها في اختيار ألفاظها، وشاكل بينها وبين معانيها  
مشاكله قوية طبيعية.

٦- سلك الخطيب في التعبير عن معانيه الأسلوب الخطابي

٧- إثارة عواطفه، وتحريك مشاعره، فهو يرسم صوراً متنوعة  
للدنيا، ويعرض المعنى الواحد بأثواب مختلفة،

٨- الاستعانة بالتكرار والترادف الذي يتولد عنه بالضرورة الإطالة  
والإطناب.

٩- السجع هو الإيقاع الغالب على هذه الخطبة، وقد التزمه  
الخطيب في كل أجزائها، قصد تجويد كلامه وتحسينه، وتوليد القيم  
الصوتية المعبرة، إذ عمد إلى تقسيم الفقرة الواحدة إلى فواصل  
متساوية، فتبدوا وكأنها القافية في قصيدة متنوعة القوافي، وهو  
سجع صادر عن طبع، لا أثر فيه لصنعه أو تكلف، استدعته

طبيعة الموضوع، لأن " للأسجاع موسيقى صوتية خاصة تتناسب مع العواطف الدينية، والأداء بها يكون أبلغ تأثيراً، وأشد وقعاً " .

١٠- الإفادة من أنواع البديع الأخرى من مقابلة وجناس، إذ بنى فقرات خطبته على المقابلات المتتابعة: " دار صفوها أكرار، وسلمها حرب تدار " ليبرز معاني التغير والتحول في الدنيا، فلا تطمئن لها نفس، ولا ينخدع بمتاعها الزائل عاقل.

١١- الصور الخيالية التي تجلو المعاني وتبرزها، فالاستعارة " ينادي بناديها الحمام " جسمت المعنى وجعلته قادراً على التأثير في نفوس المتلقين.

١٢- ربط الخطيب بين صورة الدنيا الفانية وبين الموت بصفته النهاية الطبيعية لهذه الرحلة الطويلة في الدنيا، ليثير في وجدان المتلقي وإحساسه الخوف والرهبة من الموت، وليدفعه إلى العظة والعبرة.

**١٣-** المبالغة في التزهيد في الدنيا، وكشف غرورها، ولعل مبعثه ما كان عليه الناس في عهد الخطيب من تهافت على حب الدنيا، وانصراف إلى التمتع بشهواتها، في الوقت الذي تنهاوى فيه قواعد الإسلام في الأندلس تحت ضربات النصارى الإسبان، فيتحقق بذلك الارتباط القوي بين موضوع الخطبة وبين الظرف الذي قيلت فيه، ما أكسبها ذلك تأثيراً عظيماً في النفوس، وجعلها تعبر عن حياة الأندلسيين أصدق تعبير،

**١٤-** كانت صدى لبيئة الخطيب وظروف مجتمعه، " إذ يُستحب للخطيب أن يشير في خطبته إلى ما شاكل الحين والحال، فإن ذلك انطق بحذاقته وبراعته، وأدل على وفور بضاعته وصناعته". والواقع أن نزعة الزهد قد واكبت حركة الجهاد في الأندلس ضد النصارى الإسبان، فحذر الكتاب الزهاد أهل الأندلس من الإقبال على الدنيا، والتهافت على متاعها، وحرصوهم على جهاد ديني تكون عاقبته الجنة، وثمرته ديار الخلد،



## ٢ - خطبة ابن أبي الخصال:

يقول ابن أبي الخصال في خطبة له محذراً من الاستنامة إلى الدنيا، حاثاً على الزهد في حطامها: "... كلا! لا عتبَ لكم عليها! قد أمتكم جهاراً بأحجارها، ولدغتمك مراراً من أحجارها، وعمتكم صغاراً بذحولها وأوتارها، وأنتم - على ذلك - تتهافتون تهافت الفَراس على حطامها ونارها. أي مصون منكم لم تنله بهتك، أم أي منيع لم تَغْلُهُ بفتك، أم أي مصاف لها لم تُذَلِّهُ بنبذ وترك؟! فانفضوا -رحمكم الله - بها نفضا، وأجمعوا لها - كما رفضتكم - رفضاً، واستبدلوا من نصب غرورها بالزهد فيها دعة وخفضا... فاستقبلوا - رحمكم الله - عثاركم واستقبلوا عدوكم وخذوا ثاركم، وخذوا في صحف القبول آثاركم، وأخلصوا لله طاعتكم، وحققوا إنابتكم وضراعتكم"

تحليل الخطبة :

١- رسخ الخطيب مفهوم أن الدنيا فانية وأنها دار ممر، والآخرة دار مقر،

٢- هون الخطيب من شأن الدنيا وزينتها،

٣- ونبه من الغفلة والاعتزاز بمفاتها الزائلة،

٤- دعا إلى استلهاام العظة من الأقبوام التي حكمت بغرورها، فكان مآلها إلى الفناء والزوال،

٣- خطب القاضي عياض:

أ- الخطبة الأولى :

يقول القاضي عياض في إحدى خطبه الوعظية: " أيها الناس، اسلكوا جواد الحقائق، واركبوا بُنيان الطرائق، ولا تغرنكم الدنيا بكواذب المخارق، فإنها كثيرة البوائق، جمّة العوائق... كم أهلكت قبلكم من الخلائق، وطوت من الفراعين والعمالق، وطوحت من

القياصر والبطارق، وطرحت العصم من أعلى الشواهد، وأسقطت من الجو كل خرق الجناح خافق".

تحليل الخطبة :

١- هذه إحدى خطب الوعظ الديني الذي عُرف بها القاضي عياض،

٢- استخدم في بنائها خصائص التعبير الخطابي للتأثير في نفوس السامعين وإقناعهم عن طريق

أ- الاستدلال المنطقي،

ب- وضرب الأمثلة بالأقوام السالفة،

ج- وتوظيف الأسلوب التصويري،

د- توظيف وسائل تعبيرية أخرى مؤثرة.

٣- لجأ الخطيب إلى الأساليب الإنشائية مثل

أ- النداء " أيها الناس، لتنبه الغافلين، وتهيئة أذهانهم لموعظته،

ب- والأمر " اسلكوا " للإرشاد والتوصية،

ج- والنهي " لا تغرنكم "

د- للتحذير والنصح،

هـ- و" كم " الخبرية للمبالغة والتهويل،

و- الأساليب الخبرية مثل " فإنها كثيرة البوائق " فجاءت لتقرير

الحقائق، وتأكيدا في الأفهام،

٤- كما وظف الأمثال العربية في نسيجه اللغوي فغدت وكأنها جزء

منه، فقله: " وطرحت العصم من أعلى الشواهد " مأخوذ من

المثل العربي " ويحل العصم سهل الأباطح ".

٥- استخدم أسلوب المقابلة في أداء معانيه وتصويرها، للذين

غرثهم الحياة الدنيا، وركنوا إليها، بين ما كانوا عليه، وما صاروا

إليه " وكم ذي بسطة ومنظر فائق، بعيد الصيت في جميع المواقف،

مغتراً بمساعدة دنياه واثق، فأصبح ذا بصر خاشع ونفس زاهق،

وحيداً فريداً من كل مؤنس ومفارق، رهيناً بما اكتسبت يداه، وخط في المهارق"

٦- التزام السجع قصير الفقرات قصد توليد لون من ألوان الإيقاع الموسيقي المؤثر، فيما يشبه إلى حد بعيد القافية في القصيدة، إذ سادت الخطبة على وتيرة واحدة من التزام لحرف القاف المقيد الذي يفصل بينه وبين ألف التأسيس حرف مشكل بالكسر. وبرغم ما حققه اختيار القاف حرفاً للسجعة من قيمة صوتية موحية، إذ يثير تردده في نهاية الفصل إحساساً بالفزع والرعب والخوف من المآل الذي يصير إليه الإنسان في هذه الدنيا، فإن التزامه في الخطبة كلها جاء أثراً من آثار التكلفة والصنعة التي جعلت من السجع ثقيلاً رتيباً.

٧- الروح التي هيمنت على هذه الخطبة هي الروح الدينية الإسلامية، والتي تبنت في الحث على ازدياء الدنيا، والاتعاظ بالأمم السالفة، والافتباس من القرآن الكريم في قوله " رهينا بما اكتسبت

يداه " مأخوذ من قوله تعالى " كل امرئ بما كسب رهين ". وغلبة الاتجاه الديني على الخطبة العياضية " له ما يسوغه من واقع الأندلسيين الذين أصبحوا غافلين في ملذات الحياة من أحكام الشريعة مما أوجب لهجة الخطاب الغاضب والعاتب ".

#### ب- الخطبة الثانية :

وللقاضي عياض خطبة وعظية تدور جُلّها حول معنى التوصل على الله يقول فيها: "... فأجملوا - رحمكم الله - في الطلب توفقوا، وتوكلوا على الله حق توكله ترزقوا، وأريحوا أنفسكم من النصب في طلب الدنيا والكد، فإنه لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، ألا وإن التوكل على الله والثقة به أحد أبواب الإيمان، ومن أفضل درجات العدل والإحسان، وهو حقيقة العبودية والتوحيد، وموجب الرضا والتسليم للرقيب الشهيد".

#### تحليل الخطبة :

١- يؤمن الخطيب في هذه الخطبة بأن طريق السعادة إنما يمر  
التوكل على الله وحده،

٢- وهو يعبر في ذلك عن عاطفة دينية صادقة أفضت إلى  
طمأنينة نفسية، وإلى طرح الدنيا من قلبه طرحاً تاماً.

٣- ولحاجة الخطيب إلى الإقناع والتأثير وتأكيد معانيه في نفس  
المخاطب، فقد عمد إلى تضمين خطبته بعض أقوال الرسول الكريم  
بمعانيها، فقوله " وتوكلوا على الله حق توكله ترزقوا" مأخوذ من  
قول الحديث الشريف " لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما  
يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتعود بطناناً..." ومثل ذلك قول  
الخطيب: " فإنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا  
الجد منك الجد" اقتباس من قول الرسول الكريم: " اللهم لا مانع  
لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ".

## ج- الخطبة الثالثة :

يقول القاضي عياض: " أيها الإنسان، إن الله تعالى قد وهبك من عنايته حظاً اقتضى شرفك موفوراً، وأبرزك من العدم إلى الوجود، ومن الغيب إلى الشهود، واستودع عالمك المختص بدائع الحكمة ما يحار فيه عقل مجتليه، ونضد جواهره النفسية في سلك الازدواج فكل عضو إلى ما يليه "

## د- الخطبة الرابعة :

يقول القاضي عياض: "... وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة، وانتظروا قوله: يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ذلك يوم تدهل فيه الأبواب، وترجف القلوب رجفاً، وتبدل الأرض، وتُسف الجبال سُففاً، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلاً ولا صرفاً، (ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً)، (وعرضوا على ربك صفاً، لقد نئموننا كما خلقناكم أول مرة، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً....)

## تحليل الخطبة :



١- لقد سلكت هذه الخطبة سبيل الترهيب والتخويف لبلوغ الهدف المنشود، لعل المستمع يرتدع عن غيه، ويشفق من عذاب ربه وبطشه،

٣- شاع في هذه الخطبة الاستشهاد بآي الذكر الحكيم التي تناسب مقام الوعد والوعيد، والتذكير والتخويف، حتى يكون لخطبته من التأثير وشدة الوقع ما لهذه الآيات في نفوس المستمعين من القداسة والقوة،

٤- وقد بسط القرآن الكريم ظلاله على كثير من خطب القاضي عياض " فأكسبها رونقاً جمالياً، ومظهراً بلاغياً راقياً، فقد كان عياض - كما يبدو- مشدوداً بظماً لاهب إلى توظيف الآيات القرآنية، واستخدام حقائقها وبلاغتها في التعبير عن آرائه "

٥- وحين يعرض الخطيب لمشاهد يوم القيامة، وصوره المفزعة، فإنه يلجأ إلى ربط المستمع بكتاب الله، فمنه يستلهم المسلم مصادر العظة والعبرة، وفي آياته إيقاظ لغفلته، وهداية لحيرته

يقول: " فمالك يا حيران، تتلى عليك آي القرآن ولا تزجر بعظاتها ولا تفرق، ركبت في بحر التسويف ولم تبال التخويف، أخشى عليك أن تغرق، أما علمت أنه لا بد من موقف القمر فيه يخسف، والبصر فيه يبرق "

٦- ثم يعمد الخطيب إلى الموازنة يوم القيامة بين منزلة المطيعين ومنزلة العصاة، ليميز التباين بين المنزلتين، ويحث المؤمن على الفوز بسعادة الدارين: " فهناك يمتاز الفريقان: فنهار أولئك بالشفاعة أظلم وليل هؤلاء بالسعادة أشرق ."

٧- ولنيل سعادة الدار الآخرة، والنجاة من النار وعذابها، فإن الخطيب يسوق طائفة من الوصايا والنصائح الإرشادية الوعظية، فيحذر من الغفلة في الدنيا، ويطلع الناس على حقيقتها، ويذكر بالموت وعذاب القبر، ويدعو إلى التعلق بصالح الأعمال: " عباد الله، انتبهوا من غفلتكم، وانظروا لأنفسكم، واذكروا ما يراد بكم قبل حلول آجالكم وانقطاع آمالكم. ولا تغتروا بالدنيا، فإنها كأحلام نائم،

وأنتم عنها عما قريب راحلون، وإلى ربكم راجعون، فاذكروا ألم الموت وسكرته، وعذاب القبر وظلمته، والصراط ودقته، والقصاص وحسرتة والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، فمن يطع الله ورسوله فله جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين).

٨- الربط بين الذنوب والمصائب التي حلت ببلاد الأندلس وأفضت إلى سقوط كثير من مدنها بأيدي النصارى تلح على أذهان بعض الخطباء الوعاظ فيرددونها في كثير من خطبهم، ويحثون المسلمين على الإقلاع عن المعاصي، ويرشدونهم إلى وجوب تطهير النفوس، وتنقية الضمائر، يقول ابن أبي الخصال في خطبة يحرض فيها على الجهاد، ويصور تهاة الدنيا، ويذكر بالموت، ويظهر العلاقة بين الذنوب والمصائب التي حلت بالمسلمين: " ألا تستوحشون لتباريح العصر، وركود ربح النصر، وتداعي أمم الكفر، وإجفاننا عن مقاومتهم إجمال الغفر، ألا نقلع عن الذنوب التي فتت أعضادنا، وقضت باهتضامنا واضطهادنا"

## ٤ - خطبة ابن عبد الغفور:

ومن الخطب الوعظية الشرقية التي أغرم بها الأندلسيون، وحاولوا محاكاتها قصد إظهار مقدرتهم الفنية خطبة " الفصيح " لأبي العلاء المعري، إذ عارضها ابن عبد الغفور في خطبة له سماها " الإصلاح " خاطب فيها الدنيا الزائلة، وحث الحائرين على التعلق بالعمل الصالح، والمبادرة إلى فعل الخيرات يقول: " يا أم دَفْر، أون ثديك بطني، وما قلت حسبي ولا قطني، يا حار احفل بحفلك لأخيك وطفلك، ولا يكن سحابك صيفا، ولا معروفك هيفا يعيي الطالبين.. ليس الجمال في شَعْر وَحَف لكن في بدار إلى الخيرات وزحف... يفنى كل شيء ولا يبقى سوى الواحد الحي ".

## تحليل الخطبة :

من ملامح هذه الخطبة الوعظية

- ١ - اتسام بعض ألفاظها وتراكيبها بالغرابة إذ تحتاج إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معانيها ومدلولاتها،

٢- كما برز فيها التزام الخطيب بالسجع ذي الفواصل القصيرة،  
ليثبت براعته اللغوية، ومقدرته الأدبية على معارضة المعري في  
خطبته،

٣- سلوك الزاهد يجده يسعى جاهدا لتوطيد صلته بخالقه، فيقبل  
على طاعته وعبادته، ويروض نفسه ويجاهدها،

٥- خطبة ابن شريح :

ومن معاني الزهد التي تناولتها خطب الزهاد الدعوة إلى التأمل  
والنظر في مخلوقات الله الدالة على وجوده وقدرته، ليقر الإنسان  
بوحدانيته، وللتدليل على عظمة خالقها، وليصل من مظاهر  
الأشياء إلى جوهرها، ومن واقعها إلى مآلها. يقول ابن شريح في  
خطبة له يحث فيها على النظر الفعلي في آيات الله والاتعاظ  
بعجائب موجوداته: "...وتفكروا فكم في الأرض والسماء لذي  
الكبرياء من قدرة، واستدلوا فكل ذلك يدل بالمشاهدة والاختراع  
والفطرة، فاذكروا ما أمكنكم الأدكار، واعتبروا يا أولي الأبصار،

نجوم زاهرات، وبحار زاخرا وسحاب مسخرات، ورياح ذاريات، وفلك جاريات، وجبال راسيات، وأرض وسماء، وظلام وضياء، وصباح يردفه مساء، وصيف يخلفه شتاء، ومولود يولد، وفقيد يفقد، والأعمار في خلال ذلك تنصرم كالصريح، والنبت يعود بعد نضرتة إلى حال الهشيم، كل يدل على عدم الثبات وسرعة الانبئات، وعودة الجميع إلى الشتات، والجديد إلى حال الرفات .

تحليل الخطبة :

إن النظرة المتأنية إلى هذا النص الوعظي تهدي إلى القول بأن الخطيب :

١- قد سلك مسلكاً قريباً من نهج القرآن في الإقناع،

٢- وسوق الأدلة والبراهين المنطقية التي تفضي إلى أن ما يُشاهد من عجائب الكون إنما يدل على عدم الثبوت والدوام، وفي هذا عبرة وعظة لمن يعتبر.

٣- كما أن هذه الخطبة تستدعي إلى الأذهان مسلك بعض الخطب الوعظية التي راجت في عصر ما قبل الإسلام على لسان بعض الخطباء من أمثال قس بن ساعدة، والمأمور الحارثي، ويبدو أن الخطيب قد ترسم خطاهما. يقول المأمور الحارثي في خطبة له: " إن فيما نرى لمعتبراً لمن اعتبر، ارض موضوعة، وسماء مرفوعة، وشمس تطلع وتغرب، ونجوم تسري فتعزب، وقمر تطلعه النحور، وتمحصه أدبار الشهور... إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر، البارئ المصور."

٤- إن هذه التأملات الكونية التي تدعو إلى التدبر والتأمل في بديع خلق السماء والأرض ودلالة ذلك على الخالق القادرة، والتي تحض على التذكير بمشاهد الموت وما فيها من عبرة وعظة، إنما تشف عن عاطفة صادقة وعميقة امتلأت بها نفس الخطيب ففاضت على لسانه حكماً وعبراً وعظة.

٥- لجأ الخطيب لإقناع سامعيه إلى وسائل فنية مختلفة:

- أ- من إثمار الفقرات القصيرة الموجزة،
- ب- والإيقاع الموسيقي القائم على السجع والجناس،
- ج- وتوشيح الخطبة بآية قرآنية للاستشهاد على صحة فكرته،
- د- والتصوير التشبيهي الذي يزيد المعنى وضوحاً وجلاءً،
- هـ- والطباق المتتابع لتأكيد معناه وترسيخه في الأذهان.
- ٦- واختار الخطيب لمعانيه ألفاظاً سهلة، وتراكيب واضحة،
- ٧- وجاءت أفكاره مرتبة تنسجم مع جلال الموقف وعظمته، وهي أفكاره مستقاه كما تبين من ثقافته الإسلامية المختزنة.
- ٨- التأمل في مخلوقات الله في الكون،
- ٩- حث الإنسان على التأمل في خلق الله تعالى ودقة صنعته، ليكون ذلك دافعاً له على طاعة الله وعبادته،

٦- خطبة المطرف بن عميرة:



يحث المطرف بن عميرة العصاة على التوبة، ويدفعهم إلى الإقلاع عن الذنوب والمعاصي، ويحفزهم إلى التماس المغفرة من الله: "يا هذا، مداد الذنوب، إنما يمحوه ماء الدمع، أفلا تعدله عيناً باكية، وخطر العقل يقتل غلام الهوى، وأنت تقول أقتلت نفساً زاكية، اعترضتك شبهة الغي، فهذا دليل الرشد قد تبين، وإن خرجت خائفاً من مصر المعصية، فاجهد نفسك على أن ترد ماء مدين".

تحليل الخطبة :

يهدف الواعظ من وراء دعوته إلى :

١- الإقلاع عن الذنوب،

٢- والإقبال على الله

٣- التأثير في نفوس المخاطبين،

٤- وإقناعهم بموقفه،

٥- استعان بالأسلوب التصويري في تجسيم فكرته، مثل قوله "مداد الذنوب، غلام الهوى "

٦- توظيف الإشارات الدينية والتاريخية، لإثراء نسيجه اللغوي، وذلك عن طريق الاقتباس الخفي من القصص القرآني، وهو يدرج ما اقتبس ضمن موعظته بحيث تخفى للوهلة الأولى على السامع، ولا يفتن إليها إلا الحافظ للقرآن الكريم، فقله: أقتلت نفساً زاكية إشارة دينية وتاريخية إلى قصة موسى - عليه السلام - وخروجه من مصر إثر قتله القبطي، وقوله: " اعترضتك شبهة الغي، فهذا دليل الرشد قد تبين " إشارة إلى قبول الله توبة موسى، وعفوه عنه فالقتل كان خطأ دون عمد أو قصد، وقوله: " وإن خرجت خائفاً من مصر المعصية فاجهد نفسك على أن ترد ماء مدين " إشارة إلى قصة خروج موسى - عليه السلام - من مصر قاصداً ماء مدين كما وردت في القرآن الكريم.

٧- خطبة ابن الزيات الخطيب المتصوف :

وخطب أحمد بن الحسن بن علي الزيات خطبة ألغيت الألف من حروفها على كثرة تردها في الكلام وهي: "حمد ربي جل من كريم محمود، وشكرته عز من عظيم معبود، ونزهته عن جهل كل ملحد كفور، وقدمته عن قول كل مفسد غرور، كبير لو تقدم في فهم لحد، قدير لو تصور في رسم لحد، لو عرته فكرة تصور لتصور، ولو حدته فكرة لتقدر، ولو فهمت له كيفية لبطل قدمه، ولو علمت له كيفية لحصل عدمه، ولو حصر في ظرف لقطع بتجسمه، ولو قهره وصف لصدع بتقسيمه، ولو فرض له شح لرهقه كيف عظيم من غير تركيب قطر. عليم من غير ترتيب فكر، موجود من غير شيء يمسكه، معبود من غير وهم يدركه، كريم من غير عوض يلحقه، حكيم من غير عرض يلحقه، قوي من غير سبب يجمعه، علي من غير سبب يرفعه، لو وجد له جنس لعرض في قيومته، ولو ثبت له حس لنوزع في ديمومته. ومنها تقدس وعز فعله، وتنزه عن اسمه وفصله، جل قاهر قدرته، وعز باهر عزته، وعظمت صفته، وكثرت منته، فتق ورتق، وصور وخلق، وقطع

ووصل، ونصر وخذل، حمدته حمد من عرف ربه، ورهب ذنبه،  
وصفت حقيقة يقينه قلبه، وزكت بصيرة دينه لبه، ربط مسلك  
سلوكه وشد، وهدم صرح عتوه وهد، وحرس معقل عقله وحد وطرد  
غرور غرته ورذله، علم علم تحقيق فنحا نحوه، نقر له عز وجل،  
بثبوت ربوبيته وقدمه، ونعتقد صدور كل جوهر وعرض عن جوده  
وكرمه، ونشهد بتبليغ محمد -صلى ربه وسلم عليه-، رسوله  
وخير خلقه، ونعلق بنهوضه في تبين فرضه، وتبليغ شرعه  
فنسخت كل شرع، وجدد عزيمته فقمع عدوه خير قمع، قوم كل  
مقوم بقويم سنته، وكريم هديه، وبين لقومه كيف يركنون ففازوا  
بقصده وسديد سعيه، بشر مطيعه فظفر برحمته، وحذر عاصيه  
فشقي بنقمته . وبعد.. فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون، وهديتكم لو  
كنتم تعلمون وبصرتكم لو كنتم تتبصرون.. وذكركم لو كنتم  
تتذكرون، ظهرت لكم حقيقة نشركم. وبرزت لكم حقيقة حشركم،  
فكم تركضون في طلق غفلتكم، وتغفلون عن يوم بعثكم.. والموت  
عليكم سيف مسلول، وحكم عزم غير معلول، فكيف بكم يوم يؤخذ

كل بذنبه، ويشتغل بهمه وكربه عن صديقه وتربه، وتنشر له رقعة،  
وتعين له بقعة، فريح عبد نظر وهو في مهل لنفسه، وترسل في  
رضا عمل جنة لحدول رسمه، وكسر صنم شهوته، ليقر في  
بجوحة قدسه. ومنها... فتنبه -ويحك- من سنتك ونومك، وتفكر  
فيمن هلك من صحبتك وقومك، هتف بهم من تعلم، وشب عليهم  
منه حرق مظلّم، فخربت بصيخته ربوعهم، وتفرقت لهولة  
جموعهم، وذلك عزيزهم، وخسيء رفيّهم، وصم سميعهم، فخرج  
كل منهم عن قصره ما رمى غير موسى في قبره فهم بين سعيد في  
روضة مقرب وبين مشقي في حفرة معذب، فنستوهب منه -عز  
وجل- عصمة من كل خطيئة، وخصوصية تقي من كل نفس  
جريئة".

#### تحليل الخطبة:

١- صاحب هذه الخطبة ابن الزيات الخطيب المتصوف من أهل  
بلش مالقة توفي سنة ٧٢٨هـ، وفي وقته كان الأسلوب الخطابي  
والكتابي -في المشرق- قد انحط إلى مستوى شنيع. ونزل إلى

درك وضع، وأصبحت سمات التكلف البادية الواضحة تعلن عن الهزال و الضعف والركاكة والتفكك، وقد كان هنالك من يحاول -مع ذلك خلو كلامه من حروف المعجم أو المهمل إعلاناً عن التفصح، وتنويها بمقدرته البيانية متناسياً أن هذه المحاولة نفسها تنبئ عن تخلفه عن الركب.

٢- وفي هذه الخطبة دليلان على نزول درجتها البلاغية،

أ- أحدهما هذا التكلف الذي أخذ الخطيب نفسه به،

ب- والثاني ذلك التعقيد في الاستدلال والغموض في الإيضاح والتعمية في الشرح، وما أظن خطيب منبر يزعم لنفسه بمثل هذا الأسلوب أنه يستدر دمعاً، أو يرهف سمعاً، أو يثير وجداناً.

### - المضامين الزهوية عند الخطباء الزهاد:

١- الحديث عن يوم القيامة وعلاماته وأهواله،

٢- والتذكير بما ينتظر الإنسان من حساب وحشر،

٣- ونعيم مقيم،

٤- فعلى الإنسان العاقل التزود لمثل ذلك اليوم بالعمل الصالح،

## الباب السابع

### الفصل الخامس

## الخطابة السياسية

### أ- مقدمة :

وقد احتل هذا الفن من اللحظة الأولى التي دخل فيها العرب الأندلس مكانة مرموقة، والغرض عند الأندلسيين كما هو عند المشاركة يتمثل في :

١- إيقاظ نار الحماسة

٢- وبث روح الجهاد ،

٣- ونشر الدين

٤- وإخضاع الأقاليم

حيث تمثل الأمراء والخلفاء فصاحة اللغة وعمق البيان **واتسم هذا**

**النوع من الخطابة بالسمات التالية:**

آ- سهولة العبارة .

ب- البعد عن السجع.

ج- الجريان مع الطبع.

د- القدرة على التأثير.



هـ- الإيجاز والبلاغة

و- وضوح المعاني.

## ب- نماذج من الخطابة السياسية :

١- خطبة منذر بن سعيد : جاءت الوفود إلى عبد الرحمن الناصر لتهنئته بالخلافة فقدم ابنه الحكم أبا علي القالي صاحب كتاب "الأمالي"، فقام أبو علي فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه -صلى الله عليه وسلم-، ثم أرتج عليه، وانقطع وبهر، فلما رأى منذر بن سعيد ذلك وكان حاضراً قام من تلقاء نفسه ووصل افتتاح أبي علي بكلام بهر العقول.... وهذا هو نص هذه الخطبة...." ، أما بعد حمد الله والثناء عليه، والتعداد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاماً، ولكل مقام مقالاً، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم، فاصغوا إلي يا معشر الملأ بأسماعكم، وافقهوا عني بأفئدتكم... إن من الحق أن يقال للمحق: صدقت، وللمبطل: كذبت، وإن الجليل -تعالى في سمائه، وتقدس

بصفاته وأسمائه-، أمر كليمة موسى -على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام- أن يذكر قومه بأيام الله -جل وعز- عندهم، وفيه وفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة، واني أذكركم بأيام الله عندكم، وتلافيه لكم، بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعنتكم، وأمنت سربكم، ورفعت قوتكم، كنتم قليلاً فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم مشعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير، من ضيق الحال، ونكد العيش، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء، أنشدكم الله معاشر الملأ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها؟ والسبل مخوفة فأمنها؟ والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها؟ وثغور المسلمين مهتزمة فحماها ونصرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم، وشفى صدوركم،

وصرتم يدًا على عدوكم، بعد أن كان بأسكم بينكم.. فأشددكم الله ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها، ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد؟ حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد، واعتزل النسوان وهجر الأوطان، ورفض الدعة وهي محبوبة، وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبة، بطوية صحيحة، وعزيمة صريحة، وبصيرة نافذة ثاقبة، وريح هابة عالية، ونصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان قاهر، وجد ظاهر، وسيف منصور تحت عدل مشهور، متحملًا للنصب، مستقلًا لما ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، وانكسرت شوكة الفتنة بعد حدتها، فلم يبق لها غارب إلا جبهه، ولا ظهر لأهلها قرن إلا جده، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا، ويلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانًا، حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم، وآمال الأqvسين والأدنين متجهة إليه وإليكم، يأتون من كل فج عميق،

وبلد سحيق، للأخذ بحبل بينه وبينكم جملة وتفصيلاً، ليقضي الله  
 أمراً كان مفعولاً، ولن يخلف الله وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك  
 أسباب ظاهرة بادية، تدل على أمور باطنة خافية، دليلها قائم،  
 وجفنها غير نائم: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ ﴾ { النور الآية ٥٥ } ، وليس في تصديق ما وعد الله  
 ارتياب، ولكل نبأ مستقر، ولكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس  
 على آلائه، واسألوا المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بين خلافة  
 أمير المؤمنين -أيده الله بالسداد، وألهمه التوفيق إلى سبيل  
 الرشاد- أحسن الناس حالاً، وأنعمهم بالآ، وأعزهم قراراً، وأمنعهم  
 داراً، وأكشفهم جمعاً، وأجملهم صنعا، لا تهاجمون ولا تذاون،  
 وأنتم -بحمد الله- على أعدائكم ظاهرون، فاستعينوا على صلاح  
 أحوالكم بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخلفتكم، وابن عم  
 نبيكم -صلى الله عليه وسلم-، فإن من نزع يداً من الطاعة،

وسعى في تفريق الجماعة، ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وقد علمتم أن في التعليق بعصمتها، والتمسك بعروتها، حفظ الأموال وحقن الدماء، وصلاح الخاصة والدهماء، وأن بقيام الطاعة تقام الحدود، وتوفى العهود، وبها وصلت الأرحام، ووضحت الأحكام، وبها سدد الله الخلل، وأمن السبل، ووطأ الأكناف ورفع الاختلاف، وبها طاب لكم القرار، واطمأنت بكم الدار، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به، فإنه -تبارك وتعالى- يقول: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ { النساء : الآية ٥٩ } ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم، وتفريق ملئكم، الآخذين في مخاذلة دينكم، وهتك حريمكم، وتوهين دعوة نبيكم -صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين-، أقول قولي هذا وأختم

بالحمد لله رب العالمين، مستغفراً الله الغفور الرحيم، فهو خير الغافرين".

- تحليل الخطبة:

١- كان من حق منذر بن سعيد أن يتهيب هذا الموقف الذي فوجئ به مفاجأة لم تكن مترقبة، والذي حمل عليه حملاً غير منتظر، ومثل هذا الموقف يأخذ بالوعي، ويذهب بالإدراك، ويبدد الخواطر والأوهام؛ فإذا أضيف إلى ذلك احتشاد الجموع من كل حذب، وأن أديباً كبيراً قبله كبا به جواده، وخانه بيانه، وقصرت به فصاحته، ولكنه -مع ذلك- استطاع أن يقف على قدميه من غير تلجلج، ويسترسل في حديثه من غير لعثمة، ويتدفق البيان من غير ترو، وجعلنا بجعله في مصاف الأساتذة الكبار والكلام بين يدي رئيس حكومة، أو أمير دولة، أو خليفة شعب من شأنه أن يحيط به الحذر، ويحفه الحساب والتقدير، ويتقدمه التفكير والرأي، حتى لا يجيء في ثناياه شيء من الفضول، أو معنى من الخلط، أو نوع من القحة، أو بعض من سوء الأدب، وقليل من الناس من

يعرض نفسه له، أو يتصدى لاقتحام مجالاته، اللهم إلا إذا كانوا قد تمكنوا من ناصية القول، وتعودوا على المنطق، ومرنوا على الخطابة، وألفوا أن يصلوا في ميادين البلاغة، وأن يردوا حبات الفصاحة.

٢- ومنذر بن سعيد بهذه الخطبة يعطينا صورة واضحة عن :

أ- بيانه السهل،

ب- وبلاغته الحلوة،

ج- وأدبه الجم، وعقله الواعي،

د- ولسانه الطبع،

هـ- وطبعه السليم،

و- وأسلوبه الواضح،

ز- وصراحته القوية،

**ح- وإيمانه الصحيح،**

**٣- فهو يتحدث عن الخليفة من غير مبالغة ولا ملق، وهو إذ يقول: "إن خلافة أمير المؤمنين لمت شعثكم، وأمنت سريكم، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كملتكم بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم، وشفى صدوركم، وصرتم يدًا على عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم"،** إنما يقرر حقيقة، ويذكر قضية مسلمة، وتظهر صراحة منذر بن سعيد، وإخلاصه لدينه، ومراقبته لربه، من قوله... فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ولا يؤخذ على منذر بن سعيد في هذه الخطبة إلا تكرار بعض المعاني في الخطبة تكرار إذا التمسنا له العذر فيه لم نستطع إلا أن نقول إنه كان يريد أن يملأ ذلك الفراغ الواسع الذي كان يشعر به في هذا الموقف الرهيب.

**٤- والخطبة بعد ذلك كله ليست نمطًا من****أ- البيان الرفيع،**



- ب- ولا البلاغة العالية،
- ج- ولا الأدب النقي،
- د- ولا الأسلوب القوي،
- هـ- كانت الخطبة عنواناً على
- أ- ملكة الارتجال،
- ب- وحكمة التصرف،
- ج- وحسن التخلص،
- د- وجرأة القلب،
- هـ- وعدم المبالاة بالظروف،
- و- وعدم الهلع من الأحداث،
- ز- وعدم الفزع من المباغته..

٢- خطبة لسان الدين بن الخطيب في الحز على الجهاد :

"أيها الناس رحمكم الله... إخوانكم المسلمون -بالأندلس- قد دهم العدو -قصمه الله تعالى- ساحتهم، ورام الكفر -خذله الله- استباحتهم، وزحف أحزاب الطواغيت إليهم، ومد الصليب ذراعيه عليهم، وأيديكم -بعزة الله تعالى- أقوى، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى، وهو دينكم فانصروه، وجواركم القريب فلا تخفروه، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه، الجهاد الجهاد قد تعين، الجار الجار قد قرر الشرع حقه وبين، الله الله في الإسلام، الله الله في أمة محمد -عليه الصلاة والسلام-، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكشوه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة، أعانكم الله تعالى عند الشدائد، جددوا عوائد الخير، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة -التوحيد- واسوا بأموالكم وأنفسكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، وألسنة الآيات تنادىكم، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائمة فيكم، والله -سبحانه وتعالى- يقول فيه: ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ} ومما صح عنه -  
 صلى الله عليه وسلم-: ((من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما  
 الله على النار)) ((لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))  
 ((من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا))..... أدركوا رمق الدين  
 قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم  
 مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته، جاهدوا في الله بالألسن  
 والأقوال حق جهاده. ماذا يكون جوابكم لنبيكم وطريق هذا العذر  
 غير ممهد إن قال لم فرطتموا في أمتي وتركتموهم للعدو المعتدي  
 تالله لو أن العقوبة لم تخف لكفى الحيا من وجه ذاك السيد اللهم  
 اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بث لنا الحمية في البلاد، اللهم  
 دافع عن الحريم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك،  
 بأحبائك وأوليائك يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً، وثبت  
 أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وصلى الله على سيدنا محمد  
 وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

- تحليل الخطبة:

١- صاحب هذه الخطبة فارس من فرسان البلاغة، وكبير من كبار رجالات الأدب، له في كل ميدان من ميادين القول مجال، هيات أن يدانيه فيه غيره، أو يلحق به سواه،

٢- وإلى جانب هذا فالموضوع شائك، والموقف حرج، والساعة رهيبة، وطن تنهده الأحداث، وتصطوح عليه الخطوب، وفي ذلك الذي يحيط به ويطوقه قضاء على نفوذ الإسلام، وانتكاس لرايته، واستذلال لأهله، ومساومة لهم في أعراضهم، وشرفهم ودينهم، وليس بعد ذلك مهانة ذليلة، ولا صغار بين، ولا قتل لروح الكرامة،

٣- ولئن كان هنالك أحاسيس تستدر الدمع، وتقطع نياط القلب، وتشيع في النفس القلق والخوف، والذعر والاضطراب، فإنها لا تبلغ ما تبلغه تلك الأحاسيس التي يشعر بها المسلم حينما يدرك أن دولة مجد شامخ، وشرف باذخ، تطيح بها الطوائح الظالمة، والأهواء الغاشمة، من غير ذنب سوى أنها ترفع علم العدالة والحرية والمساواة في الحقوق والمعاملات، وتنادي بالإصلاح

والنهوض، والتقدم والرقي، والبر والخير، والسلام والأمن، وتدعو إلى سعادة الدنيا والآخرة.

٤- وقد استطاع الخطيب :

أ- أن يفى بالغرض،

ب- وأن يبلغ الغاية من القول،

ج- وأن يلهب شعور المسلمين بالفجيعة، وتقديرهم للموقف، لولا أن الحال كان يستدعي السيف لا القول، والجهاد لا الحسرة والعبرة، والقوة الضاربة، لا الدمعة الغالبة، ولمن كان يقول لسان الدين بن الخطيب: أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، وبادروا عليل الإسلام قبل أن يموت" وهم كما يقول القرآن الكريم: ﴿ تَحْسَبُهُمْ

جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ { الحشر : الآية ١٤ }

## الباب السابع

## الفصل السادس

## الخطابة الاجتماعية

### أ- مقدمة :

وهي نوع من الخطابة يتحدث عن المشاكل الاجتماعية المعاشية لتلك الفترة في الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر وترك البدع، وهجر الأباطيل

### ب- نماذج من الخطابة الاجتماعية :

#### ١ - خطبة محمد بن تومرت :

وكان محمد بن تومرت -رأس الموحدين- قد جمع أنصاره قبل موته ليعظهم وينصحهم ويوصيهم أن يصلوا بعده ما انقطع من

الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، فلما حضروا بين يديه قام -وكان متكئاً- فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على محمد نبيه -صلى الله عليه وسلم-، ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم-، ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم، والعزيمة في أمرهم، وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم، فانقرضت هذه العصاة نضر الله وجوهها، وشكر لها سعيها، وجزاها خيراً عن أمة نبيها، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران، والعالم متجاهلاً مداهنًا، فلم ينتفع العلماء بعلمهم بل قصدوا به الملوك، واجتلبوا به الدنيا، وأمالوا وجوه الناس إليهم، ثم إن الله -سبحانه وتعالى وله الحمد- من عليكم أيتها الطائفة بتأييده، وخصكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيدة، وقيض لكم من أفاكم ضلالاً لا تهتدون، وعمياً لا تبصرون، لا تعرفون معروفًا، ولا تنكرون منكرًا، قد فشت فيكم البدع، واستهوتكم الأباطيل، وزين لكم الشيطان أضاليل وترهات أنزه لساني عن النطق به، وأربأ بلفظي عن ذكرها، فهداكم الله بعد



الضلالة، وبصركم بعد العمى، وجمعكم بعد الفرقة، وأعزكم بعد الذلة، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين، وسيورثكم أرضهم وديارهم، ذلك بما كسبته أيديهم، وأضمرته قلوبهم، وما ربك بظلام للعبيد، فجددوا لله - سبحانه وتعالى - خالص نياتكم، وأروه من الشكر - قولاً وفعلاً - ما يزكي به سعيكم، ويتقبل أعمالكم وينشر أمركم، واحذروا الفرقة، واختلاف الكلمة، وشتات الآراء وكونوا يدًا واحدة على عدوكم، فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس وأسرعوا إلى طاعتكم، وكثر أتباعكم، وأظهر الله الحق على أيديكم... وإلا تفعلوا شملكم الذل، وعممكم الصغار، واحتقرتكم العامة فتخطفتكم الخاصة، وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة، واللين بالعنف، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا على الذي صلح عليه أولها، وقد اخترنا لكم رجلاً منكم، وجعلناه أميراً عليكم، هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله، من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه، واختبرنا سريرته وعلانيته، فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه، متبصراً في أمره، واني لأرجو ألا يخلف الظن فيه، فاسمعوا

له وأطيعوا ما دام سامعًا مطيعًا لربه، فإن بدل أو نكص على عقبه، أو ارتاب في أمره، ففي الموحدين -أعزهم الله- خير وبركة، والأمر لله يقلده من شاء من عباده..

### تحليل الخطبة:

١- صاحب هذا النص هو محمد بن تومرت زعيم طائفة الموحدين الذين حكموا الأندلس فترة طويلة من الزمن، بعد أن استنجد بهم أهالي البلاد ليخلصوهم من جماعة المرابطين الذين بالغوا في إيذائهم، والعمل على تفريق كلمتهم، وشق صفوفهم، وكان محمد بن تومرت هذا يلقب بالمهدي، وكان مثقفًا ثقافة عالية تجعله جديرًا بأن يحمل راية الدعوة التي كان يتزعمها، والمؤرخون له يقولون إنه ارتحل إلى المشرق لطلب العلم، وقد استطاع أن يأخذ عن أساتذة كبار، وشيوخ جلة، أمثال الغزالي والشاشي والطرطوشي وابن عبد الجبار،

٢- وقد عمل على أن يصل إلى الحكم والسلطان، وقيادة الجماهير، وسيادة الناس، من طريق الإصلاح الاجتماعي، القائم على الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، فتصدى للتدريس أول أمره- فنشر مذهب الأشاعرة ببلاد المغرب، والتفت حوله جماهير غفيرة، كانت تثق به، وتطمئن إليه، وتأخذ عنه، وتجعله قدوتها في الطاعة، ومثالها في الاستقامة، وشيخها في الطريقة، ومنازها إذا اشتبهت المعالم، ولم تزل البلاد تأخذ بهديه، وتسير على نهج أتباعه من بعده، وتحكم الدين في سلوكها، والقرآن في سياستها، والشريعة الإسلامية في معاملاتها، حتى تغلب عليهم بنو هود أصحاب سرسقطة، وإن كانوا لم يطل بهم العهد، فإن الإسبان قضوا عليهم وعلى سواهم من ملوك الطوائف، ولم يسلم من غائلتهم إلا بنو الأحمر.

٣- والخطبة بعد هذا :

أ- أسلوب من أساليب الوعظ الصادق،

ب- والنصح البالغ،

ج- والإرشاد الصحيح،

د- ينبع فيضها من القلب،

هـ- وتصدر ألفاظها عن إيمان،

و- وتعبّر كلماتها عن شعور قوي، ووجدان غير مكذوب،

ز- وتصور قائلها في صورة إنسان كبير القلب، نقي الذهن،

صافي العقل، ناضج التفكير، سليم الطوية، بعيد النظر، ليس له

غرض حقير، ولا هوى مسف، ولا طيش مرذول،

٤- لا تجول معانيها إلا برؤوس أصحاب الدعوات النبيلة،

والأهداف السامية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،

٥- وهي تبرز لنا ابن تومرت في ثياب الأبطال الأبرار الذين تتفقد لهم الإنسانية حيناً بعد حين فلا نجدهم إلا كما تجد الشيء النادر...

٦- ولعل روعتها لم تكن في تنسيق الألفاظ، وجودة التراكيب، بمقدار ما هي في صدق العاطفة والوجدان، والشعور والإحساس، والميل والهوى، والرغبة والنزوع، والإيمان واليقين، والكلام الذي يخرج من القلب لا يستقر إلا في القلب..

# الباب الثامن فن الخطابة في العصر العباسي

# الباب الثامن

## الفصل الأول

### ازدهار الخطبة في العصر العباسي

١ - ازدهر في بداية العصر العباسي فن الخطابة وضمحل شأنها في نهايته والسبب في ذلك أن الخطابة ازدهرت دفاعاً عن حق العباسيين في الخلافة وتمكيناً لدولتهم، وضمحلت بعد ذلك بسبب احتجاب الخلفاء عن العامة، وزوال الداعي لها . وكان للخطابة شأن كبير في أوائل العصر العباسي؛ فقد كانت الدولة الجديدة في

حاجة إلى ترسيخ الملك وإثبات حق العباسيين في الخلافة، وكان الخلفاء العباسيون الأوائل كالسفاح والمنصور والمهدي خطباء مصاقع، فازدهرت الخطابة في ذلك العصر .

٢ - وكانت الخطبة تلقى على مسامع الناس لأغراض مختلفة،

أ - فهناك الخطب السياسية التي يلقيها الخلفاء والقادة في استقبال الوفود أو تحميس الجنود،

ب - وهناك الخطب الدينية التي تلقى في الأعياد والجمع،

ج - والخطب الاجتماعية في المدح أو الذم أو الاستعطاف أو العتاب .

٣ - وقد امتازت الخطابة في أول العصر العباسي

أ - بجزالة الألفاظ،

ب - وعدم الالتزام بالسجع،

ج - وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف،

د - وغلبة الإيجاز إلا ما تدعو الضرورة فيه إلى الإطناب .

٤ - وأشهر خطباء هذه الفترة

١ - السفاح،

٢ - والمنصور،



- ٣ - وداود بن علي،
  - ٤ - وعيسى بن علي،
  - ٥ - وخالد بن صفوان،
  - ٦ - وشبيب بن شيبه،
  - ٧ - وهارون الرشيد
  - ٨ - وجعفر الصادق،
  - ٩ - ومحمد بن إبراهيم الملقب (جعفر الصادق)
- ٥ - ولما استقرت الدولة العباسية، وفشت العجمة، وسيطر الأعاجم من بويهيين وسلاجقة على الخلافة، ضعفت الخطابة، وقويت الكتابة، فلم يعد الخلفاء قادرين عليها كأسلافهم، فأصبحت الخطابة مقصورة على بعض المناسبات الدينية كالعيدين والجمعة، وقد أناب الخلفاء والحكام غيرهم فيها .
- ٦ - ثم ازداد الأمر سوءاً في آخر العصر العباسي، وضعفت الخطابة الدينية أيضاً، وأصبح خطباء المساجد يرددون خطب السابقين ويقرؤونها من كتبهم على المنابر، وأغلبها خطب مسجوعة متكلفة .

٧ - وكان العباسيون كأسلافهم الأمويين في بدايتهم قد اهتموا بالخطابة كحظ دفاع أول:

أ- يسهم في دعوتهم أولاً،

ب- وتثبيت ملكهم ثانياً.

وقد اتضح ذلك في **خطبة أبي العباس السفاح** حين بويع بالخلافة في مدينة الكوفة، ولقت الانتباه إلى صلته بالرسول الكريم عليه السلام. يقول أبو العباس السفاح:

- "وزعم السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا، فشاها وجوههم، بم؟ ولم؟ أيها الناس، وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم.. وبصرهم بعد جهالتهم... وأنقذهم بعد هلكتهم...".

وخطبة عمه داوود بن علي في أهل الكوفة حين كان والياً عليها لأبي العباس السفاح. يقول داوود بن علي :

- "شكراً شكراً، أما والله ما خرجنا لنحتفى فيكم زهياً ولا لنبتني قصراً، أظنّ عدو الله أن لن نظفر به إذ أرخي له في زمامه حتى عثر في فضل خطابه، فالآن عاد الأمر في نصابه، وطلعت الشمس من مطلعها، والآن أخذ القوس باريها، وعادت النبل إلى

**النزعة ، ورجع الحق إلى مستقره في أهل بينكم : أهل بيت الرأفة والرحمة".**

٨ - وإذا كانت الخطابة في هذا العصر قد برزت سياسياً مع استلام العباسيين لمقاليد السلطة فإنها ضعفت بعد القضاء على الثورات التي قامت ضد العباسيين، وخاصة أن العباسيين كموا الأفواه. وأخذوا الناس بالشدة، فضعفت الأحزاب، وصودرت الحريات السياسية كذلك سرى الضعف إلى الخطابة الحفلية إذ وضع الأغنياء حاجزاً بينهم وبين الوفود التي كانت تأتي إلى بني أمية واقتصرت على مناسبات زواج أو موت أحد أقاربه أو موت الخليفة نفسه.

-يقول **الخطيب ابن عتبة المهدي** يهنئه بالخلافة ويعزيه بأبيه المنصور:

"أجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله، وبارك لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده، فلا مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين".

٩- أما الخطابة الدينية في المساجد فقد بقيت مزدهرة يشارك فيها الخلفاء والولاة، ولم تضعف إلا عندما طلب الرشيد من الأصمعي أن يعد خطبة لابنه الأمين، وعندما طلب الرشيد نفسه إلى إسماعيل الرشيدي أن يعد خطبة للمأمون ليخطبا بهما.

## الباب الثامن

### الفصل الثاني

## الخطابة الدينية في العصر

### العباسي

## أولاً-الخطابة الدينية في العصر العباسي الأول :

١ - ظل للخطابة الدينية وما اتصل بها من وعظ ازدهارها في هذا العصر على نحو ما كان عليه الخلفاء والولاة يشاركون فيها خلال عصر بني أمية حيث كان للولاة والخلفاء دور بارز في الخطابة الدينية إذ نجد للمهدي خطبة بارعة ماثورة ، كما نجد للرشيد خطبة أخرى رائعة ، على أننا نجد الرشيد يستن سنة كانت سببا في أن تضعف الخطابة وتنزل بمستواها ، إذ طلب إلى الأصمعي إن يعد لابنه الأمين خطبة يخطب بها يوم الجمعة ، كما طلب إلى إسماعيل اليزيدي وابن أخيه أحمد أن يعد خطبة مماثلة يخطب بها المأمون ، وبذلك سن للخلفاء إن يخطبوا بكلام غيرهم ، وكان المأمون معروفا بالفصاحة والجهارة وحلاوة اللفظ وجودة اللهجة والطلاوة . وكان الولاة يجمعون بين الولاية والصلاة ، ويظهر أنهم أخذوا مع مر الزمن يخطبون بكلام غيرهم وقد يندبون من يقوم مقامهم في الصلاة والخطابة .

٢ - وذكر الجاحظ عن محمد بن سليمان العباسي والي البصرة والكوفة بعهد المنصور والمهدي أنه كانت له خطبة يوم الجمعة لا يغيرها ، وهي خطبة قصيرة . ولكن إذا كانت الخطابة الدينية أخذت

تضعف على لسان الولاة والخلفاء ، فإنها أينعت في بيئة الوعاظ النساك ممن كانت تزخر بهم مساجد بغداد والبصرة والكوفة ، وكان بعضهم يلم بمجالس الخلفاء لوعظهم ، وأحيانا كانوا يستقدمونهم ، فيعظونهم حتى يذكروهم بخشية عقاب الله ، وبما يصورن لهم من زفر جهنم وهم في تضاعيف ذلك يزجرونهم عن ظلم الرعية واقتراف المعاصي والسيئات . ومن كبارهم الذين عرفوا بمقاماتهم المحمودة بين أيدي الخلفاء ثلاثة ، وهم : عمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد المشهور واعظ المنصور ، وصالح بن عبد الجليل واعظ المهدي ، وابن السماك واعظ الرشيد ويروى إن عمرو بن عبيد دخل على أبي جعفر المنصور فقال له : عظني ، فقال : (إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاستر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده )) فوجم أبو جعفر المنصور من قوله ، فقال له الربيع حاجب المنصور : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : ((إن هذا صحبتك عشرين سنة لم ير لك عليه إن ينصحك يوما واحدا ، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه .)) دخل ابن السماك على الرشيد فقال له : عظني ، فقال : ((يا أمير المؤمنين ، اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم

أنك واقف غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلين لا ثالث لهما : جنة ، أو نار ، فبكى هارون الرشيد حتى أخضلت لحيته .

### ثانياً - الخطابة الدينية في العصر العباسي الثاني :

أ - إذا كانت الخطابة الدينية ضعفت على السنة الخلفاء ، فإنها نشطت في المساجد ، حيث كانت تعقد حلقات للوعاظ والقصاص ، وكان الناس يتحلقون من حولهم ، وكان منهم الرسميون الذين تعينهم الدولة للخطابة في أيام الجمع ، ومنهم غير الرسميين وهم الجمهور الأكبر، وكانوا يستمدون وعظهم وخطبهم من

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - والحديث النبوي الشريف
- ٣ - وقصص الأنبياء والمرسلين ،
- ب - ومنهم من كان يقرأ القرآن الكريم ويفسره
- ج - وكثير منهم يذهب مع الجيوش المجاهدة للوعظ في الحرب  
وبث روح الحماسة الدينية في نفوس المجاهدين ، من مثل : أبي  
العباس الطبري الذي كان يذهب إلى الجهاد ، ويتولى أمر الوعظ  
والإرشاد للجند ؛
- د - وكثيرا ما كانت الخطب والمواعظ تنشط في رمضان ، فلا يخلو  
يوم من أيام رمضان ولا وقت من أوقات الصلاة فيه إلا وكان واعظ  
يقوم بعد الصلاة فيقف في الناس واعظا وخطيبا ،
- هـ - وكان الخطيب هو الذي يقوم بالخطابة والموعظة وإقامة  
الصلاة في الجمع والأعياد ، وكان كثير منهم فصحاء بلغاء  
يستحذون على إعجاب الجماهير فيحتشدون حولهم مكبرين لهم  
إكبارا عظيما ، وكانت المساجد دائما مفتوحة ليلا نهارا تغص  
بالمصلين وحلقات التدريس تستقطب روادها من طلبة العلم.



**و -** ومن الجدير بالذكر أن الخطابة في هذا العصر كانت تمر بأطوار متفاوتة ما بين خمود وازدهار .

**١ -** فقد كانت مزدهرة في الطور الأول من العصر العباسي الثاني  
**٢ -** لكنها غدت في الطور الثاني الذي استبد فيه الأتراك بالخلفاء وهان شأنهم وفقد كل سلطان لديهم وقطعت الصلة بينهم وبين الناس . فلم يعد لهم أي أثر في الحياة ، وحجبوا عن شعبهم وماتت أسباب الفصاحة والقول والخطابة في المناسبات المختلفة ، وبلغ تحكم الأتراك بالخلفاء إلى درجة منعهم من الخروج إلى الصلوات الجامعة ، وأوكلوا مهمة الخطابة إلى غيرهم من العلماء

**ز -** وكان آخر خليفة خطب على منبر هو ((الراضي بالله)) المتوفى ٣٢٩ هـ ، وازداد الأمر سوءا ومعه الخطابة الدينية تراجعاً في عهد البويهيين ٣٢٤ هـ ، وعهد السلجوقيين ٤٤٧ هـ

**ح -** فقدت الخطابة أهم مقوماتها وهي: **حرية القول** - التي بها تحيا ، وبما أن البويهيين والسلاجقة أعاجم لم يتذوقوا جمال اللغة العربية ولم يفهموا حقيقة الدين من خلال كتاب الله الذي أنزل بلسان عربي مبين ، لذلك لم يولوا اهتماما كبيرا باللغة العربية ، فتوارت الفصاحة وتوارى البيان رويدا رويدا وعجزت الألسنة عن

المشافهة والارتجال في الخطابة الدينية ، فضعف شأنها وهانت مكانتها لفقدان تأثيرها في النفوس ، وهان معها شأن الخطيب وازدادت هوانا إذ صار الخطيب يلجا إلى الكلام أعده غيره ومن إعداده أحيانا ويلقي خطبته من أوراق مكتوبة ، واعتمد الخطيب في خطب الجمعة والعيدين على السجع المتكلف والإغراق في المبالغة ، فصارت فارغة من الروعة والتأثير ، لكن الأمر لم يستمر على هذا الحال ، فقد تبدلت الظروف السياسية والأحوال العامة حيث تعرض العالم الإسلامي إلى عدوان الحروب الصليبية فشنوا حملاتهم المتوالية على بلاد الشام ومصر وشرقاً من العراق .

## الباب الثامن

# الفصل الثالث

## خصائص الخطابة في هذه المرحلة

تميزت الخطابة في هذا العهد :

### ١ - الاقتباس من القرآن الكريم :

لتأكيد ما يذهب إليه الخطباء من حمل النفوس على الجهاد والصبر على ملاقات الأعداء وما أعدّه الله لهم من الجنة وعظيم المنزلة ،

### ٢ - الاستشهاد بالشعر :

كما فعل ((ابن نجا)) فقد كان ينشد على المنبر ما يصلح للاستشهاد به من شعره كقوله :  
وكيف بقاء عمرك وهو كنز      وقد أنفقت منه بلا حساب

وكما في خطب ((سبط ابن الجوزي )) المتوفى سنة ٦٥٤ هـ ،  
وقد طلب إليه في يوم عاشوراء أن يتحدث عن مقتل الحسين بن  
علي ؑ ، فصعد المنبر وطال صمته ثم بكى بكاء شديداً، ثم أنشأ  
يقول في غمرة البكاء :

ويل لمن شفاعؤه خصماؤه      والصور في نشر الخلائق ينفخ  
لابد أن ترد القيامة فاطمه      وقميصها بدم الحسين ملطخ

### ٣ - الإصرار على السجع والتهافت على المحسنات البيعية:

٤ - تحبير الألفاظ :

٥ - واختيار الأساليب

٥ - أشهر الخطباء في هذا العصر :

١-الخليفة المهدي

٢-هارون الرشيد

٣-المأمون

# الباب الثامن

## الفصل الرابع

### نماذج من الخطب في العصر العباسي

١ - من خطب الخليفة المهدي العباسي :

(الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ورضي به من خلقه ، أحمده على آلائه ، وأمجده لبلائه واستعينه و أومن به وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر لبلائه ، واشهد أن لا اله لا الله وحده لا شريك له ، و إن محمدا عبده المصطفى ، ونبيه المجتبي ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينة على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء وطموس العلم واقتراب من الساعة إلى أمة جاهلة مختلفة أمية ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ،

وغلب عليهم قرناؤهم ، فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيى من حيى عن بيتنة وإن الله لسميع عليم أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحثكم على إجلال عظمته ، وتوفير كبريائه وقدرته ، والانتهاى إلى ما يقرب من رحمته وينجي من سخطه ، وينال به ما لديه من كريم الثواب وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب وأليم العذاب ووعيد الحساب يوم توقفون بين يد الجبار ، وتعرضون فيه على النار .

فإن الدنيا دار غرور وبلاء وشور ، واضمحلال وزوال وتقلب وانتقال ، قد أفنت من كان قبلكم ، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم ، من ركن إليها صرعته ، ومن وثق بها خانته ، ومن أملها كذبتة ، ومن رجاها خذلتها عزها ذل وغناها فقر ، والسعيد من تركها ، والشقي فيها من آثرها ، والمغبون فيها من باع حضه من دار آخرته بها ، فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ، وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم وتندموا ، فلا تنالون الندم في يوم حسرة وتأسف

وكآبة وتلهف ، يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام ، وإن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله يقول الله تبارك وتعالى أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى لكم طاعة الله واستغفر الله لي ولكم

### - تحليل الخطبة :

تتضمن هذه الخطبة عدة أفكار :

**أولا :** حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، والشهادة لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة ، كما هو معلوم شرعا في مقدمة الخطبة .

**ثانيا :** حاجة العرب إلى رسالة محمد ﷺ لما كانوا عليه من جهالة جهلاء وضلالة عمياء ، تحكمت فيها العصبية القبلية وهانت الأنفس والدماء ، والقوي يأكل الضعيف وعداوة مستحكمة فأصلح أحوالهم ونقلهم من الظلمات إلى النور .

**ثالثا :** الوصية بتقوى الله وإنذار من عصى بعذاب الله الشديد ، وبشارة من إطاعة بجنة عرضها السموات والأرض أعدها الله لعباده الصالحين يوم يقوم الناس لرب العالمين .

**رابعا :** الإكثار من الشواهد القرآنية والتركيز على الوعد والعيد والتحذير من الركون إلى الدنيا فهي دار غرور وبلاء وشرور .

**خامسا :** عدم الركون إلى الدنيا لتقلب أحوالها ، وعدم الثقة بعطائها ونعيمها فهي إلى زوال وهي دار شرور وبلاء وغرور لا ترعى عهدا ولا تحفظ مودة كم من عزيز من أهلها نل ، وكم من غني افتقر .

**سادسا :** الحض على التوبة ، وتحقيق شروط قبولها والمبادرة بالأعمال الصالحة ، لنيل رحمة الله تعالى . لأن السعيد من ترك التعلق بالدنيا وآثر ما عند الله على ما سواه ، والشقي من باع آخرته للحصول على نعيم زائل وجاه زائف .

**سابعا :** التذكير بيوم القيامة يوم الحسرة والأسف والندامة .

**ثامنا :** الوصية في آخر الخطبة بالالتزام بكتاب الله ، فهو أحسن الحديث وفيه أبلغ موعظة ، والتذكير بطاعة الله تعالى .

**تاسعا :** الإكثار من الشواهد القرآنية .

## ٢ - خطبة هارون الرشيد الخليفة العباسي :

خطب **هارون الرشيد** قائلا : ( الحمد لله نحمده على نعمته ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ونؤمن به حقا ، ونتوكل عليه مفوضين إليه ، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بعثه على فترة من



الرسول ودروس من العلم وإدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة بشيرا  
 بالنعيم ونذيرا بين يدي عذاب أليم فبلغ الرسالة ونصح الأمة ،  
 وجاهد في الله فأدى عن الله وعده ووعدته حتى أتاه اليقين فعلى  
 النبي من الله صلاة ورحمة وسلام ، وأوصيكم عباد الله بتقوى الله  
 ، فإن في التقوى تكفير السيئات وتضعيف الحسنات وفوزا بالجنة  
 ونجاة من النار ، وأحذركم يوما تشخص فيه الأبصار ، وتبلى فيه  
 الأسرار ، يوم البعث ويوم التغاين ويوم التلاقي ويوم التنادي ، يوم  
 لا يستعيب من سيئة ولا يزداد من حسنة ، ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ  
 الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
 حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ \* يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي  
 الصُّدُورُ ﴾ { غافر : الآية ١٨ - ١٩ } ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا  
 تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ ﴾ { البقرة : الآية ٢٨١ } عباد الله إنكم لم تخلفوا  
 عبثا ولن تتركوا سدى ، حصنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع  
 وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر إن النبي ﷺ قال : (( لا  
 إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا

زكاة له )) ، إنكم سفراء مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى وعلى الهدى بالأمانة ، فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ومغفرته للتائبين وهداه للمنيبين ، قال الله عز وجل وقوله الحق : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ { الأعراف : الآية ١٥٦ } وقال : ﴿ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ { طه : الآية ٨٢ } وأياكم والأمانى فقد غرت وأوردت وأويقت كثيراً حتى أكنبتهم مناياهم فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فأخبركم ربكم عن المثالات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب الأمثال ، فرغب بالوعد وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلا فجيلا ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والشعائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ومن بين أظهركم لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا وانقطعت بهم الأسباب فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا

بالحسنى ، إن أحسن الحديث وأبغ الموعظة كتاب الله عز وجل ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ { الأعراف : الآية ٢٠٤ } أمركم بما أمر الله ، وأنهاكم عما نهى الله عنه ، وأستغفر الله لي ولكم (

### - تحليل الخطبة :

يلاحظ إن الخطبة لا تخلو من طول ، وتتضمن باقة من الأفكار :  
**أولا :** بدأ الخطبة بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله مع الشهيد .  
**ثانيا :** تشبه إلى حد كبير خطبة أبيه الخليفة المهدي وتنطوي على الأفكار نفسها تقريبا حيث تضمنت حاجة البشرية عامة والعرب خاصة إلى رسالة النبي ﷺ التي جاءت على فترة من الرسل.

**ثالثا :** الوصية بالتقوى لأنها أساس الإيمان ومفتاح النجاة عند الله ، وبها تنال رحمة الله .

**رابعا :** التحذير من كريات يوم القيامة ، والحث على طاعة الله تعالى التي بها ينال العبد الفوز بالجنة ، والحدز من المعاصي التي تهلك صاحبها وترديه في النار .

**خامسا :** الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى ضرب لعباده الأمثال ورغب عباده بالوعد ، وحذرهم بالوعيد .

**سادسا :** الحذر من أمانى الشيطان التي تقوم على الغرور والتعلق بالدنيا وذلك رأس كل خطيئة .

**سابعا :** الحث على التوبة الصادقة والوفاء بالعهود والوعود وأهمها الوفاء بعهد الله وعهود الناس لأنها أساس الدين وأداء الأمانات لأهلها وعلى رأسها أمانة التكليف التي اخذ الله ميثاقها على عباده عندما كانوا في الأصلاب .

**ثامنا :** كثرة الاستشهاد من القرآن الكريم والدعوة إلى الالتزام به ، والاعتصام بهديه .

### ٣ - خطبة المأمون الخليفة العباسي يوم الجمعة :

خطب فقال : ( الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد إن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده والعمل لما عنده ، والتنجز لوعده والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه وعمل له

وأرضاه، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بإعمالكم ، وابتاعوا ما يبقي بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جد بكم ، واستعدوا للموت فقد أظلم ، وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلمو أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت إن ينزل به ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة ، وإن غائبا يحدوه الجديان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو بالشقوة لمستحق لأفضل العدة ، فاتقى عبد ربه ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، فيالها حسرة على ذي غفلة إن يكون عمره عليه حجة أو تؤديه أيامه إلى شقوة . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تحل به بعد الموت فزعة ، إنه سميع الدعاء بيده الخير ، إنه فعال لما يريد

### - تحليل الخطبة :

يلاحظ إن التشابه كبير في خطب الخلفاء العباسيين :

- أولاً :** حمد اله والثناء عليه والتشهد وهذا من أركان الخطبة .
- ثانياً :** الوصية بالتقوى والعمل لما عند الله ابتغاء مرضاته للفوز بجنته والنجاة من ناره .
- ثالثاً :** العظة بحدث الموت لأنه قضاء مبرم على الخلائق والاستعداد لما بعده .
- رابعاً :** التحذير من الركون إلى الدنيا وزينتها لأن فتنها كبيرة ومهلكة وإنها ليست دار إقامة ، والله سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً ولم يتركهم سدى .
- خامساً :** الترغيب بالجنة والعمل لها ليكون من أهلها ، والترهيب من الغفلة عن العمل للأخرة .
- سدساً :** التحذير من خداع الشيطان وحيله فهو عدو لبني آدم يزين لهم المعاصي ليركبوها ويمنيهم بالتوبة ليؤجلها لكن الموت يباغتهم وحينئذ لا ينفع الندم وتكون أيام العمر حجة على الغافلين فيا لها من حسرة تغم صاحبها وتدفعه إلى دار الشفاء .
- سابعاً :** ختم الخطبة بالدعاء له وللمسلمين وسأل الله تعالى إلا تبطره النعم ولا تقصر به عن طاعة الله تعالى .



## الباب التاسع



# فن الخطابة في عصر الدول المتتابعة

## الباب التاسع

# الفصل الأول

## أفق فن الخطابة

### في عصر الدول المتتابعة

تنوعت الخطابة في عصر الدول المتتابعة بين الدين والحرب والسياسة والمناظرة والمواعظ والقصص الديني ، وقد كانت لهذه الخطابة مقاييس وشروط ، ومن أقصر هذه الخطب وأبلغها خطبة قطز في أمراء الجيوش في مصر حين خرج لحرب المغول في (عين جالوت) ونقتطف منها: " يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجهة ، فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته . فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين".





# الباب العاشر

## فن الخطابة

### في العهد العثماني



## الباب العاشر

### الفصل الأول

# الخطابة في العهد العثماني

#### أ- توضيح:

الخطابة فن قديم حديث استخدام من قبل الادباء لأغراض اجتماعية وسياسية ودينية عصر صدر الإسلام والعهد الراشدي



والأموي لأن معظم الخطباء في هذه العصور كانوا من ذوي البلاغة والفصاحة ولكنها في العصور اللاحقة بدأت بالتراجع لأسباب عدة وهي في عصر الانحدار والدول المتتابعة أضحت فناً ادبياً تحضر له ويكتب ويستنظره الخطباء وكذلك في العصر العثماني.

### ب- أنواع الخطب في هذا العصر:

تنوعت الخطابة في العصر العثماني وتلونت بحسب المعاش في ذلك لعصر وإن نما بعضها واطمحل الآخر ومهد هذه الأنواع: أولاً: الخطابة الدينية بأشكالها المختلفة: (خطب الجمععات - الأعياد- المناسبات الدينية) والتي كانت ترتجل أحياناً فوق المنابر مع وضوح في ضعف قدرة الخطباء على الارتجال مما دعا الكثير منهم إلى كتابة خطبة وحفظها مسبقاً ثم تلاوتها على المنبر، وقد تجد الخطيب يقرأ خطبة مكتوبة على الورق حتى أن بعض الخطباء حفظ هذه الخطب في دواوين خاصة بعدد أسابيع السنة حيث تتناول كل خطبة الموضوع المناسب والموافق للجمعة المخطوب فيها

**ثانياً:** وقد تميزت الخطابة في هذا العصر العثماني:

- أ- جمود الخطابة عند شكل محدد وثابت
  - ب- عدم اللجوء إلى الارتجال في الغالب
  - ج- عدم الحديث عن مشاكل العصر
  - د- خوف الخطباء من الزلل في خطبهم
  - هـ- متابعة سابقهم في خطبهم
  - و- توفير عناء البحث عن خطب جديدة الموضوع
- ثالثاً:** خطة الخطبة الدينية في هذا العصر: اتبعت الخطبة في هذا العصر المنهج التالي

- ١- مقدمة: حمد الله تعالى
- ٢- الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٣- عرض موضوع الخطبة
- ٤- الدعاء في الختام

#### **رابعاً: سلوك الخطبة الفني:**

- سلكت الخطبة في هذا العصر السلوك التالي:
- ١- استخدام الأسلوب المصطنع في تأدية الخطبة
  - ٢- استخدام الجمل القصيرة المصطنعة

٣- توظيف السجع في نهاية الجمل

٤- البساطة والوضوح في معاني الخطبة

٥- عدم الاسهاب في استخدام فنون البديع

**ثانيا:** خطب الكتب: وهي المقدمات التي يكتبها مؤلفو الكتب في

بداية كتبهم التي توضح

أ. دوافع وضع الكتاب

ب. طريقة بناء الكتاب

ج. غاية الكتاب

وقد اتبع الخطباء في مقدمات كتبهم طريقة ترغّب في قراءة هذه

الكتب من خلال

أ. استخدام مختلف فنون القول

ب. إثبات علو باعهم في العلم والأدب

ج. الاهتمام بصيغة هذه المقدمات

فالقارئ اول ما يستقبل من الكتاب مقدمته ومن واجب صاحب

الكتاب أن يشد القارئ لهذا الكتاب ليغيره بقراءته من هذا اختلفت

أساليب الكتاب خطب كتبهم ومقدماتها

- أ. إطالة بعض خطب المقدمة بحسب شخصية المؤلف  
 ب. إيجاز بعض خطب المقدمة بحسب شخصية المؤلف  
 ج. تنوع أسلوب الأدباء  
 د. الميل إلى الجزالة والفقامة  
 ج- تراجع الخطابة في هذا العصر
- تراجعت الخطابة في العصر العثماني تراجعاً كبيراً لأسباب عدة
- ١- بعد الخطباء عن الارتجال
  - ٢- ضعف السليقة اللغوية
  - ٣- كون الحاكم (الخليفة - الوالي) ليس من العرب
  - ٤- وضعها في قوالب جاهزة
  - ٥- الانكفاء عن إبداع الخطب
  - ٦- تدني أسلوب أداء الخطبة

أما هذا اللون من ألوان النثر، فقد كان من أهم وسائل تنمية الوعي وإنضاجه، كما كان من أهم وسائل التعبير عن الدعوات الإصلاحية في السياسة والاجتماع، ثم كان قبل ذلك كله من أبرز الفنون الأدبية التي تأثرت بالوعي، وبحركة الإصلاح في شتى

نواحيه. فالخطابة قد وجدت دواعيها، وكثرت ميادينها في تلك الفترة، بعد أن كانت في عهود التخلف قد انحصرت -أو كادت- في الميدان الديني، وفي أضيق مجالاته، وهو خطبة الجمعة وما مثلها من خطب العيدين، على أن تلك الخطابة الدينية المحصورة في هذا النطاق ضيق، كانت قد تجمدت -غالبًا-، وأصبح أغلب الخطباء يقرءون الخطبة من كتب معدة في عصور سابقة، وكثيرًا ما لا يتناسب موضوع الخطبة، ولا أسلوبها مع الموقف أو حال المستمعين، فلما كانت فترة الوعي وجدت دواع مختلفة أفسحت الطريق أمام الخطابة لتأخذ طريقها إلى أفق رحب مضيء. ففي ميدان السياسة، وجد -إلى جانب الجمعيات السياسية التي كانت مدارس الخطابة - "مجلس شورى النواب" الذي نما فيه الوعي بعد فترة من إنشائه، وأصبح بعد نحو عشر سنوات مجالًا للخطابة السياسية، التي تعارض الحكومة وتنتقد تصرفات المسؤولين، وتندد بالخدويي نفسه، وتشن حملات شديدة على التدخل الأجنبي، والحكم الاستبدادي، وتطالب بألوان من الإصلاح في السياسة والحكم والاقتصاد.. كذلك وجدت الحركة العربية، فكانت مجالًا من أهم المجالات لإنعاش الخطابة السياسية ومدتها بأخصب زاد. وكانت

أحداث سنة ١٨٨١ بخاصة، وقودًا غذى الخطابة السياسية في مجال الثورة العربية، وأمدّها بفيض من الحياة؛ فحدث قصر النيل وما صاحبه وأعقبه من مؤتمرات واجتماعات، وحدث عابدين وما مهد له وقيل فيه، ثم يوم سفر عبد العال حلمي وقواته إلى دمياط، وسفر عرابي وجنده إلى رأس الوادي، ثم ما كان بعد ذلك من حشد الشعب للوقوف في وجه العدوان الإنجليزي، والتآمر الخديوي، كل ذلك كانت الخطابة إحدى وسائله - بل أهم وسائله - في الإقناع والتحميس والتجميع والعمل.. وهكذا كانت الخطابة السياسية منتعشة في تلك الفترة من جديد، بعد أن ظلت قرونًا ذابلة، أو خامدة لا تكاد يحس لها وجود أو تدرك له حياة. وفي ميدان الاجتماع وجد عدد من الجمعيات الخيرية والاجتماعية التي اتخذت الخطابة وسيلة لبث أفكار الإصلاح، والدعوة إلى حياة أفضل، في الثقافة، والتعليم، والاقتصاد، وما إلى ذلك. وهكذا كانت الخطابة الاجتماعية - هي الآخر - إحدى وسائل الاستمالة والإقناع والعمل على الإصلاح الاجتماعي في شتى مظاهره، ومن هنا انتعشت الخطابة الاجتماعية، بل وجدت أشبه بالجديدة في الأدب المصري، الذي عرفها مع هذه المظاهر الحضارية، التي لم تكن من

موضوعات الخطابة إلا في العصر الحديث. وطبيعي ألا تكون الخطابة بألوانها المختلفة ذات أسلوب واحد في تلك الفترة، وإن كانت كل الألوان تخلصت -إلى حد كبير- من الجمود والتفاهة، وعدم مراعاة الحال، التي كانت تسيطر على الخطابة الدينية المتخلفة في العصر التركي وما تلاه.. وطبيعي أن تختلف أساليب الخطابة باختلاف ألوانها، فالخطابة السياسية تعدد كثيرًا إلى الإثارة ومخاطبة المشاعر، وتتنزين بألوان من المؤثرات العاطفية كالشعر الحماسي، والقصص الديني ونحو ذلك مما يشد مشاعر الجماهير، ثم تتحلى ببعض المحسنات كالسجع والتقسيم الذي يبعث في الكلام موسيقى، ويزيد به التأثير.. أما الخطابة الاجتماعية، فتعد أكثر إلى مخاطبة العقل واستخدام المنطق، وقد تتعرض لذكر الأرقام والحقائق المحسوسة، في لغة أشبه بلغة العلم، ومع ذلك لا تترك فرصة يمكن فيها التأثير، وجذب القلوب حتى تنتهزها بأسلوب عاطفي، قد يعتمد على الخيال، ويتحلى ببعض المحسنات ... وهذا نموذج من خطب عبد الله النديم، خطيب الثورة العرابية، والنموذج من خطبة هذا الثائر، في مظاهرة توديع أحد زعماء الثورة -عبد العال حلمي- المبعد بقواته إلى دمياط، بعد الحركة العسكرية في

عابدين والمطالبة بمطالب الشعب ... وكانت المظاهرة في محطة العاصمة قبيل تحرك القطار بالقائد وجنوده.. وفي هذه الخطبة يقول النديم: "حماة البلاد وفرسانها.. من قرأ التاريخ، وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل، عرف مقدار ما وصلت إليه من الشرف، وما كتب لكم في صفحات التاريخ من الحسنات؛ فقد ارتقيتم ذروة ما سبقكم إليها سابق، ولا يلحقكم في إدراكها لاحق، ألا وهي حماية البلاد، وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنهما. فلکم الذكر الجميل، والمجد المخلد، يباهي بكم الحاضر من أهلنا، ويفاخر بمتأثرکم الآتي من أبنائنا، فقد حيي الوطن حياة طيبة بعد أن بلغت التراقي، فإن الأمة جسد والجند روحه، ولا حياة للجسد بلا روح، وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم، ويقول:

إذا لم تكونوا للخطوب وللردى ...  
 فمن أين يأتي للديار نعيم  
 وإن الفتى إن لم ينازل زمانه ...  
 تأخر عنه صاحب وحميم  
 فردوا عنان الخيل نحو مخيم ...  
 يقلبه بين البيوت نسيم



وشدوا له الأطراف من كل وجهة ...  
 فمشدود أطراف الجهات قويم  
 إذا لم تكن سيفاً فكن أرض وطأة ...  
 فليس لمغلول اليمين حريم  
 وإن لم تكن للعائدين حماية ...  
 فأنت ومخضوب البنان قسيم

ولقد ذكرت باتحادكم وحسن تعاهدكم ما كان من رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم- عند تغييب سيدنا عثمان في أهل مكة، من مبايعة أهل الشجرة على حفظه، وصيانته -صلى الله عليه وسلم-، فصاروا يعنون بال عشرة المبشرين بالجنة" (مذكرات الثورة العرابية لأحمد عرابي ج ١ ص ٢٥٩، وما بعدها.)  
 وفي السنوات العشر الأولى للاحتلال. خفت صوت الخطابة، الذي كان قد بدأ يعلو منتعشاً في الفترة السابقة، وخاصة مع الثورة العرابية، وحين بدأت الحركة الوطنية تعود إلى اليقظة، وتتخذ سبيل النضال كانت الخطابة من أهم أسلحتها في هذه السبيل، وقد تعددت المجالات وتنوعت الميادين التي منحت الخطابة الانتعاش ثم النشاط؛ حتى شهدت تلك الفترة طائفة كانوا من أعظم من عرف

تاريخ الأدب الحديث من خطباء، كما حظي التراث الأدبي بجمهرة من أروع ما ضم هذا التراث من خطب (الخطابة السياسية، لعبد الصبور مرزوق "رسالة ماجستير").. وكان من أهم مجالات الخطابة المجال السياسي، والمجال الاجتماعي، والمجال الفضائي، أما المجال السياسي، فكان له ميدانان: ميدان رسمي يتمثل في الجمعية العمومية، ومجلس شورى القوانين ثم في الجمعية التشريعية بعد ذلك، وميدان غير رسمي يتمثل في الأحزاب، والهيئات السياسية التي كانت تناضل لتحقيق ما ترى أنه الخير للبلاد، وقد كان أهم هذه الهيئات السياسية غير الرسمية الحزب الوطني، وحزب الأمة. وعلى الرغم من أن المؤسسات الرسمية السالفة الذكر قد أقامها الاحتلال أول الأمر للتمويه بأن الأمة تشارك في حكم نفسها؛ قد استطاع المخلصون من الوطنيين أن يتخذوا منها منبراً لنقد الحكومة، وفضح ألعيب الاحتلال، كما استطاعوا أن يكونوا معارضة قوية تقف في وجه كل ما يروونه ضاراً بمصلحة البلاد من مشروعات، فقد تصدوا لمشروع مد امتياز شركة قناة السويس، وهاجموا قانون المطبوعات، الذي كان الهدف منه كبت الحريات، وحملوا الحكومة على إعادة اللغة العربية لغة

للتعليم في المدارس، إلى غير ذلك من الوقفات الجريئة التي كانت الخطابة لسانها الناطق، وسلاحها الباتر ( ص ٢٩٢، وما بعدها مصطفى كامل)، الذي يعدّ علمًا من أعلام الخطابة السياسية في التاريخ الأدبي. فقد كان ذا موهبة خطابية مبكرة، من أهم مظاهرها: التمس الشديد، والتدفق المنساب، والقدرة البالغة على تحريك مشاعر الجماهير، وإلهاب عواطف المستمعين، ثم المهارة في تنفيذ حجج الخصوم، وتدعيم الرأي الذي يدعو إليه، بمزيج من الحجج العقلية، والمؤثرات العاطفية. وقد كان مصطفى كامل لا يدع فرصة إلا انتهزها، للتشهير بالاحتلال وجرائمه، ثم للمطالبة الحارة بالجلء والدستور، وتحقيق آمال البلاد. وطبيعي أن أعضاء تلك المؤسسات السياسية رسمية، لم يكونوا جميعًا من المعارضين بل كان فيهم -بحكم التنظيم الديمقراطي في ذلك الحين- ممثلون للحكومة يدافعون عن مشروعاتها أمام المعارضين، ومن هنا ظهر من الطرفين خطباء مفوهون، وكان من ألمع الخطباء الحكوميين سعد زغلول، وفتحي زغلول.

هذا في المجال الرسمي، أما في المجال الشعبي، فقد كان الميدان أرحب؛ إذا رأينا زعماء الحزبين الكبيرين يخوضون معركة النضال

أكثر جرأة، وأعظم انطلافاً؛ لأنهم لم يكونوا مقيدين برسوم ومواضيع، ولوائح تحد من نشاطهم، وتلجم بعض الشيء أسنتهم، فهم لا يتحرجون تخرج الخطباء الرسميين من التنديد بالاحتلال والهجوم على المحتلين، وإنما يوجهون جل نشاطهم إلى هذا الميدان من ميادين النضال، وليس من شك في أن زعماء الحزب الوطني قد كانوا في تلك الفترة أكثر جنود هذا اللون ممن ألوان النضال حماسة، وأقواهم شكيمة، ويأتي في مقدمة هؤلاء جميعاً وقد كانت الخطابة من أهم عوامل نجاح مصطفى كامل، بل أصبحت تشكل جزءاً من شخصيته كزعيم، ومن يومها ارتبط النجاح السياسي بالنجاح في الخطابة والقدرة عليها، وأصبحنا نرى جل الزعماء الكبار يهتمون بالخطابة ويتخذون منها وسيلة فعالة من وسائل النجاح. هذا في المجال السياسي، أما المجال الاجتماعي؛ فقد كان نشاط الخطابة فيه لا يقل عن نشاطها في المجال السياسي، لما عرفنا من أن السياسيين كانوا أيضاً أصحاب دعوات إصلاحية اجتماعية، بل كثيراً ما كان الخطيب السياسي الناجح هو نفسه الخطيب، والمصلح الاجتماعي الناجح؛ لأن هذا الجيل كان يخوض معركة نضال في عدد من الميادين، وإن كان أهمها

الميدان السياسي بطبيعة الحال، ومن هنا جال الخطباء في ميادين الدعوة وبقي مجال ثالث قد نشطت فيه الخطابة أيضًا في تلك الفترة، وهو المجال القضائي، وقد أدى إلى نشاط الخطابة في هذا المجال، ما كان من إنشاء المحاكم الأهلية في تلك الفترة، بعد أن أنشئت المحاكم المختلفة في الفترة السابقة، وبعد أن بدأت مدرسة الحقوق توتي ثمارها، وتقدم للأمة رجالًا يعتبر اللسن من أدوات صناعتهم في تلك الأحياء، وهكذا ظهر جيل من الخطباء القضائيين الرائدین، الذين درسوا القانون، واحترفوا العمل القضائي الذي كانت الخطابة من أهم وسائله، حيث عمل البعض مدعين عموميين، وعمل آخرون محامين، وهؤلاء وأولئك كانوا يعتمدون على المقدرة في الخطابة القضائية، وكانت مقوماتها تزيد على مقومات الخطابة الأخرى: المقدرة على تفسير القانون، وفهم نصوصه لصالح من يمثله الخطيب، ثم القدرة على الجدل، وإبطال أدلة الخصم، وتدعيم موقف الطرف الذي يقابله، فهي تجمع إلى مقومات الخطابة كثيرًا من مقومات المناظرة، وتضم إلى ثقافة الخطيب العامة وقدراته الخاصة، ثقافات وقدرات منطقية. وقد كان من عوامل نشاط هذا اللون من الخطابة، أن كثيرين من رجالها

كانوا في الوقت نفسه خطباء سياسيين، وربما خطباء اجتماعيين أيضاً؛ من أمثال سعد زغلول وغيره من رجال هذا الجيل، الذي عمل في المجال القضائي والميدان السياسي، والإصلاح الاجتماعي في كثير من الأحيان. وهكذا نشطت الخطابة في تلك الفترة، وإن خمدت في السنوات الأولى منها. وقد تعددت مع هذا النشاط ميادينها، وكثر النابعون فيها، ولم تكن المسألة متعلقة بالكم فحسب، بل قد شملت الكيف أيضاً، حيث لم تعد الخطابة في هذه الفترة في نفس المستوى الفني الذي كانت عليه في الفترة السابقة، والذي يتمثل في خطب رجل كعبد الله النديم، لقد عرفت الخطابة في هذه الفترة -زيادة على ما عرفته في الفترة السابقة- ثقافة أعمق وفكراً أنضج، واتصالاً بالمعارف السياسية والمباحث الاجتماعية، والمواد الدستورية والقانونية. وقد أمدتها كل ذلك بحيوية أكثر وفاعلية أقوى، ومنحتها قيمة فنية أعلى. وبالإضافة إلى ذلك كله، قد زاد بعد الخطابة عن المحسنات والزخرف، وقوى اتصالها بالأصالة والإبداع والموضوعية، ومن هنا يعتبر كثير من خطب تلك الفترة، التي خلفها مصطفى كامل، وسعد زغلول وغيرهما نماذج أدبية ممتازة للخطابة. وغني عن الإيضاح أن نقول: إن

الخطابة قد اختلفت أساليبها -بعد ذلك- باختلاف ميادينها أولاً، ثم باختلاف الخطباء وطبيعتهم وثقافتهم ثانياً. فعلى حين كان رجل مصطفى كامل يميل في خطبه إلى العاطفية والمصارحة والعنف. كان آخر كسعد زغلول يميل إلى الذكاء والمراوغة واللباقة، هذا في الوقت الذي يجنح ثالث كلطي السيد إلى الموضوعية، والمنطقية والعمق. على أن التعرف الكامل على خصائص كل يحتاج إلى دراسة مستقلة<sup>١</sup>، وحسبنا هنا معرفة الخصائص المشتركة التي تمس الخطابة بوجه عام، والتي سبق إيضاحها بما سمح به المقام في هذه السطور، ويمكن أن يقرب خصائص الخطابة السياسية هذا النموذج من خطب مصطفى كامل. قال في حفل وطني بالإسكندرية سنة ١٩٠٠: "سادتي وأبناء وطني الأعزاء، كلما جئت إلى الإسكندرية، ورأيت هذه الحياة الحقيقية التي جعلت لكم مقاماً محموداً بين بني مصر، أعود شاعراً بان في هذه المدينة الزاهرة أساتذة في الوطنية، عنهم تؤخذ دروس محبة الأوطان، ومنهم تعرف الأمة حقوقها وواجباتها، وهذا ما أخرجني في السنين الأخيرة عن الوقوف أمامكم هذا الموقف، ومناجاتكم في شؤون الوطن العزيز. ولكني أشعر بأن تبادل الميول، وانتقال العواطف الطاهرة

من فؤاد إلى فؤاد، واجتماع القلوب في وقت واحد حول آمال واحدة، وسريان روح مشتركة في المجموع العظيم، مما يزيدنا اعتقادًا على اعتقاد، وحبًا للديار على حب، ويخفف حب، ويخفف عن الوطن المقدس آلام مصائبه العظام. " .. إني أشد الناس أملا في مستقبل أمتي وبلادتي، وأرى الشعب الذي أنا منه جديراً بالرفعة والسمو، حقيقا بالمجد والحرية والاستقلال. ولولا هذا الأمل وهذا الاعتقاد، لكنت فارقت الحياة، وتركت الدنيا غير آسف على أحد، وكيف لا أكون ذا أمل، وهذه أمتي أجد فيها روحًا جديدة، وحياة صادقة، ووطنية ناشئة قوية؟ ومن منكم لا يرى ما أرى؟ هل ينكر أحد شعور الأمة بحالتها وانتباهاها من رقبتها، وقيامها من وهبتها وعملها لخيرها، وسعادتها؟! " ... قد يظن بعض الناس أن الدين ينافي الوطنية، أو أن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية في شيء؟ ولكني أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان، وأن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده، يحب وطنه حبًا صادقًا، ويفديه بروحه وما تملك يداه، وليست فيما أقول معتمدًا على أقوال السالفين، الذين ربما اتهمهم أبناء العصر الحديث بالتعصب والجهالة، ولكني أستشهد على صحة هذا المبدأ بكلمة "بسمارك"



أكبر ساسة هذا العصر، وهو خير رجل خدم بلاده ورفع شأنها، فقد قال هذا الرجل العظيم بأعلى صوته: "لو نزعتم العقيدة من فؤادي لنزعتم محبة الوطن معها (مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعي ص ١٤٦-١٤٧). ...". ولعل مما يزيد الأمر إيضاحاً، هذين النموذجين الآخرين للخطابة القضائية في تلك الفترة، وأولهما جزء من مرافعة ثروت حين كان ممثلاً للنيابة في قضية اغتيال بطرس غالي، وفيه يقول عن الورداني المتهم: ".. إن الوطنية التي يدعي الدفاع عنها بهذا السلاح المسموم لبراء من هذا المنكر، إن الوطنية الصحيحة لا تحل في قلب ملأته مبادئ تستحل اغتيال النفس. إن مثل هذه المبادئ مقوضة لكل اجتماع". وماذا يكون حال أمة إذا كان حياة أولي الأمر فيها رهينة حكم متهوس، يبيت ليلة فيضطرب نومه وتكثر هواجسه، فيصبح صباحه ويحمل سلاحه، يغشاهم في دار أعمالهم، فيسقيهم كأس المنون؟ ثم إذا سئل في ذلك تبجح وقال: إنما أخدم وطني! لأن أعتقد أن مثلهم خائنون للبلاد ضارون بها". "تَبَّأَ لتلك المبادئ وسحقاً لها، كيف تقوم لنظام قائمة مع تلك المبادئ الفاسدة؟ إن مبادئ كل اجتماع، ألا ينال إنسان جزاء على عمل مهما كان هذا

الجزاء صغيراً، إلا على يد قضاة اشترطت فيهم ضمانات قوية، وبعد أن يتمكن من الدفاع عن نفسه، حتى ينتج الجزاء النتيجة الصالحة التي وضع لها من حماية الاجتماع، فإذا كان هذا هو الشأن في أقل جزاء يلحق بالنفس أو بالمال، فما بالك بجزاء هو إزهاق الروح والحرمان من الحياة؟ "تلك مبادئ لا وجود للمجتمع إلا بها، ولا سعادة له بدونها؛ فالطمأنينة على المال والنفس هي أساس العمران، ومن الدعائم التي بني عليها في كل زمان ومكان، ولكن الورداني له مذهب آخر في الاجتماع، فهو يضع نفسه موضع الحكم على أعمال الرجال، فما ارتضاه فيها كان هو النافع، وما لم يرتضه كان هو الضار، ويريد أيضاً أن يكون القاضي الذي يقدر الجزاء، ثم يقضي به عن غير معقب ولا راد. " ... إن مثل هذا الحق لا يمكن أن يكون إلا الله سبحانه وتعالى، المطلع على السرائر، العليم بالنيات، ومع ذلك فإنه جل شأنه شرع الحساب قبل العقاب، ثم إن هذا الحق لم يتطلع إليه أحد من العالمين حتى الأنبياء أنفسهم؛ وقد أجمعت الشرائع على عصمتهم من الزلزل والخطأ. ولكن الورداني يريد أن يضع نفسه فوق كل الدرجات المتصورة، فحاكم وحكم، وقتل: "إني لترتعد فرائصي إذا تصورت

منظر البلاد، وقد فشا فيها البلاء الأكبر بفشو تلك المبادئ القاضية" ( هذه المرافعة في: الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية "عن الخطابة للدكتور أحمد الحوفي ص ٩٧-٩٨." ) ، والنموذج الثاني جزء من مرافعة أحمد لطفي حين كان مدافعاً في القضية نفسها، وفيه يقول مخاطباً الورداني ... " " ... أما أنت أيها المتهم، فقد همت بحب بلادك حتى أنساك هذا الهيام كل شيء حولك؛ أنساك واجباً مقدساً هو الرأفة بأختك الصغيرة، وأمك الحزينة، فتركتهما تبكيان هذا الشباب الغض، تركتهما تتقلبان على جمر الغضا، تركتهما تقلبان الطرف حولهما، فلا تجدان غير منزل مقفر غاب عنه عائلته، تركتهما على ألا تعود إليهما، وأنت تعلم أنهما لا تطيقان صبراً على فراقك لحظة واحدة؛ فأنت أملهما ورجاؤهما. "دفعك حب بلادك إلى نسيان هذا الواجب، وحجب عنك كل شيء غير وطنك، فلم تعد تفكر في تلك الوالدة البائسة، وهذه الزهرة اليانعة، ولا فيما ينزل بهما من الحزن والشقاء بسبب ما أقدمت عليه، ونسيت كل أملك في هذه الحياة، وقلت: إن السعادة في حب الوطن وخدمة البلاد، واعتقدت أن الوسيلة الوحيدة للقيام بهذه الخدمة هي تضحية حياتك، أي أعز شيء لديك ولدي أختك

ووالدتك؛ فأقدمت على ما أقدمت راضياً بالموت لا مكرهاً، ولا حباً في الظهور، أقدمت وأنت تعلم أن أقل ما يصيبك هو فقدان حريتك، ففي سبيل أمتك بعث حريتك بثمن غال.

"فاعلم أيها الشاب أنه إذا اشتد معك قضاتك -ولا إخالهم إلا راحميك -فذلك؛ لأنهم حذقة القانون، وهذا هو السلاح المسلول فوق رأس العدالة والحرية، وإذا لم ينصفوك -ولا أظنهم إلا منصفيك- فقد أنصفك ذلك العالم الذي يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبه بنية الإجرام، ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك، وسواء وافق اعتقادك الحقيقة أم خالفها، فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها. "وإن هناك حقيقة عرفها قضاتك وشهد بها الناس، وهي أنك لست مجرمًا سفاكًا للدماء، ولا فوضويًا من مبادئه الفتك ببني جنسه، ولا متعصبًا دينيًا؛ وإنما أنت مغرم بحب بلادك هائم بوطنك. "فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى، فإن صورتك في البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك، وتقبل حكم قضاتك باطمئنان، واذهب إلى مقرك بأمان" ("عن الخطابة للدكتور الحوفي ص ١٠٥-١٠٦".)

الباب الحادي عشر  
فن الخطابة  
في العهد الحديث

توفرت للخطابة في هذه الفترة عوامل عديدة دفعت بها أشواطاً في سبيل الرقي، حتى تجاوزت مرحلتي الانتعاش والنشاط إلى مرحلة التآلق والازدهار، وبرغم أن أهم أنواع الخطابة في هذه الفترة كانت الأنواع السياسية، والقضائية، والدينية والاجتماعية -وهي الأنواع التي عرفت من قبل- فقد ارتقى كل نوع من تلك الأنواع رقياً ملحوظاً بما أتاحت له ظروف تلك الفترة من عوامل الرقي، ووسائل الازدهار.

## الباب الحادي عشر

### الفصل الأول

### الخطابة السياسية

أما الخطابة السياسية، فقد أتيح لها هذا الشعور الشديد بالحرية، والاعتزاز البالغ بالأوضاع الديمقراطية، مما أعقب ثورة سنة ١٩١٩، كما أتيح لها النشاط السياسي الزائد، والصراع الحزبي العنيف، مما أعقب نيل البلاد للاستقلال الشكلي، وفوزها بالدستور الشهيد، ثم فتحها للبرلمان المضطهد، وغرقها في الحزبية المتناحرة.

وقد كانت كل هذه العوامل مما منح الخطاب السياسية مزيدًا من النشاط ومزيدًا من التجويد، حتى ازدهرت في المجالين الرسمي، وغير الرسمي كما لم تزدهر من قبل.

ففي المجال الرسمي -الذي كان يتمثل في البرلمان- كانت الخطابة السياسية وسيلة الحكومة لبسط خطتها، والإقناع بسياستها والدفاع عن موقفها، وكسب الثقة بها، كما كانت الخطابة أيضًا وسيلة المعارضة ضد الحكومة، في تنفيذ ما ترسم من خطة ونقض ما تتخذ من سياسة، وإضاعة ما تنال من ثقة.

وفي المجال غير الرسمي -وهو أفسح المجالات- كانت الخطابة السياسية من أقوى وسائل الأحزاب في كسب الأنصار، وهزيمة الخصوم ومحاولة الوصول إلى الأهداف، فالحزب غير الحاكم، كان يعقد الاجتماعات السياسية، ويقيم المؤتمرات الشعبية، ليعرض أخطاء الحكومة، ويبسط أهدافه في السياسة، ويسرد وعوده إذا حكم، كل هذا على أسنة الخطباء المحاولين لكسب الجماهير بالكلمة المنطوقة الآسرة.

وفي كثير من الأحيان كان يحاول خطباء الحزب الحاكم -أو الأحزاب الحاكمة- أن يدافعوا عن سياسة الحكومة، وأن يبرروا



مسلکہا، ویسندوا وضعها، كما كانوا يحاولون تضخيم أخطاء خصومهم، وتشويه مسلك معارضيتهم، كل هذا في مؤتمرات واجتماعات، تصل أحياناً إلى حد الطواف بالبلاد والتوجه بالحديث إلى الجماهير، التي إن لم تحتشد حشدتها السلطات قسراً!! ومن هنا ازدهرت الخطابة السياسية، وأصبحت من أهم الأسس التي يقوم عليها الساسة، ويوزن بها رجال الحكم، حتى ليكون قسط كبير من نجاحهم والتفاف الجماهير حولهم راجعاً إلى قدرتهم الخطابية.

غير أنه يلاحظ أن هذا النوع من الخطابة كان يعتمد غالباً على تجميل الصياغة وإحسان الأداء، وقوة التلاعب بعقول الجماهير، عن طريق التأثير الحسي والتحايل اللفظي، فكان الخطباء السياسيون -في الأعم الأغلب- أحد رجلين: الأول رجل حكم، يبسط خططاً لا ينفذ منها إلا أقل من القليل، ويعطي وعوداً لا يوفي من بينها إلا بالنزر اليسير، وكل همه أن يدافع عن وضعه ووضع حكومته بالحق حيناً، وبالباطل في كثير من الأحيان، والثاني رجل معارضة، غايته أن يزحزح الحكومة القائمة، وهدفه أن يسقط الحزب الحاكم، وذلك لكي يثبت حزبه، وتتولى الحكم جماعة من

فريقه، وكان ذلك كله يبعد بالخطابة السياسية كثيرًا عن دقة الصدق ونبيل الهدف، ويدنيها أحيانًا من خداع البهرج وتضليل الشعوب، ومن هنا كانت أهم أدواتها هي تلك الأدوات المتصلة بإثارة العواطف، وأبرز سماتها هي تلك السمات المرتبطة باللعب بالمشاعر، فكانت تعتمد قبل كل شيء على العبارة الرنانة، والحملة المنغومة واللفظة التي ترتبط بمعناها مشاعر الجماهير، كألفاظ الاستقلال والحرية، والدستور والديمقراطية، والبرلمان والشعب، والجهاد والاستشهاد، وما إلى ذلك.

هذا وقد كان أبرع الخطباء السياسيين في أوائل تلك الفترة، خطيبًا عرفناه في الفترة السابقة من أبرز خطباء الجمعية التشريعية، ثم أحد زعماء الثورة المصرية التي ختمت بها تلك الفترة، هذا الخطيب هو سعد زغلول، الذي وصل إلى الذروة في الخطابة السياسية - بالمفهوم الذي كانت تعنيه السياسة في ذلك الحين - فقد عرف بقدرة فائقة على التأثير وكسب المواقف عن طريق الكلمة الملقاة في الجموع سعد زغلول لعباس العقاد ص ٥٧٥ وما بعدها، وعرفت له وسائل فريدة في هذا الشأن، تشخص في جملتها أهم سمات الخطابة السياسية في ذلك الوقت، وقد اعتبر سعد لذلك

النموذج لخطباء السياسة، حتى إن معظم الخطباء السياسيين بعده قد تأسوه، وبلغ ببعضهم الافتتان به أن قلدوه حتى فيما عيب عليه من خصائص لا تتفق والخطابة الممتازة، فقد كان سعد مثلاً يقطع الجمل إلى كلمات، أو تراكيب يقف على آخر كل منها بالحركة، فجاء بعض الخطباء السياسيين بعده وساروا على الطريقة نفسها، وكان سعد كذلك يوشي خطبه بالسجع، وخاصة الخطب المعدة، فجاء بعض المفتونين بسعد وطريقته، ونهجوا النهج نفسه، بل بالغوا فيه كثيراً، ونجد صورة لذلك في خطب مطصفي النحاس التي كان كثير منها أجزاء جمل - أو كلمات - مقطعة، يسيطر عليها سجع فيها كثير من التكلف والافتعال.

وكان من أنبه الخطباء السياسيين - بعد سعد - مكرم عبيد، الذي كان من أهم خصائص خطبه، اللجوء إلى الاقتباس من القرآن الكريم، وقد كان مكرم في ذلك ماهراً أشد المهارة، حيث كان مسيحياً شأنه إلا تكون له صلة بالقرآن الكريم، فاستشهاده بكتاب الإسلام الأول واقتباسه منه، يجذب إليه مشاعر الجماهير المسلمة الغفيرة، ويحملها على الإعجاب بثقافته وسماحته وأخوته!! وقد كان مكرم يتأسى هو الآخر خطى سعد في السجع، وكان يلتزم هذا

السجع في بعض خطبه التزامًا، ويتفنن فيه تفننًا، حتى يجعل بين السجعات الرئيسية سجعات فرعية، ولكن ذلك كله مع ذكاء وفن ومهارة، تبعد به كثيرًا عن المزالق التي تورط فيها بعض من قلدوا سعدًا دون أصالة.

وفي النصف الثاني من تلك الفترة، ومع نشأة جيل جديد من السياسيين، نجد طائفة من الشباب تلمع في ميدان الخطابة السياسية، ولا تلتزم طريقة سعد ولا طريقة السياسيين القدماء عمومًا، في الميل إلى إثارة العاطفة والتلاعب بالمشاعر، والجنوح إلى المحسنات التي في مقدمتها السجع؛ وإنما تميل هذه الطائفة من الشباب كثيرًا إلى مخاطبة العقول والإشارة إلى التاريخ، وخاصة تاريخ الثورات والحركات السياسية الناهضة، كما تعتمد إلى بسط الحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كل ذلك في دقة ووضوح وترسل، دون إغفال لجوانب الحرارة العاطفية، والتدفق الخطابي الأسر، وكان يمثل هذا النوع أحمد حسين، وفتحي رضوان.

وإذا كانت الخطابة السياسية قد ازدهرت ازدهارًا مشويًا بكثير من العيوب التي فرضتها روح الفترة -وهي روح الصراع السياسي-

فإن الخطابة القضائية قد ازدهرت ازدهارًا خالصًا، وارتقت رقيًا ساميًا، حتى اكتملت أهم مقوماتها ورست أقوى دعائمها، واصبحت منذ تلك الفترة من جملة التقاليد القضائية الرائعة.

وقد تضافرت عوامل مختلفة، على منح الخطابة القضائية هذا المستوى الرفيع. وكان في مقدمة هذه العوامل، استقرار تقاليد القضاء الوطني بعد استكمال مراحلها وسيره نحو تمام تمصيره، ثم ظهور جيل من رجال القضاء الممتازين -بعد جيل الرواد- يجمع إلى الثقافة القانونية المستوعبة قدرة بيانية، وخطابية رائعة، وذلك لما لهم من صلة وثيقة بالتراث العربي وعيون أده، كذلك كان من أهم العوامل التي منحت الخطابة القضائية الازدهار، والرقي في تلك الفترة، ما كان من ممارسة رجال القضاء لعدد من القضايا الكبرى، التي خلفتها طبيعة المرحلة، بما حفلت به من معارك سياسية ووطنية، فقد كانت هذه القضايا فرصة للقضاء المصري ليمارس عمله على مستوى رفيع، وكانت الخطابة القضائية من أهم وسائل القضاء في تلك القضايا، حيث كانت سلاح المعركة للدعاء، والدفاع على السواء.

وقد كانت الخطابة القضائية في تلك الفترة تعتمد كثيرًا على قوة الحجة، ودقة الفهم للنصوص، وبراعة التفسير للمواد، وسعة الإلمام بالقانون، ووفرة الاطلاع على التاريخ، هذا بالإضافة إلى إحكام العبارة وجمال الصياغة، وروعة التصوير وقوة التأثير، كذلك كانت أميل إلى الترسل وأبعد عن المحسنات، بخلاف ما كانت عليه الخطابة السياسية، وخاصة عند سعد، ومن حاكموه.

وقد تألق من بين الخطباء القضائيين عدد وفير من أمثال: أحمد لطفي وصبري أبو علم وعبد الرحمن الرفاعي، ومكرم عبيد، وهيب دوس.

ومن أمثلة الخطابة السياسية تلك الخطبة التي قالها سعد زغلول في حفل أعضاء مجلس الشيوخ، الذي أقامه له هؤلاء الأعضاء بعد انتخابهم لأول مرة سنة ١٩٢٤، والتي يقول فيها:

"أيها السادة شيوخنا الكرام: أشكر حضراتكم على هذه الحفلة المملوءة وقارًا، وعلى هذا التركيم الجامع لأسباب البهجة والسرور، وأشعر في نفسي بخجل شديد عندما أتصور أن شخصي الضعيف هو موضوع هذا الاحتفال الشائق، وأنه المعنى بمدح خطابكم

والمقصود من ثنائكم، اعتقاداً مني أنني دون ما تصفون، ولا شك أنكم تعرفون لي من بحار فضلكم، وأنكم إنما تنظرون إلي بالنظرة العاطفة، لا بالنظرة الكاشفة، جزاكم الله أحسن الجزاء، وأقدرني على أن أستحق هذا الثناء.

"وبعد فإني أهنئكم من كل قلبي بالثقة التي اكتسبتموها من البلاد.. لأن تولفوا مجلس الشيوخ في أول برلمان في بلادنا على الطراز الحديث، وأعد نفسي سعيدة بأني أول وزير مصري لحكومة دستورية، تستمد قوتها من إرادة الشعب، وتستند في بقائها على ثقة نوابه ...

"استصبح هذه المبادئ بعد يوم واحد نافذة المفعول فينا، ويصبح أمر الكل للكل، ويشعر كل مصري أن حياته وحرية وشرفه وماله وولده، كل ذلك، تحت حماية القانون، وأن على القانون حارساً قوياً أميناً هو البرلمان، وأن البرلمان تحت حراسة أمة يقظة، والكل في ذمة الله وعنايته.

"بعد يوم واحد تجد الوزارة نفسها مسئولة أما نواب البلاد، وأن عليها أن تبرر أعمالها العامة أمامكم، كما تبررها أمام ضمائرها الخاصة، وتشعر من جهة أخرى بخفة ثقل المسؤولية الملقاة

عليها؛ لوجود قوة بجانبها تقاسمها هذه المسؤولية، كما تشاطرها النظر في إدارة أمور البلاد.

"بعد يوم واحد يحل احترام الحكومة محل الخوف منها، ويشد القرب منها بعد البعد عنها؛ إذ يستيقن الكل أنها ليست إلا قسماً من الأمة تخصص لخدمتها العامة، حسب القانون والمبادئ الديمقراطية، وأن لكل واحد حصته فيها مباشرة أو بالواسطة، فيبذل الكل جهودهم في معاونتها على القيام بمهمتها الخطيرة.

"وأكبر هذه المهمات شأنًا، وأخطرها قدرًا وأشغلها لعقلي ولبي، هي مهمة الاستقلال التام لمصر والسودان.. يتلو هذه المهمة مهمة القيام بالإصلاحات الداخلية، وحل ما عقده الماضي من المشكلات، وتذليل ما أقامته السياسات من العقبات في طريقنا، وما هذا بالهنات الهيئات.

"... فعلى الذين يحملهم فرط الحب للبلاد على تعجلنا أن يترينوا بنا ويتمهلوا؛ لأن طبيعة الأشياء تأبى الطفرة، ولكل شيء وقته ووسائله، وعليهم أن يعتقدوا كل الاعتقاد أن هناك عقولا مشغولة بهذه المهام، وعزائم معقودة على معالجتها، وأن التأخير فيها ليس قصورًا أو تقصيرًا، ولكنه جرى مع الطبيعة على حكمها. وليتأكدوا



أنا نزداد كل يوم قوة في الإرادة، ومضاء في العزم، وثباتاً في  
الخطة، وغيره على الصالح العام، فليصبروا، إن الله مع الصابرين،  
وليثقوا بنا، إننا لا نقصد إلا خيرهم، ولا نفتر طريقة عن خدمتهم،  
ولا نترك فرصة تمر حتى ننتهزها لبلوغ المراد، حقق الله أملنا،  
ووفقتنا جميعاً إلى الرشاد ."

## الباب الحادي عشر

# الفصل الثاني

## الخطابة الدينية

### في العهد الحديث

ازدهرت الخطابة الدينية في هذا العصر ازدهارًا رائعًا، ولمع في ميدانها طائفة أسهموا في الحياة العامة بخطبهم الدينية إسهامًا عظيمًا، بل أرسوا تقاليد جديدة للخطابة الدينية، حيث جعلوها تقرب من الفكر الصحيح، وتدنو من المنطق العلمي، وتمتزج بالثقافة الواسعة، هذا إلى جانب البيان المشرق والعاطفة الجياشة، والتدفق الأخاذ والروحية الشفافة.

وقد كانت هناك أسباب عديدة أدت إلى ازدهار الخطابة الدينية في تلك الفترة، ومن أهم تلك الأسباب:

- ١- تقدم التعليم الديني تقدمًا ملحوظًا، بسبب إصلاح الأزهر،
- ٢- الاهتمام بالدراسات الدينية في عدد من المعاهد العالية غير الأزهر.

- ٢- تقدم الحياة الأدبية عمومًا؛ واتجاه أعلامها -وخاصة في النصف الأخير من تلك الفترة- إلى الموضوعات الإسلامية،
- ٣- اهتمام بعض الصحف بالمناسبات المتصلة بالإسلام؛ واستكتاب كبار الأعلام في هذه المناسبات

فهذا كله قد فتح للخطباء الدينيين آفاقًا جديدة، وأمدهم ببيان حي؛ ووجه أسلوبهم الخطابي، وجهة أرقى.

٤- تأليف عدد من الجمعيات الدينية؛ التي كانت لها بدايات طيبة في التوجيه الديني والتعبئة الروحية، والتي كانت الخطابة من أهم أدوات القائمين عليها في تحقيق ما يقصدون من أهداف.

وقد لمع من بين الخطباء الدينيين في تلك الفترة عدد من الشيوخ المتأدبين المستتيرين كالشيخ المراغي، والشيخ شلتوت، كما لمع عدد من القائمين على بعض الجمعيات الدينية، ووصل بعضهم إلى حد طبع كثيرين بطريقته وخصائص أسلوبه.

وكان من أهم مميزات الخطابة الدينية في تلك الفترة ابتعادها نهائيًا عن المحفوظ من المواعظ والمكرور من القوالب، ثم اتجاهها إلى ربط الدين بالدنيا، وعدم الفصل بين الإسلام والسياسة، ثم محاولة

إبداء الرأي في أكثر القضايا الوطنية والقومية، ومعظم المشكلات المعاصرة من دستورية واقتصادية وسياسية، والبحث لذلك كله عن سند من الإسلام، أو رأي في كتاب الله أو سنة رسوله، أو مآثورات السلف، هذا من ناحية الموضوعات، أما من ناحية الأسلوب، فكان -في جملته- أسلوبًا مترسلاً جيداً، يجنح كثيراً إلى الاقتباس من القرآن والحديث، وإلى الاستشهاد بأخبار النبي والصحابة والسلف الصالح، ويعتمد في جماله على الجزالة العربية، والجملة القرآنية، والبيان الذي عرفناه عند خطباء الإسلام في عهود الازدهار، هذا مع التدفق والجيشان والحرارة العاطفية، وخاصة عند بعض زعماء الجمعيات الدينية الذين كانت الخطابة من أبرز مقومات شخصياتهم، وأهم وسائل دعوتهم.

## الباب الحادي عشر

## الفصل الثالث

### الخطابة الاجتماعية

فقد ازدهرت هي الأخرى، نتيجة لنمو المجتمع وازدياد مشكلاته وتعدد قضاياها، وخاصة بعد الاستقلال، وتغلب التيار الفكري الغربي، ثم نتيجة لتقدم الثقافة وإنشاء عدد غير قليل من الجمعيات، والهيئات التي تعني بشئون المجتمع وتهتم بإصلاحه، كالجمعيات المتصلة بقضايا الريف أو شئون المرأة، أو دعوات البر، وما إلى ذلك.

وقد كانت هناك قضايا كثيرة تشغل الأذهان، وتتبارى الألسن في نقاشها عن طريق الخطابة الاجتماعية، وكان في مقدمة تلك القضايا: قضية المجتمع بين المحافظة والتقليد، وقضية المرأة بين البيت والعمل، وقضية الإصلاح وأهم وسائله، والنهوض وأنجع طرائقه، وما إلى ذلك من قضايا اجتماعية.

وقد لَمع في ميدان الخطابة الاجتماعية طائفة ممن اتجهوا إلى الإصلاح الاجتماعي، وكانت لهم قدرات خطابية ساعدتهم على

توصيل أفكارهم إلى الآخرين، وكان في مقدمة هؤلاء الأستاذ محمد توفيق دياب، الذي كان يمثل الخطيب النموذج في ذلك الحين، حيث كانت تجتمع فيه مقومات الخطيب البارع موهوبة ومكتسبة، من لسن وحسن بيان، إلى سعة في الثقافة، واحتفال كبير بالأداء، فقد كان يعني كثيراً بالوقفة، والحركة، والإشارة وحسن التنعيم، حتى كان في بعض المواقف أشبه بممثل يؤدي دوراً، منه بخطيب يلقي حديثاً. وكان كل ذلك مناسباً للمزاج الفني للعصر الذي كان يعجب أشد الإعجاب بتمثيل يوسف وهبي، وما فيه من صنعة وجلجلة.

على أنه في الجزء الأخير من تلك الفترة ظهرت طائفة من الخطباء الاجتماعيين يعتمدون على المنطق الهادئ أكثر من الاعتماد على البيان الجزل، ويجنحون إلى التأثير في الفكر أكثر مما يهتمون بالتأثير في الوجدان، ويفضلون لغة الأرقام وبسط الحقائق، على لغة الشعر والتحليق في الخيال، وقد كان من ألمع الخطباء الاجتماعيين الذين سلكوا هذا المسلك إبراهيم سلامة، ومظهر سعيد، اللذان قد جمعا إلى المضمون الفكري، والمنهج العلمي قدرة بيانية فائقة، وتدققاً خطابياً آسراً.

وقد أدى اتصال هذا النوع من الخطابة اتصالاً مباشراً بشئون الناس، وأمور حياتهم اليومية، إلى جنوح بعض الخطباء الاجتماعيين إلى التعبيرات الشعبية والاستعمالات العامية، فجاءت خطبهم أقرب إلى لغة الشعب، مما يمكن أن تسمى معه "بالخطابة الشعبية"، أي التي تقال بلغة الشعب وتعكس روحه، وقد كان فارس هذا الميدان فكري أباطة.

ومن أمثلة الخطابة الاجتماعية تلك الخطبة التي قالها توفيق دياب بعنوان: "الشباب المصري خيوط الحاضر ونسيج المستقبل"، والتي منها قوله:

"... لا رجاء في أمة إلا أن يكون لها إيمان، ولا في شباب أمة إلا أن يكونوا مؤمنين.

"وليس المهم كيف تؤمن، وإنما المهم أن تؤمن، نعم، ولكن تؤمن بماذا؟ تؤمن بشيء أنت دونه وتريد أن تسمو إليه، تؤمن بقوة تستعين بها على ضعفك، تؤمن بباعث عظيم من بواعث الأمل وبواعث العمل، تؤمن بمثل من الأمثلة العليا تريده لنفسك فرداً ولأمتك جماعة، تؤمن بمثل عال من الشجاعة يصونك من التذلل

والخور، تؤمن بمثال عال من الكرامة يصونك عن كل مهين  
وخسيس.

"أما أنا فواحد من الذين يؤمنون بالقوة العظمى التي تجمع الصفات  
الحسنى في اسم الله، وإيماني به إيمان الضعيف بالقوي، ولكن  
حين أستمد منه القوة أحس كأني ارتفعت فوق المناعم والمتاعب،  
وفوق الفقر والغنى، وفوق الإخفاق والنجاح، بل فوق الموت  
والحياة؛ لأنني ارتكنت إلى العمد الباقي.

"... ليس مؤمناً بالله من لا يؤمن بالوطن، أليست مصر كبرى  
أنعمه عليكم؟ أجري فيها كوثره، وأسبغ عليها رزقه، وكساها من  
جماله، وجعل لها السبق في الأولين ليلحق بها المتخلفون،  
وامتحنها في الحاضرين بمنحة التخلف لتنهض فتلحق السابقين؟..  
إن من جحد نعمته، وعق كنانته، واتخذها سخرية ولعباً، فهو بربه  
من الساخرين".



## الباب الحادي عشر

### الفصل الرابع

### الخطابة الحفلية

نشط في تلك الفترة لون الخطابة الحفلية، وهو ما كان يلقي في حفلات التكريم والتأبين والاستقبال والتوديع، وما إلى ذلك من مناسبات تدور حول شخص أو أشخاص، ولا تتصل بالجماعة اتصالاً مباشراً، وهذا اللون من الخطابة قد عرف هو الآخر من قبل، ولكنه نشط في هذه الفترة التي يساق عنها الحديث، نتيجة للمتقدم الاجتماعي، ومراعاة كثير من التقاليد والمواضعات الراقية، ثم نتيجة كذلك للصراع الذي كان طابع ذلك العصر، وكان من

نتائج ظهور زعامات ورياسات عديدة، فكان أعوان تلك الزعامات والرياسات يتلمسون الفرص تلمسًا لإظهاره الحفاوة بهذا الزعيم، أو ذاك

الرئيس، ومن وراء ذلك تكون الدوافع السياسية والحزبية، وتتأجج الصراعات التي كانت تحكم ذلك العصر.

وقد كان هذا اللون من الخطابة يحكمه -غالبًا- أمران رئيسيان؛ الأول طبيعة الموقف، والثاني طبيعة الشخص الذي يدور حوله الحفل، أما طبيعة الموقف فكانت تجعل من الخطبة خطبة مدح أو رثاء مثلًا، إذا كانت القول في مقام تكريم أو تأبين، وأما طبيعة الشخص الذي يدور حوله الحفل، فكانت تلون الخطبة كثيرًا بلون فنه أو طبيعة عمله، فإذا كان من أهل السياسة صبغت الخطبة - مهما كان الموقف - بلون سياسي، وإذا كان من رجال الأدب خاضت الخطبة كثيرًا أو قليلًا في أمور الأدب، كل ذلك علاوة على كونها أساسًا خطبة تكريم أو تأبين، وعلاوة أيضًا على كون قائلها من أهل السياسة والأدب، أو من غير هؤلاء وهؤلاء.

وهكذا كانت الخطبة الحفلية تأخذ طابعًا خاصًا تمتزج فيه -غالبًا- عدة خصائص من أنواع مختلفة من الخطابة، وإن كان يغلب

عليها طابع الموقف قبل كل شيء، هذا الموقف الذي يفرضه موضوع الحفل.

وكان خطباء المحافل هم خطباء السياسة والقضاء والاجتماع، بالإضافة إلى رجال الأدب الذين كانوا يسهمون في كل هذه الأمور، أو في أكثرها بأوفى نصيب.

ومن أمثلة الخطابة الحفلية الخالصة -التي راعت الموقف فحسب- خطبة مكرم عبيد في حفل تأبين سعد زغلول، والتي يقول فيها:

"إن فقد مات سعد، وهذه الحفلة الحافلة هي حفلة الزعيم في موته، أي وربي وحفلته الأولى! وهذه الجموع الحاشدة قد جاءت لتسمعه خطيباً محدثاً. لا وربي، بل حديثاً يُرى! وهذه العيون اللوامع قد ألهبها بريق ناظريه، لا وربي، بل حرقه الذكرى! وهذا السكون، وهذا الخشوع، وهذا الجلال، إن هي إلا مظاهر العزة والعظمة للعزير العظيم فينا، لا وربي، بل ضريبة الموت فرض على كل مصري أن يؤديها مرة بعد أخرى! فقد مات من كان حياً في كل قلب وأصبحت حياته شيئاً يُتلى! وقد سكن من كان ناطقاً في كل لسان، وأصبح الكلام فيه دمعا يُرَجَى.

"لقد دارت دورة الشؤم، فشاءت أن أرثي سعدًا باكيًا نائحًا، وقد اعتاد لساني ألا يذكره إلا شاديًا صادقًا، فسامحونا إذا ألح بنا الألم فضاقت عنه مآقينا، فقد حرمنا حتى سلوة البكاء عليه في منيته، وحتى نظرة الوداع إلى جثته، وحتى خطوة التشييع في رحلته ٢، وقد كان والله يحنو على أشخاصنا في محنته، ويبكي على أمراضنا في رحمته، ولا يبغي بنا بديلًا في غربته.

"إذن وقعت الواقعة التي طالما هادنا عليها القدر، وانتزع الموت في لحظة من ضنت به الأجيال متعاقبة، وتعبت في صنعه وصوغه العظام والعبر، فكان لها عونًا على الدهر، وكان هو المدخر، إذن فقد نفذ السهم وحم القدر، ذلك الذي كنا إلى أمس ننادي به، إذا انطلق السهم إليه ارتد وانكسر، وإذا التطم الموج بصخرة عج وانحسر، وإذا امتدت إليه يد الحوادث ارتد القدر، عجبًا هل تطاول القبر إلى مكان فوق هامات البشر؟ أم أن تلك العظمة الشامخة لما لم تجد علوًا ترتفع إليه قد تواضعت، فتدانت حتى ذلك المستقر؟ سبحانك رب، بل أردت فقدرت، فمك الوجود، وإليك المفر."

ومن نماذج الخطب التي لُوت بلون المقول فيه، فأخذت طابعًا موضوعيًا خطبة طه حسين في حفل تكريم العقاد الذي كان قد أقيم له سنة ١٩٣٤ بمناسبة نظمه "النشيد القومي"، وهي الخطبة التي باها فيها طه حسين العقاد بإمارة الشعر، وفيها يقول:

".... نحن حين ندرس الشعر مضطرون إلى أن ندع ميولنا، وأهواءنا، وعواطفنا، وإلى أن نحكم عقولنا وذوقنا وحده، ونحن إذن من هذه الناحية بخلاء بالمدح، بخلاء بالثناء، لا نقدم المدح إلا بمقدار، ولا ننثي إلا بشيء كثير من الاحتياط؛ لأننا نزعم أننا أمناء على الفن، وأن النقد يضطرنا إلى أن نتجنب الغلو والإسراف، ومع هذا فإنني أريد أن أكون منصفًا مسرفًا في الإنصاف إن صح هذا التعبير، وأريد أن لا أخرج في المدح أو الثناء، ولكنني على كل حال أعلن إليكم راضيًا سعيدًا، أنني مضطر أن أثني على العقاد الشارع من غير تحفظ أو احتياط.

"لنا نحن النقاد مع العقاد مواقف، يا لها من مواقف، نختصم فيها حول المعنى اختصاصًا مرهقًا عنيفًا، ونختصم معه في اللفظ اختصاصًا نضيق نحن به ويضيق به الناس، ولكننا حين نختم معه

في معنى أو لفظ، أو حين نشطت عليه في النقد، لا نزيد على أن نعترف له أن الشاعر الفذ، ولولا أنه الشاعر الفذ لما خصمناه. "أما أنا أيها السادة فسعيد بهذه الفرصة التي أتحت لي، ومكنتني من أن أعلن رأيي في صراحة، وأن أقول -وقد يكره هذا مني كثير من الناس- مكنتني من أن أقول، بالرغم من الذين سخطوا والذين سيسخطون: أني لا أومن في هذا العصر الحديث بشاعر عربي كما أومن بالعقاد، أنا أعرف حق المعرفة وأقدر كما ينبغي نتيجة هذه المقالة التي أعلنها سعيداً مغتبطاً، أعلم هذا حق العلم، وأعلنه مقتنعاً به محتملاً تبعاته، وقد تعودت احتمال التبعات الأدبية.

"تسألونني لماذا أومن بالعقاد في الشعر الحديث، وأومن به وحده؟ وجوابي يسير جداً، لماذا؟ لأنني أجد عند العقاد ما لا أجده عنده غيره من الشعراء، وإن شئتم فإنني لا أجد عند العقاد ما أجده عند غيره من الشعراء؛ لأنني حين أسمع شعر العقاد، أو حين أخلو إلى شعر العقاد، فإنما أسمع نفسي أو أخلو إلى نفسي، إنما أرى صورة قلبي، وصورة قلب الجيل الذي نعيش فيه، وحين أسمع لشعر العقاد، إنما أسمع الحياة المصرية الحديثة، وأتبين المستقبل

الرائع للأدب العربي الحديث، إنما أرى شيئاً لا أراه عند غيره من الشعراء، تستطيعون أن تنظروا في أي ديوان من دواوين العقاد، لا أطلب منكم أن تقرأوا شعر العقاد الآن، إنما انظروا في الفهرست وحده، فسترون من هذه النظرة اليسيرة في هذه الصفحات القليلة، أن العقاد شيء آخر، وأن شعر العقاد شيء آخر، وأنه أرسل ليتحدث إلى نفوسكم أحاديث لم يتحدث بها أحد من قبل.

ثم لماذا أيضاً؟ لماذا أكبر العقاد، وأومن به وحده دون غيره من الشعراء في هذا العصر؟ لأن العقاد -أيها السادة- يصور لي هذا المثل الأعلى في الشعر الذي أحببته، وتمنيت وجاهدت في أن يحبه الشباب، هذا المثل الأعلى الذي يجمع بين جمال العربي القديم، وبين أمل المصري الحديث، هذا المثل الذي ليس محافظاً مسرفاً في المحافظة، وليس مجدداً مسرفاً في التجديد، إنما هو مزاج مقتصد منهما، هو حلقة اتصال، هو صلة خصبة بين مجدنا القديم، وما نطمع فيه من مجدنا الحديث.

"... كنا أيها السادة نشفق على الشعر العربي، وكنا نخاف عليه أن يرتحل سلطانه عن مصر، وكنا نتحدث حين مات الشاعران

العظيمان شوقي وحافظ، كنا نتحدث عن علم الشعر العربي المصري أين يكون ومن يرفعه للشعراء والأدباء يستظلون به؟ كنا نسأل هذا السؤال، وكنت أنا أسأل هذا السؤال، لماذا؟ لأنني كنت أرى شعر العقاد، على علو مكانته وجلال خطره شعراً خاصاً مقصوراً على المثقفين والمترفين في الأدب، وكنت أسأل: هل آن للشعر القديم المحافظ المسرف في المحافظة أن يستقر وأن يحتفظ بمجده، وهل آن للشعر الجديد الذي يصور مجد العرب، وأمل المصريين أن ينشط ويقوى؟ انتظرت فلم أجد للمقلدين حركة أو نشاطاً، فإذا المدرسة القديمة قد ماتت بموت شوقي وحافظ، وإذا المدرسة الجديدة قد أخذت تؤدي حقها، وتنهض بواجبها، فترضي المصريين والعرب جميعاً، وإذا الشعر الجديد يفرض نفسه على العرب فرضاً، وإذا الشعور المصري والقلب المصري، والعواطف المصرية أصبحت لا ترضى أن تصور كما كان يصورها حافظ وشوقي، إنما تريد وتأبى إلا أن تصور تصويراً جديداً، هذا التصوير الذي حمل الملايين على إكبار العقاد كما قال أحد الخطباء، إذن لا بأس على الشعر العربي والأدب العربي، وعلى مكانته مصر في الشعر والأدب.



"ضعوا لواء في الشعر في يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء:  
أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء، فقد رفعه لكم صاحبه" ١.

## الباب الحادي عشر

### الفصل الخامس

## خطب من العصر الحديث...

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرياصي

خطبة الجمعة: أسلوب الدعوة إلى الله (مجلة الأزهر ج ١٢ - فبراير ٢٠٠٣ م).

الحمد لله عز وجل وهب أصفياه الحكمة، وكتب على نفسه الرحمة: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦. ، أشهد أن إله إلا الله، وهو وحده العليم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: ١٤. وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، منحة الرحمن، وصفوة الإنسان، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. فاطر: ١٨.

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم:

لعل أهل صفة من صفات رسول الله أنه داعية إلى الله، ولذلك خاطبه ربه في محكم تنزيله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ . الأحزاب: ٤٥-٤٦ . هو يشهد بالحق ويحث عليه، وهو يبشر بالخير ويحجب فيه، وهو يحذر من الشر ويباعد عنه. وهو حين يدعو إلى الله بإذن الله، ينير الطريق ويضيء المسالك، ويفتح أمام المهتدين المحسنين أبواب الفضل الإلهي الكبير: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . المائدة: ١٥، ١٦ . ومعنى هذا أن الدعوة إلى الله ليست لعبة يتلها بها الغر والجاهل، وليست أمرا يحسنه القاصر والغافل، وليست شهوة يندفع إليها كل من عرف قشورا من الدين، أو أراد تظاهرا بين الناس، وإنما الدعوة إلى الله كالحرم الرباني الزكي، يدخله من تطهر وتدثر بالعقل والعلم والإخلاص

والاعتدال على الصراط المستقيم بلا انحراف ولا اعتساف ولا إسراف، ولذلك وكَلَّ اللهُ -تبارك وتعالى- هذه المهمة الجليلة في نطاقها العام إلى أنبيائه ورسله ومن ورثتهم والأخيار من أتباعهم الراسخين في العلم، البصراء بالحق، الخبراء بطرق الهداية في حذق ورفق، ولذلك قال اللهُ -تعالى- لخليله. ومصطفاه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨ . ولجلال الدعوة إلى الله ودقتها رسم الرحمن الرحيم لرسوله الكريم أصولها وقواعدها حتى تكون هديا ونورا، وخيرا وبراً، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق، وتبني ولا تهدم، وتعمر ولا تحطم، فقال له: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. النحل: ١٢٥. وفي هذا النص الإلهي المجيد حدّد الخالق سبحانه ثلاثة وسائل للدعوة؛ هي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ وكأنه أراد أن

يكون كل منها لمستوى من المستويات، أو لحالة من الحالات، فالحكمة هي القول العلمي الدقيق البليغ، المشتغل على الحجة المقنعة والبرهان الساطع والدليل الواضح، وكأنه وسيلة الإقناع بالحكمة تناسب الذين يطبقونها ذهنياً وفكرياً من المتعلمين والمثقفين، والموعظة الحسنة هي الكلام الرقيق اللطيف، الذي يقوي حوافز الخير وعواطف البر ومشاعر الإنسانية الرفيعة التي تعمر دنياها بالمحبة والمودة وحسن المعاملة، وكأن هذه الوسيلة تناسب جمهور الناس الذين إذا جاءتهم الموعظة الحسنة اللينة أحييت مَوَات قلوبهم، وذكرتهم بربهم، وحملتهم برقة ولطف على سواء السبيل، ثم تأتي المجادلة والتي هي أحسن، وهي المحاوراة الهادئة الرزينة التي تصور أحسن الطرق للمناقشة، بلا عنف ولا تعنت ولا شطط، وهذه الوسيلة تكون مع المخالف في الاتجاه أو الاعتقاد، وهكذا أراد الله -جل جلاله- بمن يصلح للدعوة ويقتدر عليها أن يعرف حدودها وقيودها، وأن يلتزم وسائلها الرشيدة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن، فلا ينحرف عنها ولا يجور فيها، ولا يجاوزها إلى ادعاء ما ليس له من جموح أو تطاول، بل هو يبين ويوضح ويدلل بأرق الوسائل وألطف

الأساليب، دون لُجاجة أو مهاترة أو عدوان، والله بعد ذلك هو المتصرف في عباده، المسئول عن هدايتهم، العليم بالطوايا والنوايا، ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الأنفال: ٤٣ ، وهو وحده صاحب الحق في محاسبة الخلق على أعمالهم يوم لقائه، وهو وحده مالك الثواب والعقاب، ولذلك قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ الأنفال: ٤٣ .

وإذا كان الله -جل جلاله- قد حدد وسائل الدعوة هنا بهذه الأمور التي جعلها بعيدة عن معاني الإكراه والإرغام والعدوان، فقد ذكر لنا في موطن آخر صورة من صور التطبيق للدعوة المسالمة، فإذا هذه الصورة تبدو وفيها اللين والرفق والرحمة، وذلك حينما أرسل الله موسى، وهارون إلى فرعون وقال لهما: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ، قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ، قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ، فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿ طه: ٤٣: ٤٧. وهكذا بدأت المحاوراة مع فرعون - وهو فرعون وكفى- بالقول الهادي اللين: ﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾ ، واختتمت بالسلام والأمان: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ ، ولقد روى التاريخ أن جاهلاً يدعي العلم أراد أن يتظاهر بالدعوة؛ ليرضي غروره أو يستر نقصه، فقال لأحد الحاكمين: أيها الأمير، إني سأسمعك كلاما شديدا فاحتمله مني، فأجابه قائلا: لن أحتمله منك فلا تقله، فقال الدعي في باب الدعوة: ولم؟ فأجابه: لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من هو أسوأ مني، ومع ذلك أمره باللين والتلطف، لقد بعث الله موسى وهارون وهما خير منك بلا نزاع، إلى فرعون وهو أسوأ مني بلا جدال، ومع ذلك أمرهما بقوله: ﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .

ومن بعد موسى وهارون وغيرهما يقبل شيخ الأنبياء وإمام المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- فإذا هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة في هذا الباب، فهو الذي قال: "بشروا ولا تنفروا،

ويسروا، ولا تعسروا" البخاري كتاب الجهاد ج ٦ ص ١٨٨ حديث ٣٠٣٨  
 مسلم كتاب الجهاد ص ١٧٣٢، وحينما طلب منه بعض أصحابه أن  
 يلعن المشركين أبي وقال: "إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت هاديا  
 ورحمة" مسلم كتاب البر والصلة والآداب حديث ٢٥٩٩، ولما طلب منه  
 أن يدعو على المشركين؛ ليهكوا أبي وقال: "بل أرجو أن يخرج الله  
 من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا" البخاري كتاب  
 بدء الخلق حديث ٣٢٣١ مسلم ٣ / ١٤٢٠ كتاب الجهاد، وترجم القرآن  
 عن هذه المثالية الرائعة في لين الدعوة ورحمة الداعية فقال  
 للرسول -صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ  
 لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل  
 عمران: ١٥٩.

وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
 حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨..  
 وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧  
 يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم:



يقول سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه: "أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة" البخاري ج ١ ص ١١٦ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، أي الشريعة المعتدلة السهلة الميسورة، وعماد هذا الدين الكريم هو الطهارة والصفاء، والمحبة والإخاء، والتناصح بالرفق والرحمة، والدعوة إلى الخير بالحكمة: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يونس: ٢٥.. وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

**خطبة الجمعة: ففروا إلى الله** مجلة الأزهر ج ٨، أكتوبر

٢٠٠٣م.

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

لك الحمد أيها العليم الذي لا يجهل، الحليم الذي لا يعجل، الكريم الذي لا يبخل، سبحانك، أنت المنيع الذي لا يرام، المجير الذي لا يضام، وأنت أرحم الراحمين، نشهد أن لا إله إلا أنت، خضعت لك

قلوب العارفين، وذلت لهيبتك رقاب الجبارين، فتبارك الله رب العالمين، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبداً ورسولك، الذي استعاذ بك من العين التي لا تدمع، والقلب الذي لا يخشع، والعلم الذي لا ينفع، فكان سيد المرسلين وإمام المتقين، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأغصان دوحته، وأصحابه وجنود دعوته.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٧٣، ١٧٤..

يا أتباع محمد عليه السلام!..

من عيوب المسلمين المعاصرين الذين قل اعتزازهم بدينهم، وضعف يقينهم بربهم، وخدعتهم بوارق من مدنية غيرهم، أنهم لا يتقون ولا يؤمنون إلا إذا جاءتهم الشواهد من الخارج، ووردت إليهم البراهين على صحة الدين من المثقفين المدنيين، أو الناهلين من حضارة الأوربيين، فلو سمعوا من الواعظ الديني مائة

خطبة يذكرهم فيها بالله، ويدعوهم خلالها إلى حماه، لما اتعظوا بها، ولا استجابوا لها، ولكنهم لو جاءتهم الموعظة من رجل مدني، أو من جو أوربي، لسارعوا إليها مصدقين معجبين، ومع ما في هذا من مخالفة لقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ { النساء: الآية ٦٥} النساء:

٦٥.. فنحن نريد أتباعا للحكمة في الدعوة، واحتياالا في التحذير من الضلالة، أن تأتيهم بالشواهد التي يريدون.

هذا رجل شرقي عظيم، له من بيته وعمره وثقافته ما يجعله خبيرا بالمشكلات دارسا للحضارات، يرحل إلى أوربا ويقضي في أرجائها شهورا، ثم يعود فيقول لنا في وضوح وتأکید: إن أبناء الحضارة الحديثة قد آمنوا أخيرا، وبعد طول المطاف بأنه لا سلام إلا بالله، ولا سعادة إلا بالرجوع إلى الله، ولا استقرار إلا بالثقة في دين الله؛ لأن الرجوع إلى الله واليقين به والاحتماء بلوائه هو الذي سيقضي على الحروب المهلكة والشيوعية البشعة، وسيزيل الفقر الشائع والمرض الذائع من بين الأحياء، ومعنى هذا أن عمالقة البشر في العالم الحديث، الذي هتكوا أسرار الطبيعة، واستخدموا كل شيء

تحت أيديهم، واستمتعوا بكل لذة تريدها الأجساد، لم ينعموا بذلك ولم يسعدوا، فرجعوا نادمين، وعادوا إلى ربهم تائبين، وقرعوا بابَه هاتفين:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف: ٢٣. وهذا كاتب معاصر يزور في الأيام الأخيرة "باريس" مدينة النور والفجور، وموطن المواخير والخمر ومصدر كل لذة، ومثيرة كل شهوة، وصاحبة التاريخ الطويل الثقيل في العبث والمجون، فإذا بالكاتب يراها كما وصفها وقد صحت من غفوتها، وأفاقت من غمرتها، وتابت وأتابت، فصار فيها من يعنى بأمر الأخلاق، ومن يذكر بجلال البارئ الخلاق؛ لأنهم عرفوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأعطتهم المحن المتلاحقة والنكبات المتلاصقة دروساً لا تُنسى تعلموا منها أن الاعتماد على قوة الأرض، والاعتزاز بسلطان الإنسان، باطل وزور، وأن الخير كل الخير في الإيمان بالله الذي إليه تصير الأمور!..

وهذا سباح مصري عالمي، وهو ضابط رياضي مثقف، درس ورحل، واختلط بهؤلاء وأولئك، وخالط المدنية الحديثة والحضارة الغربية المعاصرة، ولم ينشأ في رحاب ديني أو وسط "سني"، وقد

أراد أن يكسب لأمته فخرا يرفع رأسها بين الأمم في ميدان الرياضة التي يدعو إليها الإسلام، ويحرض عليها؛ لتكون إعدادا للجندية المجاهدة في سبيل الله، فعبر بحر "المانش" الرهيب الصاخب من الشاطئ الإنجليزي إلى الشاطئ الفرنسي، وتعرض لأهوال البحر ومخاوف الغرق، وطغيان الأمواج وتأثير الأملاح، وذبذبات المد والجزر، وبرودة الجو ووحوش الماء، وكان كلما خارت منه القوى، وأحرق به الخطر، وداعبه اليأس والقنوط، لا يلجأ إلى قوارب النجاة ولا يستعين بمن خلفه من مراقبين، ولا يعلن فشله وإفلاسه، بل كان يلجأ إلى سلاح أقوى وأعلى، ويستمد العون والمدد من مصدر أغنى وأسمى، كان يستلهم النصره والتأييد من ربه العزيز المجيد، فكان كما أذاعت الأنبياء يتلو القرآن الكريم وسط الأمواج بصوت مسموع، ويناجي ربه بدعاء مرفوع، وكان كما يقول كلما تلا آية أو ردد دعوة، ازداد قوة وامتلاً همّة، وأيقن أنه سيصل وسينتصر بفضل الله، وقد كان، فوصل، وانتصر، وقرر أن الفضل في الانتصار يرجع إلى عون العزيز القهار، وكذلك تكون قوة الإيمان بالله في الإنسان، تقرب له البعيد، وتيسر له العسير، ولا عجب فقد وصل سببه برب الأسباب، وألقى عبئه على أقدس

جناب: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ الطلاق: ٣.. أليس في هذه الأدلة والشواهد ما يكفي المعرض عن الله، أو البعيد عن حماه؛ لكي يرجع ويرتدع، ويتوب ويثوب ويشاهد نور ربه في كل مكان، ويراقب جلاله في كل زمان، ويطيل التفكير فيما أراده "المسلم" الحكيم حين قال: الحق ليس بمحجوب عنك، إنما المحجوب أنت عن النظر إليه؛ إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر، وهو القاهر فوق عباده، بل ويهتف من الأعماق كما هتف الواصل الأول يناجي ربه قائلا:

ذكرتك لا أني نستك لمحة... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني  
يا أتباع محمد عليه السلام..

حقيقة إن الفكرة الإسلامية قد حوربت بأيدي أعدائها، بل وتناول على جلالها بعض الطاغين الذين يعدون أنفسهم من المسلمين، فهتكوا حرمة القرآن، ونكلوا بأشبال الإيمان، وتجرعوا على حمى الرحمن، وهتكوا حرمان كانت بالأمس عزيزة مصونة، وارتكبوا في

تتكيلهم بالمجاهدين في سبيل الله الناشئين في طاعة الله، ماتم ومظالم تضج من هولها أرجاء السماء، وقد زلزل كثير من الناس أمام هذا التنكيل الطاعي زلزالا شديداً، وظنوا بالله الظنوناً، ولكن الثابتين على العهد، الصادقين في الوعد، يؤمنون بأن الإسلام يقوي على المحن، ويشتد رغم طغيان الزمن، ولولا شهداء سقطوا في سبيل الله، ودماء زكية طاهرة سالت دفاعاً عن كلمة الله، وغزوات ابتلى فيها صبر المسلمين أشد الابتداء، وأعداء من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين والمخادعين، يتربصون بالمسلمين الدوائر، لولا هذه الظروف كلها لما ظهر نور الإسلام ساطعاً وأضاء من خلال الظلمات: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي

بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١..

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

الحج: ٧٨.. واستعذبوا في سبيله العناء والبلاء، فإن الله لا يضع

أجر العاملين: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ المائدة:

٨٨.. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

النحل: ١٢٨. كان عليه الصلاة والسلام يدعو فيقول: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك. لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون" البخاري ٨ / ٨٦، ٩ / ١٤٣، ١٦٢.

## خطبة الجمعة:

**بين محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه**

مجلة الأزهر، ج٣، مايو ٢٠٠٥ م.

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

حينما ندرس شخصية محمد -صلوات الله عليه- من جوانبها المختلفة، نعلم أن المثل الأعلى الذي يتجلى لكل طامح إلى المفاخر، أو طامع في معالي الأمور، وما نريد حين نجلي ملامح هذه العظمة المحمدية أن نضيف إلى صاحبها شرفاً جديداً، فليس



بعد تكريم الله تكريم، ولكنها أنفسنا نحن التي نبحت لها عن الخير، ونطلب لها المزيد من التربية والتهديب، وليس كالقدوة الحسنة في الإغراء على التشبه والمضاء.. وما نريد أن نغلو في شأن رسولنا كما غلا سوانا، فإننا لنعلم أولاً أن الله أعلى وأكبر، وأن محمداً بشراً، قيل له من قبل: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾

{ الزمر: الآية ٣٠ } .

وقيل عنه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ { آل

عمران: الآية ١٤٤ } .

ولو أن هذه العظمة اقتصرت على شخص صاحبها، فلم يستفرض نورها هنا وهناك، ولم تلق ظلالها الطيبة على هذا وذلك، لما شغلت التاريخ بهذه الصورة، ولما بقيت لها هذه الروعة الدائمة وذلك البهاء الموصول، ولقال القائل: وما نفع كنز عظيم لا ينال الناس منه خيراً؟ وما قيمة محيط واسع لا يجد الراغبون إليه سبيلاً؟ ... ولكن محمداً -صلى الله عليه وسلم- هو الذي هتف:

"ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط"، ولذلك كانت عظمته لغيره قبل أن تكون لنفسه، وكأنما خلق الله رسوله على عينه، وجمع له أطراف المحامد والمكارم؛ ليظهر فيه سر النبوة وسمو الرسالة، ثم أتاح لصفيه [وخليله] بعد ذلك أن يفيض من هذا النبع الذي لا يغيض، على من حوله ومن يأخذون عنه، والرسول حينئذ لا يستطيع أن يخلق من هؤلاء الأتباع صورًا مطابقة كل المطابقة لشخصه وذاته، وإلا لصار هؤلاء الأتباع رسلا مثله؛ فليس له إلا أن يهيئ لكل واحد منهم ما يناسبه ويلائمه، فيغترف من حوض الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما استطاع، ومن هنا رأينا العظمة المتجمعة في شخص محمد -صلوات الله عليه- تتفرق في أشخاص أصحابه، وفي خلفائه الراشدين -رضوان الله عليهم أجمعين- بوجه خاص؛ فهذا أبو بكر مثلاً يرث عن رسوله نور اليقين والإيمان، ويقوي عنده هذا النور حتى يسطع فيبهر.

وهذا عمر يرث عن رسوله حسن التدبير وعمق التفكير وصواب النظر وأصالة الرأي، حتى ليقول فيه المصطفى: "إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٩ ص ٦٦، وحتى يستطيع عمر إبان خلافته أن يسوس دولة ما ساسها قيصر

من قبل أو شاه، وأن يجتهد في أمور الدين والدنيا، فيهديه ربه إلى فض مشكلات وحل معضلات ما كان يقتدر عليها لولا أنه تخرج من مدرسة النبوة التي تفيض بالهدى والرشاد.

وهذا عثمان يرث عن رسوله رقة الطباع ودمائة الأخلاق وشدة الحياء، حتى يستحيي من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله، وحتى يقول فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم: "أصدق أمتي حياءً عثمان" ١، وإنه ليدخل على الرسول فيستحيي الرسول منه، فتسأله عائشة عن سبب ذلك، فيقول: "ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟" ١ المسند ج ٣ ص ٢٨١. وهذا علي يرث عن رسوله زهده وتقشفه، حتى تهون في نظره أعراض الحياة وأغراض العيش ولذائذ الدنيا فيصرخ في وجه الدنيا قائلاً: "يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوقت؟ هيهات، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن، آه من طول الطريق، وقلة الزاد ووحشة السفر".

وهنا ناحية أخرى.. أن القائد يجب ألا ينفرد بالسلطان والمجد، وألا يستأثر بالرأي يستحوذ عليه، أو الثناء يستبد به، وكم من أناس هيأت لهم الأقدار أن يبلغوا مناصب القيادة والرياسة، فخيّل إليهم أنهم قد صاوروا في الكون آلهة، وما من إله إلا إله واحد، فلا

يقضى أمر إلا بكلمتهم، ولا يوجّه مدحٍ إلا إلي ذاتهم، ولا يسبح مسبح إلا بحمدهم وشكرانهم، وإن قلوبهم الحاقدة الحاسدة لتتميز من الغيظ وتتقطع من الغل إذا رأوا شخصا غيرهم فعل مكرمة أو استحق تمجيدا، أو بدأ نجمه في الظهور والسطوع، وإنهم ليبذلون كل شيء لكي يقضوا على كل نابغ أو ناهض؛ ليضمنوا البقاء لأنفسهم، وليرضوا شهوة الأنانية المتعمقة في جذور طباعهم، وأف لزمان تفنى الجماعة فيه؛ ليعيش القائد، وتذل الأمة؛ ليعز فرد على أنقاض أبنائها! وعلى العكس من ذلك كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام. لقد بعث محمد عظمته في صحابته، وشاركهم فيما منحه الله من صفات وبركات، فحفظ للصغير حقه قبل الكبير، وشاور قومه في الجليل والقليل، وأعطى كلا منهم نصيبه في التحية والإكرام، وأظهر تقدير كل عامل، وأعلن شكران كل فاضل، وما من مكرمة جرت على يد صحابي إلا فرح لها الرسول، كأنها جرت على يديه، وهكذا يكون القائد الرحيب الأفق المتفتح النقي الضمير الطاهر الشعور.

وها هو ذا يمجّد أصحابه عامة فيقول: "الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن

أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه" الترمذي ٣٨٦٢ ج٥ ص ٦٩٦ وقال: حديث غريب، المسند ج٥ ص ٥٤، ٥٧.

نستفيد من هذا أن الأمة يجب أن تهتدي بهدي قائدها وراعيها، حتى تتجلى مواهبه في أفرادها ونواحيها، فيصبح كل إنسان عظيما في ناحية أو عدة نواحٍ، فتكثر الأيدي القوية العاملة؛ وأن القائد يجب ألا يكون أنانيا يستحوذ على الفضل والخير كله، بل يقدر العاملين، ويهيئ فرص النبوغ للنابعين، حتى تتبارى الكفايات

وتظهر العبقريات ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ {

المطففين: الآية ٢٦} . وليس بعد أمة محمد أمة؛ لأنها

﴿ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٠] . وليس مثل

محمد قائد أو زعيم؛ لأنه رحمة الله للعالمين، فلم يبق إلا المسير،

فمتى يكون؟

## خطبة الجمعة: تمهيد الشباب

مجلة الأزهر ج٥، يوليو ٢٠٠٥م،

لفضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ: علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، دعا إلى القوة وحذر من الضعف:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، خير من جمع بين

قوة الحس وظهره النفس، فكان إمام المصلحين، فصلوات الله

وسلامه عليه، وعلى آل الطاهرين، وأصحابه القانتين، وأتباعه

المجاهدين: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

لا يمكن لأمة أن تحيا كريمة عالية، دون أخلاق فاضلة سامية،

ومكارم الأخلاق هي عماد الأفراد والشعوب، ولذلك كان من

الأهداف الأساسية للنبوات والرسالات دعم هذه الأخلاق، حتى قال

محمد سيد الخلق: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" الموطأ

ص ٥٦٤ حديث رقم ٨ كتاب حسن الخلق.. وفي ظلال الأخلاق الفاضلة تندفع الأفراد والجماعات إلى حياة متماسكة، فيها صحة أبدان وقوة عقول وعلو همم، وفيها اعتزاز بالفضيلة وحرص عليها، وحمل على الرذيلة ونفور منها؛ وقد ابتلينا بمجموعة من الشباب كأن الشيطان الرجيم قد استقرهم حسا ونفسا، فهو يبثهم بين الناس؛ كي يحققوا ما يبغى لهم من خسارة وبيوار؛ هذه المجموعة تتمثل في أولئك الرقعاء المائعين أشباه الرجال الذين يتحلون بالمظاهر التي لا تليق بالرجال، فهم يلبسون الثياب الملونة والسراويل الضيقة، ويضعون السلاسل الذهبية حول أعناقهم، والأساور في أيديهم، ويتسكعون في الشوارع، يعبثون ويفجرون ويعتدون على النساء والفتيات، ويرددون أقدر الألفاظ، ويمشون مترنحين كأنهم خارجون سكارى من ماخور أو حانة خمور.. ومن المضحك المبكي أن هؤلاء الشبان يصفون الذين ينصحونهم أو يدعونهم إلى الرجولية والحياة المتماسكة بأنهم من أنصار القديم... ورحمة الله ورضوانه على كثير مما فقدنا من هذا القديم، فأين عفة هذا القديم؟ وأين جهاد هذا القديم؟ وأين تماسك الأسرة في القديم؟ وأين صيانة الأعراض في القديم؟ وأين نشأة التدين والإيمان والقوة التي

كانت في القديم؟.. سلاما سلاما على كثير من ذلك القديم، وسبحان من يحيى العظام وهي رميم.. الحق أننا خسرنا الكثير حين أعلننا الحرب على هذا القديم دون أن نفرق فيه بين فاسد وسليم، وبين ما يصح أن يترك وما يجب أن يسان، وفي حربنا القديم تركنا ذخائر نفائس.. تركنا الفضيلة؛ لأنها شيء قديم، ونسينا معنى الشرف؛ لأنه شيء قديم، وهزئنا بالقيم الفاضلة، والمبادئ الأخلاقية؛ لأنها شيء قديم، وأصبحت الفضولية الوصولية والإباحية من القيم الجديدة في العالم الجديد..

وهذا مثل من أمثلة هذه القيم، وهو مثل مخجل - إن كان قد بقي في الدنيا من يخجل - فقد سئل أحد هؤلاء الشباب المائعين حين تعرض لبعض الفتيات بما لا يليق أترضى أن يرتكب شاب مثل هذه الوقاحة مع أختك؟ فأجاب: أختي حرة تفعل ما تشاء!.. وهذا مبلغ الغيرة على الحرمات والأعراض إن كان قد بقي مكان للغيرة بين أشباه الرجال.. ومن الواجب هنا أن ننص على أمر له أهميته وقيمته، وهو أن هؤلاء الشبان المتميعين قد اشترك في إفسادهم أمران: سوء تربيتهم وإعدادهم من جهة وانتشار التبرج الفاجر بين النساء من جهة أخرى، وليس من السهل على الشاب أن يرى



أمامه لحوم النساء عارية فاتنة صارخة، ثم يستمسك بعفته وفضليته، فإذا كنا نريد الاستقامة في الإصلاح، فلنؤدب هؤلاء الشباب أولاً، ولنعلّم العفة والوقار للنساء والبنات ثانياً، وإلا فلا فائدة من البكاء والوعويل على الأخلاق والفضيلة، وهؤلاء الرقعاء يقولون: إننا نعاكس الفتاة التي تكشف عن مفاتن جسمها؛ لأن الكشف عن هذه المفاتن دعوة صريحة ونداء سافر.. وعلى الرغم مما في هذا من مغالطة أو احتيال للتسويف يجب على من يريدون الإصلاح أن يعلموا أن انحراف الشبان ذو صلة وثيقة بانحراف النساء، ورحم الله الرافعي إذ يقول: "إنه لو عرضت عليه قضية امرأة متبرجة عاكسها شاب في الطريق لعاقب هذه المرأة عقوبتين: إحداهما بأنها اعتدت على عفة الشاب، والثانية: بأنها خرقاء كشف اللحم للهر".

إن هؤلاء الشبان لم يتربوا في البيت تربية صالحة، ولم يجدوا في المدرسة التوجيه الروحي الصادق، ولم يجدوا المرأة في الشارع على ما ينبغي من التصون أو الوقار، ووجدوا في المسارح والسينمات والشواطئ والنوادي والمجتمعات الأخرى عوامل الفتنة

وجواذب الشر، فسقطوا وتحلّوا ورتعوا وكونوا لنا هذا الجيش من المائعين والمتحلّين الذين لا يكتفون بفساد نفوسهم بل ينشرون الفساد بين غيرهم كما ينتشر الوباء الخبيث؛ فما نفع هؤلاء لأمتهم وما جدواها منهم، وهي معرضة لوقوفها موقف الزحف العام في بعض الأحيان، كي تدفع عدوانا، أو تسترد أوطانا، ماذا يكون موقف المائعين الخائعين الذي يبثون الضعف والهوان؟.. هل يثبتون في معركة، أو يجيدون حمل سلاح.. إنهم سيكونون معاول الهدم ودعاة الهزيمة بين العصبة النافرة للجهاد والنضال، فإما أن نحسن تربيتهم، وإما أن نبعدهم عن مجموعة الأمة التي نرجيها ليوم نغسل فيه العار؛ لنعيش عيشة الأحرار.. إننا نريد مثلا أن نخرج اليهود من فلسطين؛ لنردها على أهلها الشرعيين، وأن نحرر بقية أوطاننا من أعدائنا، فهل تحرر أرض فلسطين وغيرها بالأجسام الرخوة والملابس الحريرية والسلاسل الذهبية والمشية المتخاذلة والأخلاق المنحلة والحياة المتحللة؟.. إن فتيات اليهود قد حملن السلاح في معركة اغتصاب فلسطين، وحاربن وتعرضن لمتاعب ومشاق، فهل عجز شبابنا عن أن يكونوا

مثل فتيات اليهود في الشعور بالتبعية والنهوض بالواجب؟. لقد ذل من بالت عليه الثعالب!.

من واجبنا أن ننقل الشباب إلى حياة القوة والفروسية التي يريدونها لهم الإسلام، فإن القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠.. والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: "المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف" مسلم حديث ٢٦٦٤ كتاب القدر باب في الأسر بالقوة.

وقد حث الإسلام أبناءه على ألوان الرياضة والفروسية والفتوة حتى يكونوا فرساناً في مختلف الميادين، وإن كانوا رهبانا لربهم في المحاريب، وحتى يحققوا الصورة الرائعة للأمة التي يذكرها القرآن بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الفتح: ٢٩. ورضوان الله على الإمام علي يوم طالب ابنه بأن يكون في الميدان صورة للشاب المسلم القوي الفتى فقال له: "يا بني تزول الجبال ولا تزَلّ، عض على ناجذك، أعر الله

جمجتك، تد "ثَبَّتْ" في الأرض قدمك. ارم ببصرك أقصى القوم  
وغض بصرك، وأعلم أن النصر من عند الله سبحانه".  
وهل يطيق ذلك إلا فتى تربي تربية مؤمنة تجعله عليما بالفروسية،  
خبيرا بالفتوة، صبورا عند اللقاء، مقداما في حومة الهيجاء؟!..  
يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

إن أولادكم أمانات من الله في أيديكم، فأحسنوا صيانة هذه الأمانات  
ورعايتها، وبدلا من أن جعلوهم يتخذون قدوتهم من مخانيث الغرب  
وممثلي المسرح والسينما، اجعلوا قدوتهم من أمثال عمرو، وعلي،  
وأبو عبيدة، وخالد، وأسامة، والمثنى، وطارق، وعمر بن عبد  
العزيز فأولئك أعلام الإسلام الذين زانوا الدنيا وسموا لقيمة الحياة،  
وإنما يصلح أمر هذه الأمة بما صلح به أولها من الإيمان بالله  
والاعتزاز به، والتطهر في هذه الحياة، وسبحان من لو شاء لهدانا  
جميعا إلى سواء السبيل: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ

مُؤْمِنُونَ ﴾ .

## خطبة مكانة السنة:

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، هدى إلى معالم الطريق، ويسر أسباب التوفيق

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٤٣..

أشهد أن لا إله إلا الله، هو أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ إِنَّ رَبِّي

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هود: ٥٦..

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، جعله ربه سبب النعمة ومفتاح

الرحمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ الأحزاب: ٤٥، ٤٦..

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وشيعته، وأصحابه وكتيبته،

والقائمين بأمر دعوته: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٤٣..

يا أتباع محمد -عليه الصلاة والسلام! ... من الدسائس الخفية

التي تسعى في الظلام لهدم الإسلام أن فئة من الناس أخذت تهون

من شأن السنة النبوية، ومن مكانة سيد البشرية -عليه الصلاة

والسلام- فهم يقولون: إنه بشر، وإنه يخطئ ويصيب، وإن أقواله من اجتهاده وعمل عقله فلا يعول عليها، وهذا زعم باطل؛ فلا بد لها من مبين ومفسر، فكان هذا هو من اصطفاه الله لرسائله، وصنعه على عينه، وحمله تبعة أمانته، وهو الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- ولذلك قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ البقرة: ١٤٣، وقال: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ البقرة:

١٤٣. ومن هنا أصبح قول الرسول وعمله جزءاً من الدين وتشريع؛ لأنه المبلّغ من الله، والأمين على الوحي، والمطبّق الأول للأحكام والتعاليم، وهو الذي فسر وأحال النصوص إلى أعمال وتطبيقات، وقد قال: "خذوا عني مناسككم"، وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي" السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٢٥.

وصرح كتاب الله العلي الأعلى بأن الرسول معصوم أمين ومثلق عن الله كل ما يقوله في الدين أو يعمله فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣، ٤. وقال: ﴿ مَنْ

يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿ النساء: ٨٠.. وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ  
 تَسْمَعُونَ ﴿ الأنفال: ٢٠. وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى  
 يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿ النساء: ٦٥.. وقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ  
 الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿ الحشر: ٧..

#### السنة جزء من الوحي الإلهي:

وترجم الرسول نفسه عن أن سنته جزء من الوحي الإلهي، فقال:  
 "إني أوتيت الكتاب ومثله معه" صحيح بن حبان ٩٧. ، وقال: "والذي  
 نفسى بيده ما خرج منه إلا الحق" مسند الإمام أحمد ١٦٢ / ٢. والأمة  
 المؤمنة كلها من عهد رسوله تدرك أن السنة النبوية إنما اعتمدت  
 على الوحي واستمدت منه، وكان المؤمنون الأولون يجمعون على  
 أن هذه حقيقة ثابتة بديهية لا تقبل الجدل أو الارتياب، وهؤلاء  
 مثلهم الخلفاء الراشدون -رضوان الله عليهم أجمعين- وهم خيار  
 الناس في المجتمع المسلم، كانت لهم آراؤهم وشخصياتهم، ولكنهم  
 أمام سنة الرسول يخضعون ويسلمون؛ لأنها هدى النبي الأمين  
 المتلقى عن الله رب العالمين، ولقد حدث أن بعض الخلفاء رأى

بعض المسلمين يقول قولاً أم يسمعه الخليفة من قبل، فقام يعرضه ويناهضه، ولكنه حينما علم أن هذا من قول الرسول المعصوم المؤيد بالوحي رجع وخضع، ولو رجعنا إلى أئمة الفقهاء لوجدناهم يجمعون على أن سنة الرسول جزء من الوحي.

### السنة بين الأعلام والأقزام:

وقد اتسع نطاق الفقه الإسلامي، ونشأت فيه من مذاهب ومدارس تقول بالقياس والرأي والاجتهاد، ومع هذا ظل أهلها يخضعون لسلطان الحديث النبوي، فإذا قعدوا قاعدة، أو رأوا رأياً، أو استنبطوا حكماً، ثم بلغهم حديثٌ ثابتٌ عن الرسول يخالف ما ذهبوا إليه رجعوا عن رأيهم، وخضعوا لما أتاهم من هدى الرسول، وهذا هو الإمام أبو حنيفة الذي يعتبر أكثر الأئمة أخذاً بطريقة القياس والرأي كان يلغي رأيه أمام الحديث الثابت، وهذا هو الإمام الشافعي يقول: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، فإذا كان الأئمة الأعلام قد خضعوا وخشعوا أمام نور النبوة وجلال الرسالة، وحفظوا للسنة المحمدية جلالها ووقارها، فكيف استباح الصغار الأقزام أن يتناولوا فيحرضون على تركها أو الاستخفاف بها؟ ألا ساء ما يصنعون!.



والواقع أن وظيفة السنة ترينا بوضوح أنها جزء من الوحي، وأنها المصدر الثاني الأساسي من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى؛ لأنها فسرت وأبانت، وشرحت وحددت وخصصت العام، وأوضحت المبهم، فالقرآن مثلا قد ذكر العبادات بأسمائها أو بملاح عامة لها، ولم يذكر صفاتها ولا كيفياتها، ولم يتعرض لما فيها من تفاصيل وأجزاء، فقال القرآن مثلا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ البقرة: ١١٠. ، ولكن كيف نقيمها؟ جاءت السنة فذكرت لنا هيئة الصلاة وحددت مواقيتها، وبينت عددها، وما فيها من قيام وركوع وسجود وعود وتشهد وسلام، وقال القرآن: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾. وجاءت السنة فتكفلت ببيان مقاديرها وطريقة جمعها والأنواع التي تؤخذ فيها.

وقال القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ البقرة: ١٨٣. ، ولكن كيف نصوم؟ ومتى نفطر؟ وما أنواع المفطرات؟ وما آداب الصيام؟ بكل ذلك جاءت السنة شارحة موضحة.

وقال القرآن: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ آل عمران: ٩٧.

، ولكن الرسول جاء فأوضح لنا أحكام الحج وأعماله من إحرام وطواف وسعى ووقوف بعرفة وذبح ورمي للجمار، وقال لنا بعد بيان ذلك: "خذوا عني مناسككم" أي حجوا كما رأيتموني أحج، أفلا تكون سنة الرسول مع هذا جزءا من الوحي، وجانباً من جوانب الدين؟!!

والسنة توضح من القرآن ما يحتاج إلى توضيح، فقد قال القرآن مثلاً: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الأنعام: ٨٢، فقال رجل عندما سمع الآية: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ويقع في ظلم "يقصد ألوان الظلم الكثيرة اليسيرة"، فقال له النبي: ليس ذاك وإنما الشرك (البخارى ٤ / ١٩٨)، فهل فسر محمد هذا من عنده أو هو تعليم الله العليم الخبير؟ "

والقرآن يقول في المحرمات: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ النساء: ٢٣.. فتأتى السنة النبوية، وتضيف إلى ذلك أنه يحرم أن يجمع الإنسان في الزواج بين المرأة وعمتها، أو بين المرأة وخالتها، أفيقول الرسول هذا برأيه أم يتلقاه عن الله رب العالمين؟ وهناك كثير من ألوان الطعام المحرمة التي يذكرها

القرآن، وتكفلت السنة بذكرها، فصار حكمها واجب الالتزام لأنها أبانت جوانب من الحلال والحرام.

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم:

قد يقال إن الرسول له اجتهاد، وهذا صحيح، فالرسول كان يجتهد فيما لم ينزل فيه حكم، وفي حادثة تعرض لأول مرة، وقد وجهه الله ذلك؛ ليدرب أمته على التماس وجوه الحق إذا لم يكن هناك نص، فتقوى العقول وتظهر الهمم، وقد حدث في بعض الأحيان القليلة أن اجتهد الرسول، ثم جاء القرآن الحكيم بحكم آخر؛ وذلك ليبين للناس أن الله وحده هو صاحب الأمر الأول والآخير، قال

تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص: ٨٨.

ولذلك جاء في القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ

﴿الكهف: ١١٠.. فالرسول بشر، وليس بإله ولا معبود، ولكنه مع

هذا مؤيد بالوحي، معصوم بقدره الله وتوجيهه، أمين في وحيه والتبليغ عن ربه، فإذا قال هؤلاء أو حكم حكما، أو منع شيئا، لم يكن ذلك اختراعا منه ولا ابتداعا من نفسه، بل هو جزء من وحي ربه يتم به دعوة القرآن، ويوضح عن طريقه شريعة الإسلام،

فوجب على كل مسلم أن يتلقى بالرضى والقبول والتسليم كل ما ثبت وصح من السنة النبوية وإلا كان غير خاضع للإسلام. يا أتباع محمد -عليه الصلاة والسلام- احذروا أن يغركم بسنة رسولكم الغرور، ولا تلقوا بالآلاف إلى أولئك الآثمين الذين يهونون من جلال السنة وآثار النبوة، فهم في الواقع يهونون من شأن الملة والشريعة، ومن واجب المجتمع أن يجعل بإنشاء دار الحديث التي تعنى بكل ما يتعلق به، وأن تتسع الدراسات المتعلقة بعلوم الحديث في الجامع الأزهر الشريف، وأن تهتم كل المجالات الإسلامية بهذه الدراسات، ومن واجباتنا أن تقبل على سنة الرسول فنتعرف إليه ونتدارسها، ونعترف منها، ونربط بها ناشئتنا وأسرنا، حتى تكون لنا من وراء كتاب ربنا هدياً ونبراساً، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ

الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ الأحزاب: ٤٠٠.

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل،

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة: ٨٨.

# الباب الثاني عشر الخطابة في العهد المعاصر



# الباب الثاني عشر

## الفصل الأول

### واقع الخطابة المعاصر

# الباب الثاني عشر

## الفصل الثاني

### الخطابة



# في الأقطار العربية

## الباب الثاني عشر

## الفصل الثالث

# خصائص الخطابة المعنوية

# الباب الثاني عشر

## الفصل الرابع

### خصائص الخطابة اللفظية

الباب الثاني عشر  
الفصل الخامس  
نماذج من الخطابة  
في العهد المعاصر

# أولاً- نماذج من الخطابة في الجزيرة العربية

# ثانياً- نماذج من الخطابة في الخليج العربي

# ثالثاً - نماذج من الخطابة في بلاد الشام

# رابعاً - نماذج من الخطابة في بلاد مصر والسودان

# خامساً - نماذج من الخطابة في المغرب العربي



# سابعاً - نماذج من الخطابة في المغرب العربي

# سابعاً - نماذج من الخطابة في بلاد المهجر

